د. حسن جلاب

الدولة الموحدية

أثر العقيدة في الأدب



د . حسن جلاب

الدولة الموحدية
(أثر العقيدة في الأدب)

مراكش 1995

الطبعة الاولى : ابريل – 1983
الطبعة الثانية : (منقحة مع إضافات تطبيقية) : مارس – 1985.
الطبعة الثالثة : (منقحة مع إضافات جديدة) شتنبر 1995
رقم الايداع القانوني : 434 / 1995.
ردمك : 7 - 4 - 9600 - 9981
المطبعة والوراقة الوطنية – مراكش

مقدمة الطبعة الثالثة

عندما تأسست كلية الآداب والعلوم الانسانية بمراكش سنة 1979، كان عدد الاساتذة المؤطرين قليلا، فكان عليهم ان ينهضوا بأعباء التدريس والتأطير ولو بتدريس اكثر من مادتين لكل استاذ. وكان ذلك يتم في حماس واقبال لامزيد عليهما لشعور الجميع بالفرح والابتهاج بسبب تأسيس الجامعة في مدينتهم.

وقد اسندت الي خلال السنة الجامعية 1980-1981 مادة الادب المغربي - الى جانب المواد التي كنت ادرسها وهي الادب الجاهلي والاسلامي والاموي، والادب الاندلسي - فقررت على الطلبة موضوع (أثر العقيدة الموحدية في الادب).

وقد دفعت تلك المحاضرات للطبع في آخر سنة 1982 فصدرت ضمن منشورات الجامعة في ابريل 1983. ولقي الكتاب اقبالا كبيرا في مختلف الكليات مما جعله ينفد بعد سنة من صدوره، واعدت طبعه سنة 1985 بعدما اضفت اليه نصوصا محللة لكل من ابن حبوس والجراوي، وادخلت عليه بعض التغييرات التي بدت لي بعد سنتين من الممارسة والنقاش مع الطلبة.

والآن وبعد عشر سنوات من صدور الطبعة الثانية وجهت لي طلبات من جهات مختلفة في موضوع الكتاب. لذا فانني أبادر بتقديمه للطبع من جديد مع إضافة نصوص محللة أخرى درستها مع الطلبة بين سنتي 1985 و 1990، وهي لابي العباس الجراوي وابي جعفر بن عطية.

أتمنى ان تفيد عموم الطلبة والمهتمين بالدراسات المغربية والله أسأل التوفيق والسداد.

مراكش 21 مارس 1995

مقدمة الطبعة الاولى :

اصل هذا الكتاب

محاضرات القيتها على طلبة السنة الاولى من السلك الثاني، شعبة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة القاضي عياض بمراكش، خلال السنة الجامعية: 1981 - 1982

وقد عرضتها على بعض الزملاء داخل الكلية وخارجها فشجعوني على نشرها لتعميم فائدتها على الطلاب والباحثين.

وها انذا اقدمها للقراء، بعد ادخال تعديلات بسيطة على الفصل الاول منها اقتضتها ظروف الانتقال من محاضرات الى كتاب، آملا ان يجدوا فيها بعض الفائدة، وان تفتح للطلبة -بمنهجها والبيليوغرافية الواسعة المذيلة لها- آفاقا للبحث : بان توحي لهم بموضوعات اخرى او تساعدهم على تناول بحوثهم وتمهد لهم سبل انجازها.

والله نسال التوفيق والسداد.

مراكش - 12 دجنبر 1982

مقدمـة الطبعـة الثانيـة :

تميزت الدولة الموحدية عن باقي الدول التي حكمت المغرب باعتمادها على منهج سياسي ومذهبي خاص، مكّنها من مواجهة الدولة المرابطية وهي في عنفوان شبابها . وكان وراء هذا الانتصار عالم كبير، وسياسي ماهر هو محمد بن تومرت المنظر للدولة، ومخطط عقيدتها . وقد استفاد في ذلك من دراسته بالمشرق على كبار علماء العصر، وأخذ العبرة مما عرفه هذا الجزء من العالم الاسلامي من صراع وتمزق.

وقد ركّب عقيدة « التوحيد » من عناصر مستقاة من مذاهب دينية، وتيارات فكرية متنوعة مما خوّل للموحدين خصوصية لم تعرفها الدول التي قامت في المغرب . وكان لهذه العقيدة أثر كبير في تكسير الجمود الفقهي المرابطي وتنشيط الحركة الفكرية والادبية في المغرب . فجاءت الدراسات العلمية والنصوص الأدبية مطبوعة بطابعها، ومتأثرة بمبادئها سواء تلك التي صدرت عن المغاربة او الاندلسيين.

وقد حاولنا في هذه المحاضرات رصد هذا التأثير وتقويمه بالقدر الذي تسمح به الوثائق والنصوص، معتمدين على مسلمات المنهج الاحصائي :

- لغياب الدواوين والمجموعات الشعرية المنتسبة للعصر،
- ولما لحق الكثير من النصوص التي وصلتنا من بتر وتحريف.

لهذا اعتمدنا على عدد محدود من النصوص حاولنا ان تكون متنوعة الموضوعات والاتجاهات والمشارب، وصادرة عن اكبر عدد ممكن من شعراء العصر وادبائه بالمغرب والاندلس معا .

فكانت اساس دراستنا من اولها الى آخرها.

وتبين من خلال تصنيف حقولها الدلالية غنى المعجم العقدي وكثافته، وتأثير المذهب الموحدي فيها بعمق . وقد ابانت الاحصائيات عن ذلك ببلاغة ووضوح. فمن الطبيعي ان المجموعة

اللغوية التي تتردد مفرداتها بكثرة لابد وان يكون لموضوعها اهمية متميزة أثارت اهتمام الاديب بالمقابل مع الموضوعات الاخرى.

ولم نكتف بتصنيف هذه الحقول وترتيبها، وانما حاولنا تقويمها وابراز دلالاتها.

وقد ذيلنا هذه الطبعة بنموذجين تطبيقيين دعمنا بهما استنتاجاتنا، ووقفنا فيهما على مدى تاثر الشعر بالعقيدة الموحدية، وهما للشاعرين الكبيرين :

- ابن حبوس الفاسي.
- ابي العباس الجراوي.

ونرجو ان يجد الطلبة والباحثون في هذه الطبعة الثانية -بما فيها من تنقيحات واضافات تطبيقية- بعض الفائدة.

ولا يفوتني ان اوجه شكري للزملاء الذين تفضلوا باعادة طبع الكتاب خدمة للتراث وللوطن. والله نسال التوفيق.

مراكش 10 دجنبر 1984

مدخــل: التيارات العقدية التي سبقت عقيدة التوحيد

عندما فـهم المغاربة غايات الاسلام النبيلة، وارتاحوا لمعاملة العرب الفاتحين لهم، آمنوا بالدين الجديد، واطمأنوا اليه، وكان اول الامر بسيطا خاليا من كل تعقيد او خلاف مذهبي، الشيء الذي سهل عليهم فهمه.

الا ان هذا الوضع قد اخذ في التغير بتوافد العرب على المغرب اذ زاد الاتصال بالمشرق بعد انتهاء حروب الفتح الاسلامي.

وكانت ظروف الوافدين مختلفة : فمنهم من قدم الى المغرب للتعليم، ومنهم من فر بعقيدته. . . وكانوا ينتمون الى احزاب سياسية، ومذاهب دينية مختلفة:

المذهـب الخارجــي: من جملة الداخلين الى المغرب آنذاك فئات من الخوارج الهاربين من المشرق بسبب الاضطهاد الذي تعرضواله . ومن ابرز هؤلاء : سلمة بن سعد الاباضي.

وقد تمكن الخوارج من نشر مذهبهم بين المغاربة على نطاق واسع:

1- لما فيه من مساواة حقيقية بين الناس، فقد عانى المغاربة من ظلم الدول الفاتحة واستبدادها قديما وحديثا .

2- لما فيه من بذور الاستقلال والنضال، ومواجهة خلفاء المشرق الذين يسعون الى اخضاع كل اطراف الامصارالاسلامية لحكمهم.

3- لاتصاف مبادئه بكثير من الوضوح وبعدها عن تعقيدات المذاهب العقلية (كالمعتزلة...).

لهذا تمكن الخوارج - بمساندة المغاربة- من تأسيس دولتين في المغرب :

1 - دولة بني مدرار بسجلماسة (140- 297 هـ) :

اختار الخوارج هذه المنطقة لما يفصل بينها وبين الخلافة وعمالها من حواجز طبيعية، فهي واقعة اقصى الصحراء في ناحية نهاية العمران ببلاد المغرب من ناحية الجنوب والغرب[1]

((1) « المسالك والممالك » للبكري، ص . 148 نشر دوسلان 1857تحت عنوان "المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب."

الا انها خصباء معطاء.

واعتمدوا على عصبيتمكناسة (من البرابرة البتر) اساسا، وكانوا من الخوارج الصفرية(2) اتباع زياد بن الاصفر او عبد الله بن الصفار(3).

من زعمائهم: عيسى بن يزيد الاسود (140- 155هـ) الذي ثار عليه المغاربة وقتلوه وولوا مكانه ابا القاسم سمكو بن واسول . وقد اختلف المؤرخون في اسباب هذه الثورة.

وحكم ابو القاسم من 155 الى 168 هـ. وجعل الخلافة وراثية . وكانت نهاية هذه الدولة على يد الشيعة الذين غزوا سجلماسة سنة 297 هـ (4).

2- دولة بني رستم بتاهرت (144- 297 هـ)تاسست في نفس الفترة، الا انها - خلافا لدولة سجلماسة الصفرية . كانت اباضية (اتباع عبد الله بن اباض) ومذهبهم من اكثر الفرق الخارجية اعتدالا. اسسها عبد الرحمن بن رستم الفارسي الذي شيد المدينة سنة 144 هـ.

من زعمائها عبد الرحمن -المذكور- وعبد الوهاب بن رستم الذي حول الامامة من مبدأ الاختيار الى مبدأ التوريث مما ادى الى حدوث انشقاق داخل الدولة . وقد استعان بأخواله بني يفرن، فاشتدت الصراعات المذهبية والقبلية طيلة عهدي عبد الوهاب وابنه افلح.

وكانت نهاية الدولة الرستمية على يد الشيعة كذلك سنة 297 هـ (5).

ومع تيسير المغاربة لنشر المذهب الخارجي . لاتفاقه ونزعاتهم الاستقلالية -فانهم يميلون الى الشيعة- لا اقتناعا بمذهبهم- ولكن لحبهم الشديد لآل البيت.

---

(2) «فجر الاسلام»، أحمد أمين، ص . 256ومابعدها.

(3) قيل كذلك بانهم سموا بالصفرية لصفرة وجوههم او لأسباب أخرى، انظر التفاصيل في كتاب "الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري"، د. محمود اسماعيل عبد الرزاق، طـ. دار الثقافة 1976، ص . 45/44.

(4) انظر التفاصيل في نفس المرجع من ص . 109الى 143.

(5) نفس المرجع من ص . 144الى 208.

وقد كان علماؤهم ياخذون على الخوارج الطعن في عثمان خلال المرحلة الثانية من حكمه، وفي علي بعد قبوله التحكيم، وكذا الطعن في اصحاب الجمل وطلحة والزبير وعائشة وتكفيرهم.

المذهب الشيعي : تسرب الى المغرب على يد النازحين اليه من ظلم الامويين والعباسيين. وقد كان المغاربة منذ تعرفهم على الاسلام وتشبعهم بمبادئه السامية، وسيرا على بعض عقائدهم التي عرفوها في جاهليتهم، يبدون حبا شديدا للرسول وآل البيت : وتجسد هذا الحب في ترحيب اوربة وقبائل وليلى بالمولى ادريس . مع العلم انهم لم يكونوا مقتنعين بالمضمون الفكري للمذهب الشيعي، بل انهم اتخذوا مواقف عداء ضد بعض الغلاة وتسلطهم.

فقد وقفوا في وجه عبيد الله الشيعي الذي دعا فقهاءهم -بعد القضاء على دولة بني مدرار بسجلماسة- الى الافتاء بناء على المذهب الشيعي، واستنكروا استبداده وانحراف اعقابه، فانحازوا الى بقايا الخوارج لمواجهة «الحاكم» من بني عبيد الله الذي ادعى الربوبية، «ومعد» الذي ادعى النبوة (6).

ولعل المولى ادريس بن عبد الله قد ادرك ان ما يجمع بين المغاربة والشيعة هو حب آل البيت والعطف عليهم لما لحقهم من اضطهاد وظلم، وانهم ينفرون مما تضمنه مذهبهم من التأويل وعلم الباطن، لذلك . وضمانا لكسب ثقتهم ومساندتهم - لم يحاول نشر المبادىء الشيعية، وانما سلك السبيل السني، مع العلم انه كان زيديا ، والزيدية اقرب الفرق الشيعية الى السنة.

ويتجلى الاتجاه السني لدى ادريس في الرسالة التي وجهها الى المغاربة عند قدومه الى المغرب دعاهم فيها الى الاخذ بالكتاب والسنة واقامة العدل ورفع المظالم واحياء السنة واماتة البدعة، وانصاف آل البيت وتخليصهم مما لحقهم من ظلم واضطهاد (7).

ومما نمى التعاطف بينه وبين هذا المذهب :

1- مالك يروي في الموطأ عن عبد الله الكامل والد ادريس.

---

(6) «البيان المغرب»، ج 1ص . 282/ 283/285/286/289، طـ . كولان المصورة ببيروت.

(7) الوثائق، ج، ص . 40-43 ، المطبعة الحسنية الرباط.

2- مالك كان له موقف من العباسيين لصالح اخ ادريس المسمى محمدا النفس الزكية، حيث افتى، عند قيام هذا الاخير، بان بيعة ابي جعفر لا تلزم لانها كانت على الاكراه، وقاسها على بطلان طلاق المكره ويمين المكره، اعتمادا على احاديث نبوية شريفة.

مع كل هذااستطاع عبد الله البجلي التسرب الى سوس قادما من افريقية بمعية عبيد الله الشيعي، فاسس بتارودانت دويلة بجلية، فاشاع مذهبه -وكان من الغلاة الروافض- ووُرث بعده عدة اجيال الى ان قضى عليه عبد الله بن ياسين اثناء قيامة بتوحيد المغرب ونشر الدعوة المرابطية (8).

المذهب الحنفي : تفيد المصادر القديمة ان الشمال الافريقي قد عرف المذهب الحنفي (مذهب الكوفيين) من افريقية (تونس) الى المغرب.

قال عياض : « واما افريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين الى ان دخل علي بن زياد، وابن اشرس، والبهلول بن راشد، وبعدهم اسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك، فاخذ به الكثير من الناس . . . » (9).

وتعرض ابن خلكان للموضوع في ترجمة المعز بن باديس الصنهاجي فقال : « وكان مذهب ابي حنيفة رضى الله عنه بافريقية اظهر المذاهب فحمل المعز المذكور جميع اهل المغرب، على التمسك بمذهب الامام مالك بن انس رضي الله عنه»(10).

وتحدث عياض عن انتشار المذهب الحنفي فقال : « دخل منه شيء . . . قديما بجزيرة الاندلس وبمدينة فاس » (11).

وعلق الدكتور عباس الجراري على هذا قائلا : « ربما لانه من اول المذاهب الفقهية التي ظهرت، ولوجود تلاميذ مباشرين لابي حنيفة كعبد الله بن المغيرة ووجود علماء متحمسين له

(8) "الانيس المطرب"، ص . الرباط 1973.
(9) "ترتيب المدارك"، ج 1، ص . 25- 26 ، طـ . وزراة الاوقاف الرباط.
(10) "وفيات الاعيان"، ص . 233-234، طـ . بيروت، بتحقيق الدكتور إحسان عباس.
(11) "ترتيب المدارك"، ج 4، ص .25.

كـابن ابي الجـواد ...(12) دون ان ننسى كـذلك انتـشـار المذهب في عـهـد الاغـالبـة لعلاقـتـهم مع العباسيين »(13).

المذهب الشافعي : يبـدو ان هذا المذهب لم يكن له في المغـرب مـا كـان لغـيـره من المذاهب من حظوظ.

وكان، حسب عياض، بافريقية والاندلس: « كان بالقيروان قوم قلة في القديم اخذوا بمذهب الشافعي »(14)، وقال كذلك : «ودخل شيء منه بلاد افريقية والاندلس بأخرة بعد الثلاثمائة »(15).

وعن اعلامـه: « ومن فقـهـائه ابو العـبـاس الفـضل بن نصـر البـاهي المعـروف بالرايس، وابو عثمان سعيد بن الحداد » (16).

وهذا الاخير صحب في اول حاله الامام سحنون وسمع منه ثم نزع الى مذهب الشافعي.

ويرد الدكتور عباس الجراري ما قاله هنري لاوست عن شافعية المنصور الموحدي « . . . فبعد ان كان مالكيا، انتقل الى الظاهرية ثم اعتنق المذهب الشافعي واختار كثيرا من القضاة من بين المنتـمين لهـذا المذهب » (17) قـائلا بان المغـرب لم يعـرف المذهب الشـافـعي الذي لم يتـعـد افـريقـيـة والاندلس، وانما ذهب لاوست هذا المذهب ليـربط بين طلب صـلاح الدين الايوبي النجدة من المنصـور، وانتماء السلطان الايوبي للمذهب الشافعي، وكان اتفاقهما في المذهب هو المشجع على ذلك (18).

---

(12) قـال القـاضي عـيـاض بأن الجـواد "كـان يذهب الى رأي الكوفـيـين ويقـول بالمخلوق"، "ترتيب المدارك"، ج 4، ص. 65.

(13) "اسبـــــاب انـتـشـار المذهب المالكي واسـتـمـراره بالمغرب"، دعـوة الحـــــق عـدد 224، غـشـت – شتنبر 1982، ص . 28.

(14) "ترتيب المدارك"، ج 1، ص . 26.

(15) "ترتيب المدارك"، ج 1، ص . 26.

(16) " ترتيب المدارك"، ج 5، ص . 79.

(17) H . LAOUST : Les schismes dans l'Islam, p . 235.

(18) " الامير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحدي، عصره، حياته وشعره"، ص . 46–74، ط . الدار البيضاء 1974.

واذا كان المذهب الشافعي لم يجد الاقبال الذي لقيته باقي المذاهب فان من الصعوبة الجزم بانه لم يدخل قط الى المغرب، فقد كان العلماء من كافة الفرق والمذاهب يتوافدون من المشرق على الاندلس والشمال الافريقي في حركة دائبة مستمرة لنشر مذاهبهم بين سكان هذه البلدان، ونحن على يقين من دخول بعضهم كابن ابي بردة (19).

مذهب الاوزاعي: منذ افتتاح الاندلس واهلها على مذهب الاوزاعي الى ان رحل الى مالك: « زياد بن عبد الرحمن وقرعوس بن العباس والغاز بن قيس، ومن بعدهم، فجاؤوا بعلمه، وابانوا للناس فضله واقتداء الامة به . . .» (20) .

ويرى الدكتور عباس الجراري ان مذهب الاوزاعي كان معروفا في المغرب وبقية بلاد الشمال الافريقي بسبب الاتصال بينهما وبين الاندلس الاموية، ولمجيء بعض العلماء الشاميين خلال ولاية اسماعيل بن ابي المهاجر(21).

وحسب ابن عذاري ، ان هذا الاخير احضر معه « عشرة من التابعين اهل علم وفضل منهم عبد الرحمن بن نافع وسعد بن مسعود التجيبي . . .» (22).

المعتزلة : عندما قال الشهرستاني بوجود فرقة من المعتزلة بالمغرب « وبالمغرب الآن، شرذمة قليلة » (23) فانه يقصد الدولة الموحدية التي عاصرها (توفي سنة 548 هـ) وما يهمنا الآن ان نعرف ما كان موجودا قبل الموحدين .

---

(19) سئل في الاندلس عن كتبه فقال: "إنها ذهبت له مع مال جسيم في المغرب"، "تاريخ الفكر الاندلسي"، ص . 436، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1955.

(20) "ترتيب المدارك"، ج 1، ص . 26-27.

(21) "أسباب انتشار المذهبي المالكي واستمراره بالمغرب"، دعوة الحق، عدد 224، غشت - شتنبر 1982، ص . 29.

(22) "البيان المغرب"، ج 1، ص148 .

(23) "الملل والنحل"، ج 1، ص . 57-61، تحقيق محمد سيد الكيلاني، طـ . الحلبي، 1961.

فالمعــروف ان واصــلا بعــث اصحابـــه الى الامصار ينشـرون مذهبــه وكـان من بينهــم عبد الله بن الحارث الذي ارسله الى افريقية، وحسب ياقوت الحموي ان مجمع الواصلية كان « قريبا من تاهرت، وكان عددهم نحو ثلاثين الفا في بيوت كبيوت الاعراب يحملونها » (24) .

وباستثناء اشارة البكري الى تلقب اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الاوربي بالمعتزلي، وهي مسالة انفرد بها، فان المصادر لاتتحدث عن وجود نشاط معتزلي ملحوظ قبل ظهور مهدي الموحدين، بل على العكس من ذلك :

أ - نجد فقهاء المالكية بالمغرب يعادون دولة الاغالبة لانحيازها لفقه العراق ومبادىء المعتزلة.

ب - وانهم وقفوا ضد تسرب مبادىء المعتزلة في الشمال الافريقي وضد الذين يعملون على نشرها، فبعد ما الف بشر المريسي - وكان معتزليا - كتاب التوحيد، قال اسد بن الفرات منتقصا وناقدا : « اوَ جهل الناس التوحيد حتى يصنع لهم بشر فيه كتابا ؟ هذه نبوة ادعاها »(25).

ويبــدو ان نفــور المغاربة من مذهب الاعـتـزال راجع الى مـا هو عليـه من تعـقـيـد ونظر واعـتـماد على الحجج العقلية، وعلى التـاويلات التي لا تسـاير شروطهم وميـولهم نحو الوضـوح والتبسيط والنقل.

مذاهب منحرفة : عرف المغاربة قبل الفتح الاسلامي للمغرب ديانات مختلفة وثنية وموحدة (كاليهودية والنصرانية).

ومع مجيء الاسلام كان الفـاتحون يركزون حملاتهم على المدن، ولا يتـوغلون في البوادي النائية والجبال، مما جعل الكثيرين من سكان هذه المناطق يجهلون الكثير عن الاسلام، ويعيشـون في جهـالة وسذاجة لا نظير لهمـا . لهذا لا نعجب اذا وجدناهم يشـاركون بتلقائية وحماس في الثورة العارمة التي انطلقت سنة 122 هـ . من غرب المغرب لتعم كل الشمال الافريقي والتي كان الهدف منها مواجهة العربي الفاتح الذي يجسد - في اعتقادهم - الظلم والسيطرة.

(24) مادة "تاهرت" من معجم البلدان، ج 2، ص 8، طـ . دار صادر.
(25) "رياض النفوس" ج 1، ص . 182.

ومما نتج عن هذه الثورة :

أ - تعميق الخلاف والكراهية بين العرب والمغاربة.

ب - اقبال الامازيغ على نصرة العناصر المعادية للاسلام السني كالخوارج . . .

جـ - تصديق كل مبتدع وخارج وخصوصا اذا كان منهم (اي الامازيغ)، معتقدين ان هذه الحركات ستمكنهم من ان يحكموا انفسهم بانفسهم.

ومن اهم الحركات المنحرفة التي عرفها المغرب :

1 - الديانة البرغواطية التي ابتدعها صالح بن طريف في تامسنا .

2 - الديانة الغمارية التي ابتدعها حاميم الغماري في منطقة جبال الريف.

3 - ديانة عاصم بن جميل الذي قلد الديانة الغمارية (26).

4 - مؤذن ادعى النبوة بنواحي تلمسان في القرن الثالث الهجري وتأول القرآن على غير وجهه فتبعه خلق كثير قبل ان يجدّ امير تلمسان في القاء القبض عليه . وقد فرّ عن طريق البحر الا انه لم يلبث ان لقي حتفه بالاندلس.

وسنكتفي بالتعرف على ديانتي برغواطة وغمارة لاهميتهما وشدة تأثيرهما على المغاربة.

- **الديانة البرغواطية** : برغواطة من برابرة مصمودة . كانت مواطنهم في بسائط تامسنا وسيف البحر المحيط من سلا وآزمور وآنفا وآسفي(27).

مؤسس هذه الديانة صالح بن طريف الذي ادعى « انه نزل عليه قرآن بلسان البربر . . وزعم انه المهدي الاكبر الذي يخرج في اواخر الزمان لقتال الدجال، وان عيسى بن مريم يكون من اصحابه» (28).

---

(26) أخباره في تاريخ ابن خلدون، ج 1، ص . 287، ط . بيروت، 1959.

(27) تاريخ ابن خلدون، ج . 6. ص . 428.

(28) "المسالك والممالك" للبكري (المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب)، نشر دوسلان 1857، ص . 135.

وقد انتشرت هذه الديانة بين المغاربة بسرعة فتعلقوا بها ودافعوا عليها قرونا (من الثاني الى الخامس الهجري).وهي تقليد مشوه للاسلام.

- اخذت عن المذهب السني : وجود قرآن بلسان القوم، يشتمل على ثمانين سورة اكثرها منسوب الى اسماء الانبياء والحيوانات، صوم رجب، وتحريم بعض الاغذية . . .

- واخذت عن المذهب الشيعي : عودة صالح - الذي انصرف عنهم الى الشرق بعدما وضع الديانة - في دولة السابع من ملوكهم، وادعاؤه المهدوية.

- واخذت عن الخوارج : الصرامة والتضييق على النفس : الاكثار من الصوم، والصلاة (خمس صلوات بالنهار ومثلها بالليل) وصرامة العقاب المخصص للسارق والزاني والكاذب. . .

وهناك تغييرات كثيرة بسطها المؤرخون، يمكن ان نجد لها جذورا في الديانات التي عرفتها المنطقة قبل الفتح الاسلامي للمغرب(29).

وقد تضافرت جهـود الدول التي حكمت المغرب للقضاء على برغواطة المنحرفين : فحاربهم تباعا بنو امية (في الاندلس)، وبلكين بن زيري، وبنو يفرن بزعامة تميم، ثم المرابطون بزعامة عبدالله بن ياسين الذي لقي حتفه في محاربتهم.

وقد تمكن هؤلاء من تشتيت شملهم وارغام من تبقى منهم على العودة الى الاسلام . الا ان فئات منهم قد ظهرت من جديد في بداية الدولة الموحدية حيث تم استئصال شافتهم بصفة نهائية.

- **ديانة غمارة** : اما غمارة فمن مصامدة الشمال كانوا يسكنون في نواحي تطوان . وكانوا -كأبناء عمومتهم برغواطة- على قدر من البداوة والخشونة والجهل . اشتركوا في الثورة واعتنقوا مذهب الخوارج.

---

(29) للتعرف على ديانة برغواطة أنظر : المغرب للبكري، ص . 134- 141، "الاستقصا"، ج . 2، ص . 15. . . . ، " الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح الاسلامي حتى اليوم"، ألفريدبيل (A . BEL) ترجمة عبد الرحمان بدوي، طـ . دار الغرب الاسلامي، بيروت ، ص . 173- 180.

وادعى النبوة فيهم رجل اسمه حاميم بن ابي خلف من الله، ووضع قرآنا بلغتهم لم تصلنا معلومات كثيرة عنه.

كل ما نعرفه انه كان معترفا بالديانة الاسلامية، ويدعي انه يرغب في اصلاحها كما اصلح الرسول التوحيد عند اليهود والنصارى بعد ان شوهوه.

وقد احدث تغييرات جذرية في الاركان والواجبات الدينية تذكرنا بالديانة البرغواطية خاصة وان العلاقات بين صالح بن طريف وحاميم كانت وطيدة، اذ كان هذا الاخير يقدم مساعدات عسكرية لبرغواطة في مواجهة خصوصهم من المسلمين السنيين.

ولم تصادف ديانة غمارة نفس النجاح الذي لقيته زميلتها بتامسنا، ولعل هذا عائد الى ان صاحبها قتل بعد سنوات قليلة من وضعها، فقد بدأها سنة 313 هـ . وقتل بين 315 و329 هـ. ولم يجد خلفه من القوة والذكاء ما يمكنه من نشرها والحفاظ عليها ... فحتى محاولة عاصم بن جميل اليزدجومي قد باءت بالفشل(30).

المذهب المالكي: انتقل المذهب من المشرق الى افريقيا فالاندلس ومنها دخل الى المغرب . فعند القاضي عياض ان افريقية وما وراءها من المغرب قد « كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين الى ان دخل علي بن زياد وابن اشرس والبهلول بن راشد وبعدهم اسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك فاخذ به كثير من الناس ولم يزل يفشو الى ان جاء سحنون فغلب في ايامه وفض حلق المخالفين، واستقر المذهب بعده في اصحابه، فشاع في تلك الاقطار الى وقتنا هذا » (31).

وكانت الاندلس على مذهب الاوزاعي الى ان رحل الى مالك بعض العلماء كزياد بن عبدالرحمن، وقرعوس بن العباس والغاز بن قيس فجاءوا بعلمه واظهروا فضله للناس فعرفوا حقه ودرسوا مذهبه(32).

---

(30) أنظر في ديانة غمارة :
- " الانيس المطرب بروض القرطاس "، ص . 98-99، ط . الرباط، 1973.
- " الفرق الاسلامية . . . "، ألفريد بيل ، ص . 180- 195.

(31) " ترتيب المدارك "، ج . 1، ص . 25-26.

(32) " ترتيب المدارك "، ج 1، ص . 26- 27.

ومن الاندلس دخل المذهب الى المغـرب على يد الوفـود والبـعثـات التي كـانت تتـجـول بين القطرين، وخاصة بعد انشاء جامع القرويين سنة 245 هـ.

وحسب عيـاض يعتبر علي بن زياد « اول من ادخل الموطأ وجامع سفيـان المغرب، وفسر لهم قـول مـالك، ولم يكونوا يعرفـونه . وكـان قد دخل الحـجـاز والعـراق في طلب العلـم، وهو مـعلم سحنون» (33).

وكان المغرب -كما اسلفنا- قد عرف باقي التيارات العقدية والمذاهب الدينية، فتمكن اهله من ان يقارنوا بينها ويختـاروا المذهب الملائم لهم والمناسب لظروفـهم . وقد ادرك الامـام ادريس ميـل المغاربة للمذهب السني لذا اخفى مـشاربه الشيـعيـة، وساير مناصريه من قبائل وليلي واوربة في معتقدهم.

ولتعميق معارفهم المذهبية كان الطلاب والفقهاء -اضافة الى الوفود المالكية التي تحل بالمغرب- يدخلون الى الحجاز للاخذ عن مالك وتلامذته .

وفي ترتيب المدارك اسمـاء لعدد منهم (34)، فكانوا يعـودون الى بلادهم لتعليم المذهب . وهذا عامل من عوامل انتشاره تضاف اليها عوامل اخرى اهمها :

- انتساب صاحبه للمدينة، مركز الاسلام وعاصمة الرسول، واتصافه بالتواضع والامانة العلمية . فخلافا للمتفقهين كان يقر بعجزه وجهله عندما لا يصل الى جواب لما يطرح عليه(35).

- وعند ابن خلدون ان رحلة المغاربة كانت غالبا الى الحجاز، ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا على الاخذ من علماء المدينة وامامهم مالك(36).

---

(33) "ترتيب المدارك"، ج 3، ص 80.

(34) " ترتيب المدارك"، ج 2، ص. 178و ج 3، ص . 114- 126.

(35) " ترتيب المدارك"، ج 1، ص . 180- 181.

(36) "المقدمة"، طـ . أميرية، ص . 440.

- ويشار كذلك الى تقارب بين المغاربة والاندلسيين وبين اهل الحجاز في طرق العيش، فقد كانت تغلب عليهم البداوة خلافا لاهل العراق الذين كانوا اكثر تحضرا . لذا مالوا الى مذهب اهل الحجاز المناسب لظروفهم.

- واخيرا فان طبيعة المذهب نفسه المعتمد على النص والنقل، والمبتعد عن الجدل والقياس تتفق ومزاج المغاربة الذي ينفر من الفلسفة والتعقيد ويتمسك بالاثر والرواية.

وقد اصبح المذهب المالكي محور الحركة الاصلاحية المرابطية وخطا عقديا بنى عليه عبد الله بن ياسين المالكي دعوته، وتمكن من نشره بين قبائل صنهاجة ثم في باقي المغرب . وحل محل المذاهب التي انتصبت بسبب ضعف الادارسة من خوارج وشيعة. . . .

وبقي المرابطون مخلصين للمذهب -في عهد قوتهم- اذ كان يوسف وابناؤه تابعين للعباسيين يخطبون لهم، ويضربون العملة باسمهم ويعترفون بخلافتهم.

ورغم الاهمية التي صارت لفقهاء المالكية في هذه الدولة (تعيين اربعة فقهاء الى جانب كل قاض) وتسلطهم واستغلالهم للسلطة، فان المغاربة -بقدر انتقادهم لهؤلاء (37)- ظلوا متشبثين بالمذهب . وحتى الامتحان العسير الذي سيتعرض له مذهبهم على عهد الموحدين لم يؤد الى تخليهم عنه.

---

(37) مما قيل في انتقادهم :

أهل الرياء لبستم ناموسكم	كالذئب أولج في الظلام العاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالك	وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب الدواب بأشهب	وبأصبغ صبغت لكم في العالم

الفصل الاول

العقيدة الموحدية

المبحث الاول	- مؤسسها: محمد بن عبد الله.
المبحث الثاني	- عناصر العقيدة الموحدية .
. المحور الاول	- دعوة الى تقديم العقل .
. المحور الثاني	- نظريات معارضة لسلطان العقل.
المبحث الثالث	- تطور العقيدة بعد ابن تومرت .

المبحث الاول : مؤسسها محمد بن عبد الله

من اهل سوس، ولد بضيعة تعرف بايجلي ان وارغن . واختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ميلاده، فجعلوه بين سنتي 469 و 486 هـ .(38).

ينتسب الى اسرة غنية، فوالده كان رئيس قومه يدعى أمغار، كما كان يدعى تومرت، واسافو ومعناه بالبربرية الضياء لايقاده الضوء في المسجد (39). كان له إخوة هم عيسى وعبد العزيز واحمد.

والحديث عن ابن تومرت يطرح اشكاليتين :

- **الاولى : النسب العلوي** : فقد رفع نسبه الى الحسن بن علي بن ابي طالب . قال صاحب المعجب « ولمحمد بن تومرت نسبة متصلة بالحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب وجدت بخطه» (40).

وهذه النسبة هي التي نقلها خادمه وتابعه ابو بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيدق في كتابه المقتبس من كتاب « الانساب في معرفة الاصحاب» (41) مستبعدا نسبة اخرى مذكورة عند بعض المؤرخين (42).

---

(38) جعله ابن الاثير بين 469هـ و 473 وابن خلكان 485هـ، والراجح أنه ولد سنة 486 هـ لانه رحل الى المشرق سنة 501 هـ وعمره 15سنة.

(39) " الحلل الموشية"، طـ . زمامة ، وزكار، ص . 103.

(40) "المعجب . .. " ص . 178، طـ . القاهرة بتحقيق العلمي والعريان.

(41) طبعة الرباط، بتحقيق بنمنصور، ص . 12– 13.

(42) ذكرها صاحب الحلل الموشية، ص . 103.

وقد انكر البعض هذا النسب دون ان ينفوا عن اسرته شرفها بين قبائل مصمودة «البربرية». فقد قيل بان قومه عرفوا باسم «ايسرغينن» اي الشرفاء بلسان المصامدة. (43) .

وهناك قرائن ترجع جانب الشك في نسبه الشريف :

1 - انه وضع ذلك بخط يده في خضم الصراع السياسي الذي خاضه ضد المرابطين .

2 - ورجود عمودين مختلفين في تحديد نسبه، رغم انهما يؤديان معا الى الحسن بن علي.

3 - في انتسابه لسلالة الحسن بن الحسن بن علي اي السلالة الادريسية التي حكمت المغرب يهدف ابن تومرت الى الفوز برضا المغاربة خصوصا.

4 - في الانتساب الى البيت العلوي تثبيت لقضية المهدوية التي سيدعيها ابن تومرت فيما بعد، فالمهدي المنتظر يكون من صلب فاطمة (44).

الثانية : لقاؤه بالغزالي : لقد مكنته ظروفه من الانصراف الى العلم، اذ كان والده الثري في غنى عن خدماته (على عادة اهل البادية) ، وساعده ذكاؤه على ذلك.

---

(43) "المعجب. . ."، ص . 178و "الانيس المطرب"، ص . 172.

(44) الاحاديث الواردة في رسالة موحدية، والتي تتحدث عن ابن تومرت مهدي الموحدين، وتطابق صفاته مع ما قاله الرسول عن صفات المهدي المنتظر : "لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي. . . يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا. . ." وفي رواية أخرى : "من صلب فاطمة"، فلا غرابة اذ ن أن نجد اسمه محمدا واسم أبيه عبد الله ونسبه يرجع الى فاطمة.

الرسالة لابن طاهر واردة في "نظم الجمان" لابن القطان، ص . 50- 73، تحقيق محمود علي مكي، طـ . كلية الاداب الرباط.

وتحدث ابن ابي محلي عن المهدوية طويلا، وعن مهدي الموحدين في كتابه : "اصليت الخريت"، مخطوطة الخزانة الحسنية ابتداء من ص . 96. طبع مؤخرا بتحقيق عبدالمجيد القدوري

فلزم المسجد وحفظ القرآن وهو صغير السن . ثم فكر والده في تمكينه من اتمام دراسته، فاذن له بالرحلة الى الاندلس والمشرق سنة 501 هـ. هذه الرحلة التي استمرت الى حدود سنة 514 هـ. تقريبا .

واتصل خلالها بعلماء قرطبة (اخذ بها تعاليم ابن حزم)، والحجاز عموما، ودمشق وبغداد والاسكندرية فضلا عن لقاءاته العابرة بعلماء الشمال الافريقي.

وقد اختلف المؤرخون في مسألة لقائه بالغزالي، واضفوا على هذا اللقاء هالة اسطورية، وبنوا عليه كثيرا من النتائج.

فمنهم من ساق الخبر دون ان يبدي رايه فيه كابن الاثير الذي قال : «وكان ابن تومرت قد رحل في شبيبته الى بلاد الشرق في طلب العلم ...واجتمع بالغزالي ... قال بعض مؤرخي المغرب ، والصحيح انه لم يجتمع به» (45).

ومنهم من شك في اللقاء كابن خلدون الذي قال : «لقي فيما زعموا ابا حامد الغزالي» (46).

ويتأرجح صاحب المعجب بين الشك واليقين، فبعدما ابدى شكه في اللقاء «وقيل انه لقي ابا حامد الغزالي بالشام ايام تزهده، فالله اعلم»(47)، يعود ليؤكد الاتصال في حديثه عن رد فعل الغزالي عندما انتهى الى علمه وهو في مجلس له بالشام ما فعله امير المسلمين بكتبه، وكان ابن تومرت حاضرا : «قال الغزالي . . . ليذهبن عن قليل ملكه، وليقتلن ولده، وما احسب المتولي لذلك الا حاضرا مجلسنا، وكان ابن تومرت يحدث نفسه بالقيام عليهم فقوي طمعه» (48).

وهنالك مجموعة من المؤرخين تؤكد هذا اللقاء وتحدد مدته ومكانه :

---

(45) "الكامل . . . " ج 8، ص . 294.

(46) "العبر. . . " ، ج 6، ص . 466.

(47) "المعجب . . . " ص . 178.

(48) "المعجب . . . "، ص . 179.

فـابن ابي زرع يجعل المدة ثلاث سنوات «لازمة لاقتباس العلم منه ثلاث سنين» (49)، ويربط هذا الاتصال بمسألتين :

الاولى : قول الغزالي كلما رآه : (لابد لهذا البربري من دولة).

والثـانيـة : ان ابن تومـرت ظل يتـقـرب منه «حـتى اطلعـه على العلم الذي كـان عنده فيه»(49).

ويقـر صـــاحب « الحلل الوشيـة» باللقاء الا انه يجعل مكانه العراق بدلا من الشام : «قرأ (. . .) وببغداد على الامام ابي حامد الغزالي»(50).

ويربط هو الآخر هذا اللقاء بموقف المرابطين من كتب الامام ودعاء هذا الاخير على دولتهم بالفناء على يد ابن تومرت، وقد صب الرواية في قالب قصصي مثير جعل المحققين يعلقان عليهـا : «أثر الصنعة واضح على هذه القصة»(51).

وحـول مـسـألة العلم الذي اخذه ابن تومـرت عن الغـزالي او مـا يـسـمى عند الشـيـعـة بـ «الجفر»- وهو كتاب تركه علي بن ابي طالب - اطلع « جولد تسهير» على نسختين مخطوطتين من كتاب تاريخ الدولتين للزركشي احداهما في دار الكتب المصرية - والاخرى في الهند، ووجد في آخره «اول من استنسخه وقرأه علي بالمدرسة النظامية سرا من الناس في النوبة الثانية بعد رجوعه من السفر رجل من ارض المغرب يقال له محمد بن تومرت. . . .»(52).

ويعلق على هذا بقوله : « إن هذا الجفر من عمل الاسطورة»(53).

---

(49) الانيس المطرب بروض القرطاس ص172

(50) الحلل الموشية ص 104.

(51) الهامش 52من الحلل الموشية ص 105.

(52) Mohamed Ibn Toumert et la théologique de l'islam dans le Nord de l'afrique au XIe s. Alger 1903 p . 12 .

(53) سنعود الى توضيح الجفر والمقصود منه.

وقد انتهى «جولد تسهير» بعد التدبر في الموضوع الى إلغاء فكرة اللقاء(54)، وكذا فعل «ألفريد بيل» عند تناوله لمذهب ابن تومرت(55).

والحقيقة انه يستحيل زمنيا ان يتم اللقاء بين الرجلين : -فبغض النظر عن الاختلاف الحاصل لدى المؤرخين، وشك الثقاة منهم في الامر - فان هؤلاء يتفقون على ان اللقاء قد تم في الفترة التي تصوف فيها الغزالي وكانت بين عامي 488 و 499 هـ . فكيف يكون اللقاء قد تم ببغداد التي تركها الامام سنة 488 هـ.او في دمشق التي تركها سنة 490 هـ . في حين ان ابن تومرت لم يخرج من المغرب الا في سنة 501 هـ.

ولايمكن ان يتم اللقاء بعد هذه الفترة كذلك، حيث ألزم الوزير قمر الملك بن نظام الملك الامام الغزالي بالتدريس بالمدرسة النظامية بنيسابور وبقي بها الى سنة 505 هـ. فالتحق بطوس التي توفي بها في نفس السنة(56). والمعروف ان ابن تومرت لم يصل الى نيسابور.

ونتساءل لماذا لم يُثَر هذا الجدل حول لقائه بغير الغزالي من الأئمة الذين درس عليهم كأبي بكر الشاشي وعلي بن المبارك بن عبد الجبار وابي بكر الطرطوشي وغيرهم . . . ويمكن ان نجيب ان هذه المسألة كانت مصطنعة تهدف الى تحقيق اغراض سياسية :

1- فقد رمى بها الزعيم الموحدي الى استمالة الفقهاء الحاقدين على المرابطين بسبب احراقهم لمؤلفات الغزالي وخاصة «إحياء علوم الدين».

2- والى التأكيد على مشروعية دعوته، وحتمية نجاحه فيها : فالغزالي على مكانته كان يخاطبه قائلا : « لابد لهذا البربري من دولة»، وانه في دعائه على المرابطين بزوال ملكهم طلب منه ابن تومرت ان يكون ذلك على يديه، فدعا له .

---

(54) انظر الهامش 52.

(55) الفرق الاسلامية، الفريد بيل ص 251.

(56) الغزالي لمحمد فريد رفاعي ص 122-124.

وقد حكى المؤرخون الموالون للموحدين هذه القصة بكثير من الخشوع والقداسة دون أن يقدروا على إزالة رائحة الوضع عليها(57).

وقد نسي هؤلاء ان الغزالي كان ضد الدعاء على الناس، فقد جاء في كتابه «بداية الهداية» : «. . احفظ لسانك من الدعاء على احد من خلق الله تعالى .. . »(58).

وهكذا عاد ابن تومرت من رحلته العلمية بعلم غزير، وبطموح كبير في اقامة دولة المغرب.

لقد نما هذا الطموح وهو في المشرق عندما لاحظ -بذكائه- ملاحظة جديرة بالنظر :

- قوة المرابطين عسكريا، وضعفهم عقديا.
- ضعف العباسين عسكريا وقوتهم علميا وعقديا.

فلو تمكن المشرق والمغرب من جمع نقط القوة لتأسست دولة اسلامية عظيمة.

وندب ابن تومرت نفسه لهذه المهمة الخطيرة ، وحدد المنهج العلمي لتحقيقها . وقد جاء كالتالي :

1 - مراقبة الاخلاق :(اي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) وقد بدأت هذه المرحلة منذ خروجه من المشرق . ولا يهمنا ان نسوق الاحداث التي يرويها المؤرخون في هذا الباب، ونكتفي بالاشارة الى الحماس والجدية التي كان يباشر بها الرقابة معرضا حياته للموت في كل مرة(59).

وانتهت هذه المرحلة عندما اشتهر أمره وتكلم الناس عنه ووجهت رسائل الولاة الى مراكش من الجهات التي مر بها.

2- مناظرة علماء مراكش : وقد طلبت السلطة المركزية التعرف اليه، فتمت المناظرة الشهيرة بمسجد ابن يوسف، والتي أفحم فيها الداعية فقهاء الدولة. ولم يدرك مقصده وغزارة علمه وخطورته الا مالك بن وهيب (60)، الذي نصح عليا بقتله او سجنه على الاقل لما له من خطورة على

(57) انظر الهامش 51

(58) ص 262 مطبعة عطاية - مصر

(59) طرد من الاسكندرية والقى به في البحر من المركب وطرد من تونس، وضرب بمكناس، وكاد يمثل به في فاس، وكاد يقتل او يسجن بمراكش. انظر التفاصيل في المعجب ص 178-184

(60) وزيره الاول، عالم كبير له مؤلفات في الفلسفة (المعجب ص 185)

الحكم . الا ان ورع عَلِيّ منعه من ذلك (61).

3- زعيم حركة جديدة : بعد خروجه من المدينة بدأ في تأسيس خلايا تمكنه من انتزاع السلطة، وحرص على تعليمها وتدريسها بنفسه في اغمات أولا حيث تصدى للتدريس، ثم في تنملل(62) المحصنة بعد ما انسحب اليها برفقة اكبر اعوانه : عبد المومن، ابو محمد البشير، عمر الهنتاتي . وغيرهم (63).

وقد الف لهم رسائل بالعربية والبربرية لخص فيها مبادئ عقيدته : كتاب الصلاة، رسالة العبادة، عقيدة التوحيد، رسالة الامامة، رسالة القواعد، كتاب الطهارة، كتاب الجهاد . . . جمع اغلبها في كتاب : «اعز ما يطلب» (64).

ولتسهيل فهم القرآن كان يترجمه لهم الى البربرية، كما كان يخطب بها ايام الجمع والاعياد.

ولا يمكن للعبقرية او للذكاء الشخصي مهما بلغت درجتهما ان يكفيا وحدهما لانجاح عمل مهم كعمل ابن تومرت، وانما كان لظروف اخرى مختلفة، اجتماعية (قبلية) -اقتصادية، نصيب وافر في هذا النجاح الباهر.

لقد سبق لنا في محاضرات السنة الماضية (64م)السنة الثانية من السلك الاول) ان قبائل صنهاجة، ولمتونة المكونة للدولة المرابطية (دفعت الى التحرك) لشعورها باختناق في الصحراء :

أ- بسبب استيلاء قبائل زناتة القوية على الطرق التجارية بين الصحراء ودرعة وتارودانت، وبين هذه المناطق والشمال المغربي، فكانت صنهاجة لاتستطيع التقدم بالبضائع المتبادلة مع السودان ومالي الى الشمال، فكان الزناتيون هم المستفيدون الاوائل من هذه التجارة.

---

(61) المعجب ص 186. قال له عبارته المشهورة "واري ان تعتقله.. "

(62) "تين" باللغة المصمودية "ذات" و"ايملل" السطوح التي تسوى في الجبال للزراعة والسقي وهي قرية محصنة لذا قصدها ابن تومرت

(63) قسم ألفريد بيل حياة ابن تومرت الى فترتين:

-الاولى : مهاجمته للمنكرات ومعتقدات الناس في بلاده، وتستمر حتى سنة 513 هـ.

- والثانية : في تنملل حيث حرر عقيدة الجماعة ونظم حكومته وتبدأ من سنة 515 هـ وتستمر حتى وفاته سنة 524 هـ "الفرق الاسلامية" ص 205.

(64) نشره مع مقدمة قيمة جولد تسهير بالجزائر سنة 1903، وترجمت المقدمة الى الفرنسية

(64م) كان ذلك خلال السنة الجامعية 1980-1981.

ب- وسيطرة المصامدة السكان الاصليين للمغرب على الاراضي الزراعية الخصبة في السهول والجبال.

فكان على الصنهاجيين فك هذا الحصار المزدوج، ففتحوا الطريقين التجاريين:

اوليـــل -----> نـول ------> تارودانت، المؤدي الى اغمات ففاس.

أودغشت -----> أزقي ------> درعة -----> سجلماسة، المؤدي الى الشمال، واستولوا على كثير من الاراضي بالحوز وتامسنا. .. وذلك بعدما تم تأسيس الدولة المرابطية.

لقد شعر المصامدة بالمضايقة الصنهاجية خاصة وان نمط العيش مختلف (زراعي عند المصامدة، رعوي عند الصنهاجيين) وتجسدت المضايقة في بنائهم لمدينة مراكش، مع ما لذلك من تأثير اقتصادي على سكان المنطقة ونمط عيشهم.

فحاجة المدينة الى الماء للشرب والسقي أدى الى جلبه من نفيس وأغمات عن طريق السواقي والخطارات (ماء أگدال، وجنان الصالحة، والبساتين المومنية وصهاريج تدريب الجنود على العوم . . .) .

وحاجتها الى الخشب للبناء والاستعمال اليومي . . .أدى إلى الاضرار بمصامدة المنطقة وإبادة غابتهم . . .(2/64) .

كل هذا جعل المصامدة يتحينون الفرصة الملائمة لابعاد خصومهم الصنهاجيين والانقضاض على المدينة التي استبدت بمائهم ومراعيهم . فلم تكن هنالك أحسن من دعوة المهدي المصمودي. ولعل هذا مايفسر ما رافق الدعوة الموحدية من سفك للدماء.

وقد استغل ابن تومرت هذا الصراع لفائدته . وكان يميز بين المصامدة أنفسهم، فقد رتب القبائل على الشكل التالي:

- 1 - هرغة (قبيلته) وينتسب اليها بالولاء عبد المومن ومحمد البشير.
- 2 - قبائل تنملل

(2/64) Le Haouz de Marrakech, P . Pascon, 1/75

- 3 - قبائل هنتاتة.
- 4 - قبائل گدميوة
- 5 - قبائل كنفيسة
- 6 - بعض قبائل صنهاجة (هسكورة. ..)

وضمانا للأمن أثناء الحروب كان يعين على القبائل رؤساء لاينتمون اليها : عبد المومن على گدميوة، اسماعيل الخزرجي على هرغة . . .

وبهر ابن تومرت بعمله وذكائه قبائل مصمودة، فقدسوه (أشاعوا أنه لا يأكل ولا يشرب) ونسبوا له كثيرا من الكرامات(65) وكان كثير التشبه بالرسول في أفعاله:

- كثير الاعتكاف بغار في هرغة (سماه عبد المومن الغار المقدس).
- اعتبر خروجه الى تنملل هجرة، والملثمين كفرة.
- قسم اصحابه الى قسمين علي غرار المهاجرين والانصار.

أ - الذين رافقوه قبل ظهور الدعوة العلنية.

ب- قبائل هرغة وتنملل التي آوته ونصرته.

- تقديم عبد المومن للصلاة بالناس عند مرضه (كتقديم) الرسول لابي بكر.
- الدعوة الى الجهاد في سبيل الله.

ومنذ وصول ابن تومرت الى تنملل ادعى المهدوية، ونظم المصامدة وعوّدهم على الخضوع والطاعة اذ لم يكن يقبل المعارضة من أحد (تفسير أيام التمييز التي كان يعدم فيها المناوئين او من سماهم بالمنافقين).

وبعدما شعر باستعداد أصحابه للنضال في سبيل الدعوة الجديدة أذن لهم بالجهاد في سبيل الله ومقاتلة الكفرة الملثمين . فجهادهم أعظم من جهاد الروم وسائر الكفار بأضعاف كثيرة لانهم جسموا الخالق سبحانه وأنكروا التوحيد وعاندوا الحق.

---

(65) أخبار المهدي للبيدق، ص . 33والفرق الاسلامية، ص . 265.

وكان يحضر المعارك (دون أن يحارب)، ويخطط لها، ويختار الزعماء بنفسه ويسلم اليهم الرايات بيده (تبركا) (66).

ولم يكتب له أن يرى ثمرة مجهوده إذ توفي سنة 524 هـ . ولم يدخل عبد المومن الى مراكش (عاصمة المرابطين). إلا في سنة 541 هـ.

(66) أخبار المهدي للبيدق، ص . 56.

المبحث الثانــي : عناصـر العقيـدة الموحديــة

وُصفت العقيدة الموحدية التومرتية بأنها انتقائية تلفيقية، فقد ركّبها صاحبها من مجموعة من العقائد والنظريات المتعارضة أحيانا، وكانت له من وراء ذلك غاية واحدة : القضاء على الدولة المرابطية . لهذا بقي عمله التركيبي إياه محط انتقاد.

وتدور هذه العقيدة حول محورين متعارضين :

- الاول : دعا فيه الى استخدام العقل وإعماله، وقصد به انتقاد الجمود المرابطي، وإخراج الناس من الجهل الذي ضرب عليهم أيام هذه الدولة.

- والثاني : التشبث بمزيج من النظريات السنية الشيعية التي تتنافى واستخدام العقل : كالمهدوية والعصمة . . .

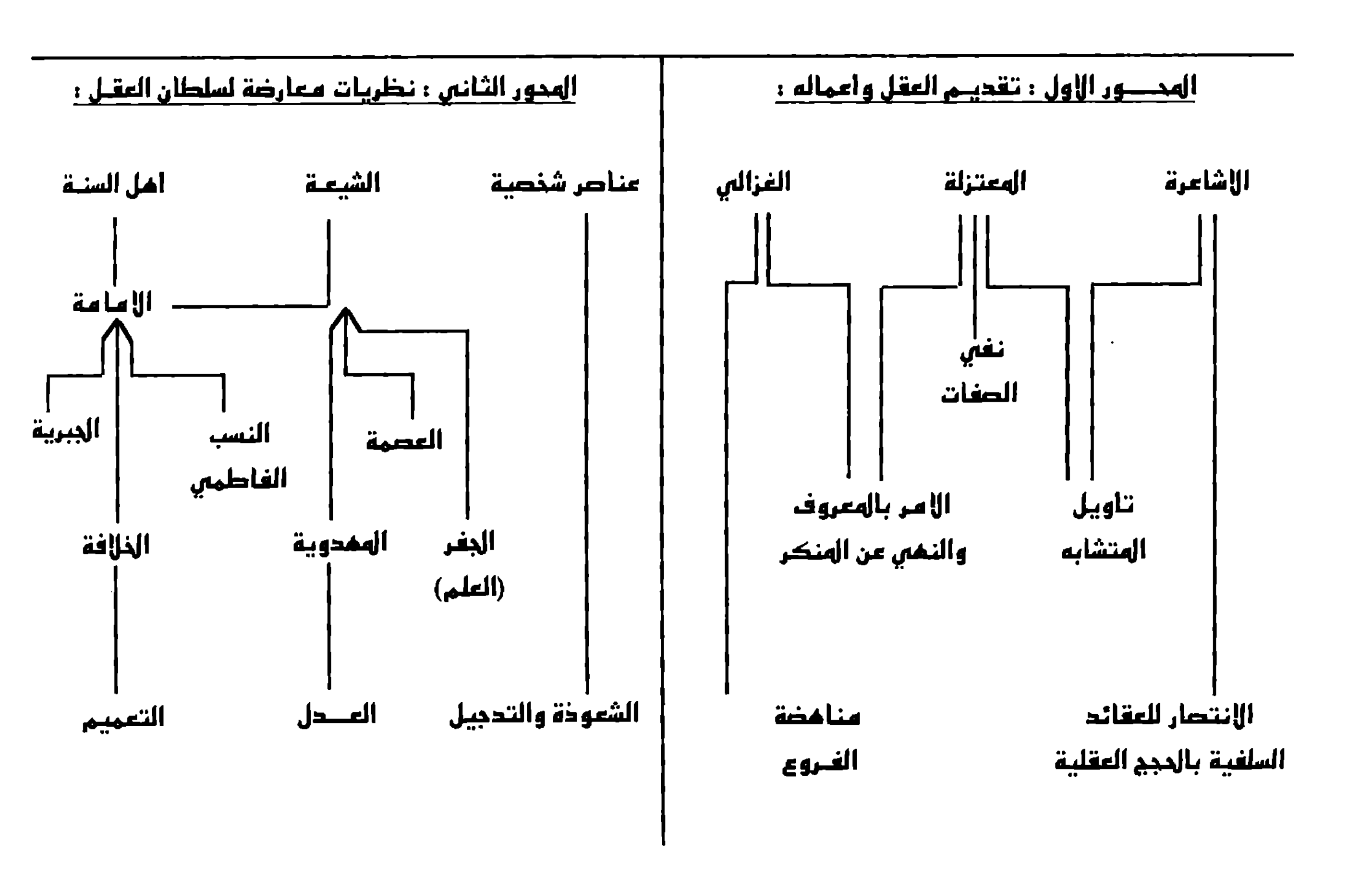
وزاد على ذلك لجوءه الى الشعوذة والتدجيل عندما تدعو الضرورة.
ويهدف من وراء هذا الى تبرير مطالبته بالحكم.

المحـــــــور الاول : دعـــوة الـى تـقديم العقـل :

يـــعطي ابن تومرت - تلميذ المعتزلة - للعقل مكانة في تفكيره، فبه يتوصل الى معرفة الخالق والى توحيده.

وقد سبق ابن رشد - في نظرية التوفيق بين الحكمة والشريعة الى القول بأن الحكمة التي يجب إبرازها للجمهور هي المقيدة أي التي تلتزم بالنص الشعري، أما المجادلات النظرية فيجب حجبه عنها لان تأويلاتها لاتناسب أفهام العامة، وهذا لايمنع طبقة معينة من الاشتغال بها. المهم أن تخاطب كل طبقة بما تفهم، ففي الخلط فساد للامور.

وقد حاول بالاتجاه العقلي إياه تكسير الارهاب الفكري الذي كان فقهاء المرابطين يمارسونه.


مصادر العقيدة التومرتية
المحور الأول : تقديم العقل وإعماله :
الأشاعرة
المعتزلة
الغزالي
نفي الصفات
تأويل المتشابه
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
الانتصار للعقائد السلفية بالحجج العقلية
مناهضة الفروع
المحور الثاني : نظريات معارضة لسلطان العقل :
عناصر شخصية
الشيعة
أهل السنة
الإمامة
الجبرية
النسب الفاطمي
العصمة
الخلافة
المهدوية
الجفر (العلم)
الشعوذة والتدجيل
العدل
التعميم

-1- **تأويل المتشابه** : في القرآن الكريم آيات محكمات (ليس كمثله شيء، هو الله الذي لااله الا هو . . .) وآيات متشابهات (الرحمن على العرش استوى، يد الله فوق أيديهم. . .)

وكان المغاربة يقولون برأي مالك والسلف في الاعتقاد بظاهر النصوص والصفات الواردة فيها من غير تأويل ولا صرف لها عن مدلولها اللغوي وكانوا ينزهون الخالق عن التشبه بالذات والاتصاف بصفات المخلوقين (الاستواء معلوم والطريقة مجهولة، والسؤال عنه بدعة . . .).

وقد نادى ابن تومرت بالتأويل ضدا على المرابطين الذين كانوا يقولون بالرأي المذكور، ونعتهم بالمجسمة الكفرة، قال : "إذا علم أن الله خالق كل شيء على أنه لايشبه شيئا، اذ لايشبه الشيء الا ما كان من جنسه . والخالق سبحانه يستحيل أن يكون من جنس المخلوقات اذ لو كان من جنسها لعجز كعجزها، ولو عجز كعجزها لاستحال منه وجود الافعال. ونفيها مع وجودها محال" (67).

ويرى أن الشرع أجاز لنا التأويل في اللغة، ذلك أن ألفاظا كان لها معنى خاص عند انتقالها الى الشرع :

- فالعدل في اللغة الميل، وفي الشرع الميل عن الباطل الى الحق وعن الشر الى الخير .
- والصلاة في اللغة الدعاء، وفي الشرع عبادة الله خمس مرات في اليوم.
- والصيام في اللغة الامساك، وفي الشرع الامساك عن شهوتي البطن والفرج في وقت معلوم وزمن محدود. . .

لهذا لا مانع من تأويل بعض الآيات : بالقوة والقدرة، والظهور. . .

-2- **نظرية التوحيد (او نفي الصفات)** : ترتبط بتأويل المتشابه الذي يؤدي الى عدم التجسيم وبالتالي الى التوحيد .

لله صفات وردت في القرآن وفي الحديث تدل عليها أسماء الله الحسنى وعددها (99) اسما، وقد وضع المتكلمون لله صفات بحسب هذه الاسماء، فطرحت إشكالية حدثت فيما يلي :

---

(67) أعز مايطلب، ص . 232 .

- هل ننظر الى هذه الصفات على أساس أن كل واحدة منها تشخيص للألوهية (على غرار الاقانيم في التثليث المسيحي)، او نقول انها عين الذات ؟

أصحاب النقل يرون أن الصفات متميزة عن الذات لانها لو كانت من ذاته لجاز توجيه الصلوات لهذه الصفة أو تلك من صفاته كما نوجهها لله، وهذا محال.

وأما أصحاب العقل فينكرون صفات الله من حيث هي صفات سواء أكانت قائمة بالذات او متميزة عنها. ويقولون إن الله واحد أحد وإن ما ينسب اليه من كيفيات مثل القدرة والعلم والحياة. .. ليست غير توكيد لهذا التوحيد المطلق.

وهذا ما يقول به ابن تومرت، فقد وصل بعد حجاج دقيق إلى أن الله واحد أحد ليست له صفات قائمة في ذاته، ولا زائدة منفصلة عنها . ولا يعترف الا بالاسماء الحسنى (له الاسماء الحسنى، هو الاول والآخر والظاهر والباطن. . .) وهي التي سمى بها نفسه على وجه التحديد، لا يجوز فيها القياس او الاصطلاح أو الاشتقاق وكل من يميز بين الذات والصفات (العلم، الحياة، القدرة . . . ،) كافر مجسم تجب محاربته (التعريض بالمرابطين) والجهاد ضد المجسمين أكبر وجوبا من الجهاد ضد المسيحيين.

ونلاحظ هنا أنه يضرب القياس الذي هو أصل من أصول التشريع السني، وسنعود الى الموضوع.

وقد أخذ فكرة التوحيد عن المعتزلة (أهل التوحيد والعدل) وهي فكرة مجردة تباعد بين الخالق والمخلوق (المعتزلة = المعطلة) على عكس آراء أهل الظاهر التي تقرب بين الله وبين الناس. والقول بالتوحيد (مسألة ذات أبعاد تجريدية) يتنافى والحالة التي كانت عليها قبائل مصمودة التي تحتاج الى تعلم ما لاتصح الصلاة الا به (فاتحة الكتاب وسورة معها) . وقد أخذ بهذه النظرية لتخريب العقيدة المرابطية، رغم عدم موافقتها للبيئة والشروط المغربية.

-3- **مناهضة الفروع** : أطلق الخصوم من عرب ومستشرقين على الدولة المرابطية دولة الفقهاء : ذلك أنهم كانوا طبقة متميزة، فمنعوا الاشتغال بعلم الكلام وتدريس الأصول، واهتموا بالفقه وفروعه، وحكّموا الرأي والقياس مما عقّد الدين وأبعد الناس عن أصوله، وأعطى للفقهاء سلطة

واسعة جعلتهم يحللون ويحرمون بناء على اجتهاداتهم، سواء كانوا في مستوى الاجتهاد او لا . بل كان بعضهم يستثمر اجتهاداته لمصلحته المادية الشيء الذي أدى الى انحطاط الدراسات الدينية ماتعلق منها بالشريعة والعقيدة.

وقد حمل عليهم الغزالي في "إحياء علوم الدين" مبينا أن الفقه علم الدنيا، وأن للفقهاء غايات مادية من فتاويهم وهذا ماحملهم على الإفتاء بإحراق هذا الكتاب في الاندلس ثم في المغرب.

وقد اعتمد ابن تومرت على الغزالي في آرائه الفقهية : فهو مثله دعا إلى إحلال المنهج العقلي لتقرير الأمور الشرعية بالدراسة المباشرة للأصول محل المنهج المتبع في المشرق والمغرب والمعتمد على دراسة فروع المسائل الفقهية حسب مذهب مالك . وتحصيل الفقه عنده يتم بخمس طرق، هي :

-1- الحديث المرفوع الى النبي.
-2- معرفة السند.
-3- معرفة نص الحديث.
-4- تمييز الصحيح من السقيم في النص.
-5- معرفة المعنى الحقيقي والمعنى المجازي (68).

وقد اتفق مع الأئمة في الطرق الاربع الاولى، في حين سلك منهج العقليين في التفسير المجازي، فهو مع إنكاره لإغلاق باب الاجتهاد المستند الى الأصول، يرفض الظن (الرأي الشخصي في تقرير التشريع) والرأي والقياس واجماع فقهاء عصر معين والاجتهاد لأنها فروع، ولأنها مصدر الخطأ والشك، مع إمكانية تعارضها مع الأصل. .

ولم يعد ثمة مبرر لإجماع الفقهاء (في عصره) لأن قرارات المهدي بوصفه الامام المعصوم تقوم مقامه وتغني عنه ولها قيمتها الشرعية(69).

وبهذا ينتقد ابن تومرت منهج المرابطين المرتكز على الفروع ويتمشى هذا مع نظرية في التوحيد، ذلك أنه برفضه للقياس يبعد الأقيسة الفاسدة، (في نظره)، أقيسة المجسمة الذين قالوا

---

(68) الفرق الاسلامية، ص . 274.
(69) الفرق الاسلامية، ص . 268.

جميع ما شاهدنا وجوده على ثلاثة أقسام : جوهر، أعراض، أجسام، وكذلك ما غاب عنا، أي الله سبحانه.

-4- **الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكـر** : من أصول المذهب المعتزلي، لايتم الايمان ولا التوحيد الا به .

وقال به الغزالي كذلك الا أنه قيده باختصاص أولي الامر، إذ أن من شأن قيام الافراد به أن يؤدي الى الفتنة .

واتخذ ابن تومرت هذا المبدأ - كغيره من السياسيين- وسيلة للتدخل في شؤون الدولة الحاكمة، والدعوة الي تغيير الاوضاع لما فيه صلاح الدنيا والدين. وكان كثيرا ما يردد : "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر".

واتخذ هذا المبدأ طابعا عمليا منذ تواجد ابن تومرت في المشرق ومصر ثم في افريقية والمغرب، فقد كان يهدف الى :

- إماتة المنكر وإخماد البدع : محاربة كل مظاهر المجون : شرب الخمر، سفور النساء، واختلاطهن بالرجال في الاسواق. . .

- وبالمقابل إحياء العلم وتنوير العامة : بتعليم الطلبة وبناء المساجد. والوقوف في وجه فقهاء المالكية وكافة المجسمين.

المحـــور الثاني - نظريــــات معارضـــة لسلطان العقل :

كان هدف ابن تومرت الوصول الى الحكم، لذا سلك أيسر السبل الموصلة اليه ولو أدى ذلك إلى اهتزاز عقيدته.

فبعدما دعا الى التأويل والتوحيد وإعمال العقل، نجده يدعو كذلك الى الايمان بالغيبيات، والاعتقاد في الشعوذة مما لايمكن لعقل سليم أن يتصوره . وقد أخذ أغلب هذه النظريات عن المذهب الشيعي.

-1- **الامامة والمهدوية والعصمة والجفر** : وهي عناصر متشاركة، فالدولة لابد لها من إمام والايمان بالامامة ضروري وفرض على الجميع. فهي "ركن من أركان الدين، وعمدة من عمد الشريعة، ولايصح قيام الحق في الدنيا الا بوجوب اعتقاد الامامة في كل زمان من الازمان الى أن تقوم الساعة : ما من زمان الا وفيه إمام لله قائم بالحق في أرضه"(70).

وهي ضرورة سياسية تنحصر في تولي السلطة والوصول الى الخلافة، وقد حاول ابن تومرت الاقتراب من أهل السنة فأكد أنه إمام كما كان أبو بكر وعمر وعثمان، فامتدح الخلفاء الراشدين كما أنه أثنى على عائشة، مخالفا بذلك الشيعة .

وربط -كالشيعة- الامامة بالمهدوية والعصمة، فقد قال في حديثه عن الامامة في عصره "ان العلم ارتفع، وأن الجهل عم، وأن الحق ارتفع، وأن الباطل عم . وأن الهدى ارتفع، وأن الضلال عم . وأن العدل ارتفع، وأن الجور عم. وأن الرؤساء الجهال استولوا على الدنيا ، وأن الملوك الصم البكم استولوا على الدنيا. . . وأن الباطل لايرفعه الا المهدي وأن الحق لايقوم الا به . .. "(71).

ولكي يصبح له الحق في هذا الادعاء انتسب ابن تومرت الى آل علي بن أبي طالب. وقد بدأ احدى رسائله الى المرابطين : من محمد بن عبد الله العربي القرشي الهاشمي الحسني الفاطمي...

والدافع الى القول بهذه النظريات - بالاضافة الى انتزاع السلطة من المرابطين - تحقيق رغبة المغاربة في أن يكون لهم زعيم فوق مستوى البشر (الامام لايأكل ولايشرب).

وركز على المهدوية ليفرض وجوده على البربر، ويجد بذلك المبرر لتنحية منافسيه (أيام التمييز).

فمما ورد في كتابه "أعز مايطلب". "ان الايمان بالمهدي واجب ، وان من شك فيه كافر، وانه معصوم فيما دعا اليه من الحق، لايجوز عليه الخطأ فيه، وانه لايكابر ولايضاد ولايدافع ولايعاند ولايخالف ولاينازع، وانه فرد في زمانه صادق في قوله، وانه يقطع الجبابرة والدجاجلة، وانه يفتح

(70) أعز ما يطلب ، ص . 245 - 246، طـ . الجزائر، 1903.

(71) أعز ما يطلب، ص . 245- 246.

الدنيا شرقها وغربها"(72).

وحتى لاتناقش أوامره حتى من طرف أتباعه، قال بالعصمة من الخطأ "ولايكون الامام الا معصوما من الباطل ليهدم الباطل. . . من الضلال. .. "(73).

والامام كما هو معروف لدى الشيعة سيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا، وسيبقى أمره قائما الى أن تقوم الساعة(74).

ويرتبط الجفر بالمهدوية والعصمة، فعند الشيعة أن جعفرا الصادق(75) كتب لهم على جلد معز (الجفر) كل ما يحتاجون اليه وكل مايكون الى يوم القيامة(76). وتوارثه أئمتهم، ومنهم ابن تومرت الذي اطلع عليه بالمشرق(77). وعبر عن هذا الاطلاع في عدة مناسبات، منها :

أ - في بحثه عن عبد المومن : فقد رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب بمكان يسمى السوس، وهو من ذرية رسول الله، يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب هجاء اسمه: ت ي ن م ل ل، ورأى فيه أن استقامة ذلك الامر وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه : ع ب د م و م ن ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة . وقد بحث عن هذا الرجل في المشرق والمغرب حتى لقيه بملالة. وفي المعجب تنبؤات باختيار عبد المومن للقيام بالامر (78).

---

(72) أعز ما يطلب، ص . 257. والمهدوية التومرتية معتدلة بالقياس مع المهدوية الفاطمية التي نشأت على مبادىء إسماعيلية مغالية يعدها الاسلام كفرا، اذ تنتهي الى تأليه أئمتهم. أما عند ابن تومرت، فالمهدوية تدخل في مخططه السياسي أكثر مما تدخل في مخططه المذهبي، فهو مصلح رغب في تجديد الاسلام عن طريق المهدوية والامامة.

كانت هذه ملاحظة الاستاذ حسيسن على مهدوية ابن تومرت : "مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور" ، ج 1، ص . 173.

(73) أعز ما يطلب، ص . 245-246.

(74) أعز ما يطلب، ص . 257.

(75) هو أبو محمد الباقر، وهو الامام السادس من أئمة الشيعة (الاثنى عشرية).

(76) تعرضت هذه النظرية لاستهزاء الشعراء، "وفيات الاعيان"، ج 3، ص . 240.

(77) "المعجب. .. . "، ص . 180.

(78) " المعجب . . .. "، ص . 181- 183.

ب - وكان يقول لاصحابه : لو شئت ان أعد خلفاءكم خليفة خليفة. . . وأنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم، ويقتل الدجال. ومنكم الامير الذي يصلي بعيسى بن مريم، ولايزال الامر فيكم الى قيام الساعة(79). والواضح أن عقلا كعقل ابن تومرت لايمكن أن يومن بهذه الخرافات، ولكنه اعتمدها تحقيقا لغايتين :

- الاولى : إظهار نفسه بمظهر فوق مستوى البشر ليومن به المصامدة (تشبهه بالرسول)، وقد فطن صاحب المعجب لذلك علق على أقواله السابقة "فزادت فتنة القوم به، وأظهروا له شدة الطاعة" (80).

- الثانية : ويفسر إقحامه لاسم عبد المومن اعتماده على هذا الشاب الزناتي الذكي لتتميم مشروعه، فقد كان يعلم أن الأمر لن يصلح لو أسند الى أحد المصامدة (الصراع القبلي)، وفي ذكر اسمه ردع للمنافسين المحتملين . فالامر مكتوب ، ولايمكن مخالفته (81).

وكان ابن تومرت يقول بالقضاء والقدر على مذهب الجبرية منكر حرية الارادة، وهذا يتعارض مع المذاهب العقلية ومع مذهب الاشعري في الكسب والاستطاعة، قال : "كل ما ظهر وجوده بعد عدمه من أصناف الخلائق في ملك الباري سبحانه، سبق قضاؤه وقدره : الأرزاق مقسومة، والاثارمكتوبة، والأنفاس معدودة. . . "(82).

ويرى أن الله لا يكلف على العبد الا ما يطيقه، إذ أن تكليف ما لايطاق محال، ويختلف في هذا مع الغزالـي.

وفي القول بالجبرية تدعيم لادعائه المهدوية والعصمة، ولسياسته الرامية الى انتزاع السلطة من المرابطين، والى إسكات المناوئين.

---

(79) " المعجب . . . . "، ص . 188- 189.

(80) " المعجب . . . . "، ص . 189.

(81) حتى يندمج في قبيلة تينمل، أشار عليه ابن تومرت بالزواج بزينب بنت موسى الضرير احد اشياخها .

(82) أعز مايطلب 236.

وكان طموح ابن تومرت واسعا، فدعوته لم تكن مقتصرة على المغرب وافريقية وإنما كـــان ينوي نشرها في المشرق بكامله، فيكون خليفة لكل المسلمين، وقد سبق أن قلنا أنه كان يرغب في جمع قوة المغرب العسكرية الى قوة المشرق العقدية، فيعيد إلى الخلافة الاسلامية (التي لم يبق منها إلا الاسم) مجدها، واتصل بأهل مصر فاستجاب بعضهم لدعوته (آخاه خمسون رجلا) وآمنوا بمذهبه، حتى إن ابن جبير قال فيما بعد بأن الناس ترقبوا غزو الموحدين لمصر (83).

ونذكر كذلك ما كان يقوله لأصحابه : أنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم، ففيه تعبير عن شمولية دعوته .

وظلت الفكرة تراود الخلفاء بعده، فقد كان المنصور عندما يذكر له ما بمصر من بدع وأهواء يقول : "نحن مطهروها إن شاء الله " (84) ويمكن أن ندخل في هذا الباب موقف هذا الخليفة من طلب المساعدة المقدم اليه من طرف صلاح الدين الايوبي أثناء حروبه مع الصليبين.

-2- **الشعوذة والتدجيل** : كان ابن تومرت يلجأ الى الشعوذة والتدجيل عندما تعجز الوسائل الاخرى عن تحقيق الهدف . فقد رغب في اجتذاب المصامدة والتأثير عليهم فاتفق مع أبي محمد البشير (عبد الله الونشريشي) على كتم الفصاحة واظهار العي وقدمه لهم على هذا الاساس، ثم أمره بالكلام فتكلم فكان إعجاب المصامدة وتقديرهم كبيرين.

وطالت حروب الموحدين والمرابطين، وتكررت هزائمهم، وكانت هزيمة البحيرة أعظمها، فخاف ابن تومرت من غضب المصامدة او يأسهم من النصر، فلجأ الى التدجيل لارجاع الحماس الى النفوس. فأخذ قوما من اتباعه، ودفنهم أحياء في ميدان المعركة، وجعل لكل واحد منهم متنفسا في قبره وقال لهم : إذا ما سألتكم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا في مضاعفة الثواب على جهاد لمتونة، فجدوا في جهاد عدوكم، فافتتن بذلك الناس.

ثم أتى فأغلق على أصحابه - الذين دفنهم- المنافس التي كانت قد تركت لهم فماتوا(84).

---

(83)رحلة ابن جبير 23/22و 50/49.

(84) العلوم والآداب والفنون للمنوني ص . 12.

المبحث الثالث :تطور العقيدة بعد ابن تومرت

لم يجد المذهب التومرتي الترحيب التلقائي من طرف النخبة المثقفة في المغرب والمشرق ولم يكن مفهوما من طرف الطبقات العامة لطابعه العقلي المجرد . ولذا فرضه ابن تومرت بالسيف والشعوذة وترتب عن هذا :

-1- احتفاظ المغاربة بمذهبهم الاصلي ومسايرة بعضهم للمذهب الجديد مداراة وخوفا .

-2- ثورة بعض العلماء واستنكارهم لبدع ابن تومرت كالقاضي عياض الذي قضى نحبه وهو يحارب المذهب الجديد.

-3- تشنيع آخرين بالمذهب، وإفتاؤهم فيما بعد بكفر ابن تومرت وخروجه عن الدين(85).

وقد أدرك عبد المومن (خليفة المهدي) لا شعبية المذهب وعدم فهم العامة لدقائقه فحاول تجسيده بالدعوة الى إصلاح المساجد، والنهي عن المنكر وتحريق كتب الفروع(86).

وضمانا لاستمرار المذهب وتنفيذ مخططاته أسس ابن تومرت مجلسا لاصحابه (العشرة) ومجلسا استشاريا (مجلس الخمسين) (87). وقد مارس نفس الطرق القمعية التي كان الزعيم يسلكها محافظة على العقيدة . ويبدو أن هؤلاء كانوا يشركون الخليفة نفسه في هذه الطرق . لهذا حاول التخلص منهم عن طريق إدخال تغييرات على المذهب، وهذا ما أشار إليه المؤرخون عندما ردوا جذور حركة المنصور الى عبد المومن(88). ولعله تراجع عن ذلك :

---

(85) الشاطبي في الاعتصام، طبعة مصر ج . 1ص . 205-206، وابن الاحمر، في بيوتات فاس، الكبرى، تحقيق بنمنصور، طبعة الرباط، ص . 20، ومؤخرا الاستقصاء ج . 2.ص. 102، والاعلام لعباس بن ابراهيم، المطبعة الملكية ج . 4 ص . 26.

(86) "المعجب . . . ." ص . 185.

(87) تحدث عن هذه المجالس، محمد كمال شبانة : "الدولة الموحدية وتأملات في تاريخها"، البحث العلمي، ع 20-21، ص . 144...

(88) انظر محمد المنوني في "العلوم والآداب والفنون"، ص . 52.

-1- لقوة هؤلاء الشيوخ واتحادهم (حرضوا عليه أخوي المهدي عيسى وعبد العزيز).
-2- لان الدولة لم تقف على رجليها بعد، إضافة إلى تردي الاوضاع في الاندلس في بداية حكم عبد المومن .

لهذاساير خليفة المهدي محافظا على المذهب التومرتي، ولم يستطع ابنه محمد - لضعف شخصيته - أن يسير على نفس الخطة القمعية التي سار عليها المهدي وخليفته، فخلعه الشيوخ - بتواطؤ مع أخويه يوسف وعمر - وولوا مكانه أبا يعقوب ومنحوه سنتين قبل الاعتراف به ليظهر فيهما كفاءته وقدرته على حماية المذهب وشيوخ الموحدين(89).

وظل الشيوخ محافظين على مكانتهم السامية في الدولة طيلة عهد يوسف الذي شغل بفتوحاته الاندلسية ومواجهاته للمسيحيين (قتل في إحدى هذه المواجهات).

الانقـــلاب المنصـــوري : يبدو أن المنصور (580-595 هـ) كان أكثر جرأة من والده وجده فقد رفض وصاية هؤلاء الشيوخ وتدخلهم في شؤون الدولة (حرضوا عليه أخويه أبا حفص عمر وأبـــا يحيـى، وعمه سليمان بن عبد المومن فانتصر عليهم). وعزم على وضع حد لسلطتهم - بعد ذلك - عن طريق إعادة النظر في العقيدة التومرتية وتنظيمات المهدي التي خولتها إليهم، وشجعه على ذلك :

-1- نشوة الانتصار في (معركة الأرك) العظيمة .
- 2- التأييدالشعبي الذي كسبه بفعل الانتصار.
-3- ما خلفه استنجاد صلاح الدين الايوبي من الاعتزاز بالنفس وشعور بالقوة.

واعتمد على الطلبة والحفاظ لمؤازرته، فرفع من مكانتهم وقدمهم(90).

وكان لهذا الانقلاب أثره على الحياة السياسية فقد نشبت ثورات في ماسة وغمارة حيث أنصار المهدي، وظل المالكيون يساعدون بني غانية في الاندلس وإفريقية ويدعمونهم للاستمرار في محاربة الموحدين(91).

---

(89) "المعجب. . . " ، ص .236.
(90) " المعجب . . . " ، ص . 280.
(91) انظر مواجهاتهم الكثيرة في "المعجب. . . " ص . 267-279 وفي كتاب : A. Bel : "Les Banu Ghanya, derniers représentants des Almoravides et leurs luttes contre les Almohades", Paris, 1933.

ويتضمن الانقلاب رفض المهدوية والامامة والعصمة، والاستخفاف بعقول القائلين بها .

فقد أخبر ابو العباس احمد بن ابراهيم بن مطرف المري عبد الواحد المراكشي بأن يعقوب المنصور قال له : "يا أبا العباس اشهد لي بين يدي الله عز وجل أني لا أقول بالعصمة".

وقال له يوما وقد استأذنه في فعل شيء يفتقر الى وجوده الامام : "يا أبا العباس : أين الامام ؟ أين الامام" .

وقال مغضبا لابي بكر بن هانيء الجياني عندما أخبره بأنه يقرأ تآليف الامام أي ابن تومرت - " ما هكذا يقول الطالب، إنما حكمك أن تقول قرأت كتاب الله وقرأت شيئا من السنة"(92).

وأخذ - كما يبدو من هذا الجواب - بالمذهب الظاهري الذي لايعترف إلا بالقرآن والحديث كأساس لكل مايتعلق بالشرع شريطة أن يوخذ النص على ظاهره . وبهذا ضرب فكرة التأويل المعتمدة بالاساس في عقيدة ابن تومرت، وضرب في نفس الوقت التقليد والالتجاء الى الفروع .

وأخذت حركته صبغة عملية حيث أمر بإحراق كتب الفروع في سائر البلاد : "كمدونة" سحنون، و "نوادر" ابن أبي زيد و "مختصره " وكتاب "التهذيب" للبرادعي. . .

قال المراكشي " لقد شهدت منها وأنا يومئذ بفاس، يؤتى منها بالاحمال فتوضع ويطلق فيها النار"(93).

وتوعد بالعقوبة الشديدة كل من يشتغل بالرأي(94).

وأمر بعض العلماء والمحدثين بوضع كتاب في الصلاة(95) وما يتعلق بها يستقون أحاديثه من الكتب الصحاح "فكان يمليه بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه. . .ويجعل لمن حفظه الجعل السني من الكساء والأموال"(96).

---

(92) "المعجب . . . "، ص . 291-292.

(93) "المعجب . . . "، ص . 291-292.

(94) "المعجب . . ."، ص . 278-279.

(95) اسمه : "الترغيب في الصلاة"، مخطوطة الخزانة الحسنية رقم 4478.

(96) "المعجب. . . " ص . 279.

وقد نص على ظاهرية المنصور كثير من المؤرخين (97) ،إلا أن للاستاذ عبد الهادي أحمد الحسيسن رأيا خاصا في الموضوع(98) فهو يرى:

-1- أنه لايوجد نص يثبت ان احدا من الموحدين دعا الى اعتناق المذهب الموحدي .

-2- ان المنصور كان معجبا بابن حزم الظاهري، فقد قال لما وقف على قبره : "كل العلماء عيال على ابن حزم" لذا وجد هذا المذهب متنفسا في عهده.

-3- لم يقل صاحب "المعجب" بظاهرية المنصور عند حديثه عن ابن حزم وعن ظاهرية إبراهيم المرابطي ووالده.

-4- كان المنصور يرغب في تجديد الدين أكثر من رغبته في تطبيق المذهب الظاهري الحزمي.

لذا فان المنصور لم يكن ظاهريا داوديا او ظاهريا حزميا وانما كان ظاهريا في شكل آخر يدعو الى الاجتهاد ونبذ التقليد .

والحق أن الظاهرية - مع تعدد أشكالها- يجمعها مضمون واحد هو الدعوة الى الكتاب والسنة والرجوع الى الاصول وهو ما دعا اليه المنصور وسعى الى تطبيقه عمليا :

-1- بإحراق كتب الفروع - كما بينا . . .

-2- بتأليف كتاب "الصلاة" من الامهات.

ومع إحراقه لهذه الكتب كانت حاجته الى الفقهاء تتزايد في عالم اسلامي كان في صراع مع المسيحية التي أخذت تتقوى وتسيطر . وكان لهؤلاء الفقهاء دور كبير في الدعوة الى الجهاد . لذا

(97) من هؤلاء : ابن جزي في كتابه : "القوانين الفقهية"، طبعة تونس 1344ص . 402- 418.

- الشاطبي في الاعتصام، طبعة مصر، ج 1، ص . 133-206.

-بيوتات فاس الكبرى، طبعة بنمنصور الرباط 1972.

- عصر المنصور الموحدي للمنين ص . 253.

- الدعــوة المــوحدية بالمــغرب لعلام ص. 306. تراجع عن رأيه في كتابه الدولة الموحدية بالمغرب، ص . 312.

(98) موقف يعقوب المنصور من الظاهرية، مجلة دار الحديث الحسنية ، عدد 2، 1981.

انتهزوا فرصة الاحراق فأوعزوا اليه بإحراق كتب الحكمة كذلك -وهم المتذمرون من الفلاسفة والمتكلمين -لانها لا تختلف عن كتب الفروع في اعمال الرأي والابتعاد عن الاصول . فلفقت الحجج لادانة ابن رشد والقاضي الأصولي ابي عبد الله ابراهيم وغيرهما من الفلاسفة الذين كانت لهم مكانة في الدولة.

وكسب بذلك ثقة الفقهاء والطبقات الشعبية، إلا أنه وضع في نفس الوقت حدا للانطلاقة الفكرية التي أرسى ابن تومرت ركائزها ، فتم الرجوع الى الجمود الفكري ونفي الاجتهاد وفسح المجال للاولياء والصوفية وآمن بمذهبهم (دعوته لابي مدين التلمساني، ومحاولة اتصاله بأبي العباس السبتي) (99).

حركة المامون :

كانت هزيمة العقاب سنة 609هـ. ايذانا ببداية النهاية، فقد دب الضعف في أوصال الدولة : ولم يستطع الخلفاء الضعاف (عددهم 9) أن يعيدوا الاعتبار إليها.

وللتنظيم القبلي الذي وضعه ابن تومرت أثر في هذا الضعف : فقد استطاع عبد المومن احباط محاولات الاشياخ تطويقه، وكذا فعل حفيده المنصور -دون القضاء على العقيدة نهائيا- إلا أن هؤلاء استغلوا وفاة الناصر المفاجئة سنة 610 هـ . وصغر سن ابنه (16سنة) لإحكام السيطرة عليه واحتلال المناصب المهمة في الدولة، فأحكموا الخناق على كل من عبد الواحد والعادل اللذين جاءا بعده.

وعندما آل الامر الى المامون سنة 624هـ . لم يجد بيده من الخلافة الا الاسم . فكان عليه إما أن يقبل هذا الوضع كسابقيه، او يجد الطريقة لفك الخناق وإبعاد الارستقراطية الموحدية عن الخوض في شؤون الدولة .

واختار المواجهة، وركزها على واجهتين :

- حربية : اعتقل أربعة آلاف شيخ وأعدمهم(100) معتمدا على فرقة عسكرية مسيحية أعارها له فردناند ملك قشتالة وعلى عرب بني هلال .

(99) انظر محمد زنيبر : ابن رشد والرشدية في إطارهما التاريخي، ج1، ص . 43، أعمال ندوة ابن رشد.

(100) بلغ عدد المقتولين من شيوخ ومفكرين :14 ألفا علقت رؤوسهم بأسوار مراكش، "الحلل .. ".

- **مـذهبيـــة** : رفض المذهب التومرتي رسميا، فأزال اسم المهدي من الخطبة، ومن السكة وأمر بسبه على المنابر، وأزال اسم جميع الموحدين مما كان العمل به في سائر البلاد (101).

ولاحظ ألفريد بيل (102) بالفعل فروقا بين نقود الدولة الموحدية . فقبل المامون كان يكتب عليها عادة :

الله ربنـــــا

محمد رسولنـا

المهدي إمامنـا

وبعد ثورته ضرب النقود المامونية الجديدة بسجلماسة وعليها :

الله ربنـــــا	وعلى أخرى :	اللـــه ربنـــــا
محمد رسولنا		محمـــد رسولنـا
القرآن إمامنا		القـــرآن كـــلام اللـــه.

وخطب المامون في ذلك خطبة مشهورة وبعث رسائل إلى سائر الاقطار يخبر فيها بسقوط دعوة المهدي . ومما جاء فيها : "أيها الناس لاتدعوه المهدي المعصوم، وادعوه بالغوي المذموم ، فإنه لامعصوم الا الانبياء، ولامهدي إلا عيسى، وإنا نبذنا أمره النحيس"(103).

ولم تترتب عن هذه الحركة أية معارضة اجتماعية، ذلك أن الذين خرجوا على المامون فيما بعد كانوا محركين بأطماع توسعية(104).

الخاتمـــــة : انتصار المذهب المالكي :

حاول الرشيد بن المامون (630 هـ) اقتفاء أثر والده في التنكر للمهدوية، ولكن ماتبقى من الشيوخ اشترطوا عليه مقابل مساندتهم له التعهد باعادة سنن المهدي، ففعل ذلك(105).

---

(101) "الحلل الموشية"، ص . 164.

(102) A. Bel Contribution à l'étude du dirham de l'époque almohade, Hespéris, 1933, 1er, 2éme tri. fasc. 1-2 T. XV, PP . 1-68

(103) "الحلل الموشية" ص . 164– 165، والانيس المطرب، ص . 251، طبعة الرباط 1973.

(104) مثل محمد بن يوسف أمير مرسية، وأحمد بن محمد الباجي أمير اشبيلية وغيرهما.

(105) تاريخ البربر، طبعة في سلان ج 1، ص . 345.

ولكن لم يعد لدعوة ابن تومرت ما كان لها من سلطان ونفوذ أيام مؤسسها أو خليفته، إذ أن شوكة الاشياخ قد تكسرت وان نظريات المهدي لم تجد لاالداعية الماهر الذكي ولا الآذان الصاغية . ومع ضعف الدولة وتكاثر الثوار ضدها، عاد المذهب المالكي الى الظهور، وقد بقي كثير من الفقهاء مخلصين له. منهم من واجه المذهب الجديد صراحة كعياض، ومنهم من تعصب له وأظهره كمحمد بن سعيد الانصاري خلال حكم المنصور .

وهكذا أعيد انتساخ الكتب المالكية المحروقة إما من الاصول المحتفظ بها لدى المالكية، أو من ذاكرة الفقهاء والعلماء الذين يستظهرونها. فقد كتبت "المدونة" من حفظ أبي محمد عبد الله التادلي(106) . ومن حفظ علي بن عشرين .

واستفاد المذهب من المناظرات التي تمت بين المالكية وخصومهم، وساعده على صموده واستمراره :

-1- طبيعة المذهب الذي يقوم على النص والنقل والاثر والرواية وواقعيته القائمة على عمل أهل المدينة موافقا بذلك مزاج المغاربة الذي ينفر من الغموض والابهام ويميل الى البساطة واليسر.

-2- تجدده باستمرار انطلاقا من مبدأي : المصالح المرسلة والذرائع، وما تعطيانه من مرونة وقابلية للتكيف مع أية بيئة وفي أي عصر، وحل مختلف القضايا والنوازل الطارئة .

-3- نضالية المذهب وجماهيريته والتحام فقهائه بالقضايا الوطنية وتقدمهم في ميدان الجهاد (107).

---

(106) "الفكر السامي" للحجوي، ج .4، ص . .11 الرباط- فاس 1345.

(107) أسباب انتشار المذهب المالكي واستمراره بالمغرب، عباس الجراري، دعوة الحق، عدد 224، غشت - شتنبر 1982، ص . 25.

الفصـــل الثـــانـــي

أثـــر العقيـــدة في الأدب

تـوطـــئة : أثرها في الفكر عمو ما

كان لاعـتماد العقـيدة الموحدية على العقل أثر في تحـرير الفكر الذي رانت عليه أدران الجمود والتحجر المفروضين من طرف فقهاء المرابطين . وتجلى هذا التحرر في النشاط العلمي الهائل الذي عرفه العصر . فلم تعد هناك علوم محظورة وأخرى يمكن الاشتغال بها، كما كان الشأن فيما قبل، بل لقد شجع الموحدون تدريس الأصول والكلام والفلسفة حتى ان الأندلسيين - المتقدمين في هذه العلوم - صاروا يرحلون الى المغرب لدراستها بفاس. وقد اشتهر في هذه العلوم(108):

- أبو عبد الله محمد الفندلاوي الفاسي (ت. 596 هـ)صاحب أرجوزة في الأصول.
- أبو الحسن علي بن محمد الخزرجي الاشبيلي الفاسي المعروف بابن الحصار (ت.611 هـ) له كتاب البيان في تنقيح البرهان وأرجوزة في علم الكلام.
- علي بن محـمد الاندلسي المعروف بابن الاشبـيلي (ت. 567 هـ) كـان يعلم الأصـول والكلام بفاس.
- أبو الحجاج يوسف بن عبد الصمد الفاسي المعروف بإبن عدي (ت. 614 هـ) كان إماما في علمي الاصول والكلام.
- أبو الحسن الاشبيلي الذي كان يدرس "أعز مايطلب" وعلم الكلام بمراكش.
- وعثمان بن عبد الله السلالجي الفاسي (ت. 564 هـ) صاحب "العقيدة البرهانية في التوحيد".
- وأبو الحجاج يوسف المكلاتي الفاسي (ت. 626 هـ) الذي ألف كتاب : "لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الاصول"(109).

---

(108) للاطلاع على الحركة العلمية في العصر الموحدي راجع على الخصوص كتاب العلوم والادب والفنون... للمنوني طبعة الرباط 1976.

(109) طبع بدار الانصار القاهرة بتحقيق د . فوقية حسين محمود سنة 1977.

ومن الفلاسفة المشهورين في هذا العصر : ابن زهر وابن طفيل وابن رشد . ومن الصوفية : عبد السلام بن مشيش وأبو العباس السبتي وأبو الحسن الشاذلي.

ولهذا نوه ابن رشد في آخر كتابه "فصل المقال" بالخلفاء الموحدين الذين شجعوا الفلسفة وعلم الكلام.

واضافة إلى العلوم التقليدية التي كان المغاربة يشتغلون بها قبل الموحدين كالتفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة – والتي استمر الاهتمام بها- فان الموحدين تطبيقا لشعار دولتهم- العظمة والدين والتجديد- قد شجعوا علوما تعتمد على التجربة والعقل أكثر مما تعتمد على الاثر والنقل كالحساب والهدنسة والتنجيم والكيمياء والطب والصيدلة.

وقد استثنى المنصور من الاحراق هذه الكتب على الخصوص.

– فمن المشتغلين بالحساب أبو الحسن علي بن محمد بن فرتون القيسي: كان يدرسه بفاس، وله كتاب "اللباب في مسائل الحساب".

– وأبو عبد الله محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين الفاسي (601 هـ) له منظومة في الجبر والجذور.

– وأبو الحسن علي المراكشي صاحب "جامع المبادئ والغايات" في الحساب والجبر ، والمقابلة والتوقيت .

– وأبو العباس أحمد العزفي صاحب كتاب "في المقاييس". وغيرهم.

وتجلى ازدهار الهندسة في المدينة العظيمة التي أمر عبد المومن ببنائها في جبل طارق لتكون قاعدة للجنود المغاربة المتجهين الى الاندلس . أشرف على بنائها الحاج يعيش الاحوص المالقي، وأبو إسحاق بزار بن محمد. وهذا الاخير ، هو الذي اشرف على صنع مقصورة ميكانكية متحركة يصلي فيها الخلفاء.

وعمل أحمد بن حسان القضاعي (ت . 598 هـ) الشكل الهندسي لاستخراج القبلة بمراكش على عهد المنصور.

وطور الموحدون علم التنجيم ببناء مرصد باشبيلية وهو أول مرصد بني في اروبا لرصد النجوم. وصنعوا بباب جامع الكتبيين ساعة ارتفاعها خمسون ذراعا تتحرك أجراسها كل ساعة(110). وبنوا قرب باب الجيسة بفاس برجا لمراقبة الهلال به نوافذ على عدد شهور السنة يراقب كل شهر من واحد منها(111).

ومن مشاهير المشتغلين بهذا العلم يعقوب المنصور، والشريف الادريسي، وأبو علي المراكشي، وأبو العباس احمد بن الكماد، وابو محمد عبد الله الفاسي المعروف بابن السكاك، وابو عبد الله الشلبي الفاسي.

واهتم العلماء في هذا العصر بالكيمياء فدرسها بفاس ابو الحسن علي بن موسى الانصاري الجياني المعروف بابن النقرات وله فيها مؤلفات(112)، وابن تاتلي من أولاد الملثمين، وأبو الطواجين القصري الكتامي وابنه محمد.

وتقدمت الدراسات الطبية في عهد الموحدين على يد مجموعة من الاطباء تأتي على رأسهم عائلة بني زهر، وعلي بن يقظان السبتي، وأحمد بن عبد الملك الجذامي، وابو اسحاق ابراهيم السلمي. وفي طبقات الاطباء أسماء واحد وعشرين طبيبا كانوا يمارسون لدى الخلفاء الموحدين.

وكان أبو الحجاج يوسف المريبطري يدرس الطب بمراكش، وألف يوسف ابن فتوح القرشي "في النبات"، وابن رشد "كتاب الكليات"، وابن زهر الحفيد "كتاب التيسير"، والاشبيلي "الادوية المفردة".

وأسس يوسف بن عبد المومن بيتا للادوية والمعاجين الطبية، كما أسس يعقوب المارستان المشهور بمراكش(113).

---

(110) صبح الاعشى 162/5.

(111) سلوة الانفاس 154/3.

(112) الجذوة 305.

(113) العلوم والآداب والفنون ،،، 123– 133.

وهكذا فإن الدراسات في العصر الموحدي لم تعد مقتصرة على الشروح الفقهية الدينية، وإنما فتحت العقيدة بتقديمها للعقل آفاقا علمية واسعة مكنت من الاسهام في تطوير كثير من العلوم البحثة والتجريبية.

وأدى هذا الاتجاه العقلي في العقيدة الى رفع شعار الاستقلال والاجتهاد ورد علوم المشرق ومذاهبه الى أصحابها:

- فقد حاول ابن تومرت صياغة مذهب خاضع لشروط ظرفية محلية.

- ومع المنصور تمت الدعوة الي الرجوع الي الاصول : اذ رد فقه المشرق وفروعه عندما دعا الى تأليف كتاب في الصلاة مقتبس من القرآن والحديث.

- ورد ابن رشد فلسفة المشرق في كتابه "تهافت التهافت" مجيبا فيه على كتاب "تهافت الفلاسفة".

كما رد كلام المشرق في كتابه "الكشف عن مناهج الادلة، في عقائد الملة"(114).

- وفي النحو ألف ابن مضاء كتابين في معارضة النحو المشرقي هما : "المشرق في النحو"، و" تنزيه القرآن، عما لايليق بالبيان".

وفي كتابه "الرد على النحاة" دعا الى الأخذ بظاهر النصوص والابتعاد عن جدل المناطقة والفلاسفة معتمدا على أربعة آراء :

-1- الغاء نظرية العامل لفظيا كان أو معنويا.

-2- الغاء العلل الثواني والثوالث.

-3- الغاء القياس.

-4- الغاء التمارين غير العملية أو الواقعية(115).

---

(114) محمد زنيبر ابن رشد والرشدية في اطارهما التاريخي. اعمال ندوة ابن رشد، منشورات كلية الآداب الرباط 1979.

(115) انظر كتاب الرد على النحاة مقدمة التحقيق لشوقي ضيف طبعة دار الفكر العربي 1947، ومقدمة التحقيق لمحمد ابراهيم البناء، طبعة دار الاعتصام 1979. وكتاب المدارس النحوية لشوقي ضيف 292، وصفحات دراسية من القديم والحديث للجراري ص 113.

وللامام السهيلي كذلك ثورة على النحاة في كتابه الأمالي. (116).

وهكذا تكون العقيدة الموحدية قد أثرت في النشاط الفكري عموما: مضمونا ومنهجا.

وأثرت العقيدة في الادب الموحدي عموما، ووجهت الادباء توجيها خاصا، فقد حددت أغراض الشعر ومضامينه وشكل القصيدة.

ولما كان الشعراء مرتبطين بالحكام، ساعين لارضائهم، فان هؤلاء قد حرصوا على ترسيخ هذا الاثر وتعميقه بتشجيع الشعر الذي يسير في هذا الاتجاه واهمال غيره، مما أدى الى حدوث تشابه كبير في الشعر الموحدي بالمغرب والاندلس معنى ومبنى.

ووظف الموحدون النثر كذلك لخدمة المذهب فلم تخرج مضامين الرسائل عن موضوعات العقيدة، كما انهم رسموا للكتّاب شكلا يسيرون عليه عند كتابة الرسائل.

---

(116) قال صاحب المعجب عن عبد المومن يوم ندوة جبل الفتح (واستدعى الشعراء في هذا اليوم ابتداء، ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك وانما كانوا يستأذنون فيؤذن لهم) ص 213.

المبحث الأول : أثرهـــا في الشعــــر

من الصعوبات التي تعترض البحث في الادب المغربي عدم توفر المصادر الكافية(116م)، وندرة النصوص او توافرها في غير مظانها او عدم اكتمالها مما يجعل الاحكام والاستنتاجات نسبية الى حد كبير وحتى تكون دراستنا منهجية وعلمية، اعتمدنا فيها على منهج احصائي محدد، اذ بنيناها على مجموعة من القصائد والمقطوعات(100) مأخوذة من مصادر متنوعة، ولشعراء متعددي الاتجاهات والمشارب، وممثلة لفترات زمنية ممتدة عبر العصر الموحدي كله . وفيما يلي جدول بتوزيع النصوص وأصحابها :

أندلسيون	مغاربة	مشارقة	قصائد مختلف فيها	مجهولون	مجموع القصائد	النسبة
17	6				39	39٪
					54	54٪
		1			1	1٪
			3		3	3٪
				3	3	3٪
المجموع					100	100٪

الجدول رقم 1- توزيع النصوص

نستنتج من هذا الاحصاء ان المكانة التي كانت للشعراء الاندلسيين في المغرب على عهد المرابطين (أزيد من 90٪ من الشعر منسوب اليهم) قد تقلصت رغم ان عددهم أكبر من عدد المغاربة.

(116م) تغير الوضع اليوم نسبيا عما كان عليه سنة 1982 تاريخ كتابة هذا المبحث بطبع عدد لابأس به من الدراسات.

وكانوا في الغالب زائرين يمدحون الخلفاء في المناسبات(117) ثم ينقلبـون الى بلدانهم ، ولـم يعـودوا شعراء للبلاط وانما شغل المغاربة هذه المناصب (ابن حبوس، الجراوي. . .) لهذا فإن ستة منهم قالوا أزيد من نصف القصائد والمقطوعات.

ونضيف الى هذا دور المشارقة في البلاط الموحدي كان ضعيفا جدا ولعل هذا عائد الى الصراع القائم بين الخلافتين. وأخيرا فان تنازع النصوص وسقوط اسماء قائليها لم يعد ذا أهمية تذكر.

وأما بالنسبة لمصادر هذه النصوص :

عدد النصوص	النسبة	مؤلفات في التاريخ	مؤلفات في التراجم	مختارات ودواوين
34		المن بالامامة		
32		البيان المغرب		
2	71 ٪	المعجب		
1		نظم الجمان		
1		المقدمة		
1		الحلل الموشية		
5			أزهار الرياض	
2	8 ٪		الاعلام	
1			الغضون اليانعة	
13				ديوان ابي الربيع
2				ديوان الرصافي البلسني
1	21 ٪			ديوان ابن قلاقس
5				زاد المسافر
100	100 ٪			

الجدول رقم 2– المصادر

(117) قال صاحب المعجب عن عبد المومن يوم ندوة جبل الفتح (واستدعى الشعراء في هذا اليوم ابتداء، ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك وانما كانوا يستأذنون فيوذن لهم) ص 213.

فإن الملاحظ أن الشعر الموحدي ما زال مفرقا في كتب التاريخ مخطوطها ومطبوعها . ويحتل كتابا "المن بالامامة" و "البيان المغرب" مكانة أولية بينها . أما الدواوين والمختارات الشعرية فقليلة نسبيا ولم يطبع من دواوين المغاربة الا ديوان أبي الربيع . اما آثار ابن حبوس والجراوي وأبي حفص فتوجد في كتب التاريخ أو التراجم(118).

وهذه النصوص تمتد عبر المساحة الزمنية في العصر، قيلت في الخلفاء أو الامراء أو غيرهم، ويبدو من خلال الجدول الثالث ان 78٪ من هذا الشعر قد قيل في فترة قوة الدولة أي على عهد الخلفاء الثلاثة : عبد المومن، يوسف والمنصور، وأن المهدي - الذي توفي قبل انتزاع الموحدين للسلطة- لم يحظ بغير قصيدة رثاء . في حين أن الناصر كان آخر "الكبار" الذين توافد عليهم الشعراء اذ لم تلبث الدولة - بعد العقاب 609 هـ . - ان دخلت في فترة مظلمة انتهت بظهور بني مرين .

الشعراء / الخلفاء	اندلسيون	مغاربة	متفرقات	العدد	النسبة
المهدي		1	1	2	٪ 2
عبد المومن	9	9	3	21	٪ 21
يوسف	18	9	2	29	٪ 29
المنصور	3	24	1	28	٪ 28
الناصر	2	7		9	٪ 9
أمراء	7			7	٪ 7
آل البيت		2		2	٪ 2
متفرقات		2		2	٪ 2
المجموع	39	54	7	100	٪ 100

الجدول رقم 3- المساحة الزمنية.

(118) جمع الاستاذ محمد بن تاويت شعر ابن حبوس والجراوي وغيرهما من شعراء الدولة الموحدية، وطبع بعد كتابتنا هذه المحاضرات، وقد حافظنا على هذه الجداول كما كانت قبل خروج الكتاب، انظر الوافي بالادب العربي في المغرب الاقصى. طبعة الدار البيضاء 1982. كما ظهر كتاب عن الجراوي للاستاذ حسن الشبيهي

بعد هذه التحديدات المنهجية الضرورية نعود الى التأثير فنقول بأنه كان شاملا اذ عم الاغراض والمضامين والشكل.

المطلـب الاول : الاغـــــــــراض

خلافا للمرابطين الذين كانوا يعتبرون الشعر هزلا، والشعراء أفاكين يستخدمون مواهبهم لطلب المال(119)، فلم يعينوهم لذلك في البلاطات(120)، فإن الموحدين قد اهتموا بالشعر والشعراء وجعلوهم أصحاب رسالة اجتماعية ودينية لايمكن الاخلال بها، بل لابد من أدائها على وجهها الاكمل، وتتجلى في الدفاع عن كيان الدولة ونشر مذهبها والتعريف بتحركات الخلفاء وتشريعاتهم وقراراتهم . ولذا تحدد مفهوم الشعر عندهم بالذي يسير في هذا الاتجاه.

فاستبعدت الاغراض التي لاتخدم المذهب ولاتفي بالمطلوب، ولما كان مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من المبادئ الاساسية لدعوتهم، فإنهم رفضوا المجون بكافة انواعـــــه، اذ كـــان ابن تومرت يكسر ادوات الخمرة، ويدعو الى عدم اختلاط النساء بالرجال، فلم يكن الشعراء يقولون في غير الاغراض الجادة . ونشير هنا الى طرد عبد المومن للشاعر أبي بكر بن ميمون القرطبي الذي تغزل في شاب أغماتي يدعى أبا القاسم بن تيسيت(121).

ونذكر كذلك بموقفه من الشاعر الوشاح ابن غرلة الذي تجرأ في موشحته الموسومة بالعروس على التغزل برميلة أخت الخليفة(122).

---

(119) حسب موقف أكبر أمير مرابطي (يوسف) انهم يطلبون الخير او الخبز

(120)ومع ذلك كانوا يستمعون الى مادحيهم، وخاصة الذين عاشوا منهم بالاندلس (انظر ديوانا الاعمى التطيلي وابن خفاجة).

(121) الابيات في الانيس المطرب، ص 205 لابن ابي زرع، ط. الرباط .

(122) انظر التفاصيل في كتاب القصيدة للجراري ص 538، وفي كتاب موشحات مغربية ص 147.
ومطلع الموشحة :

من يصيد صيدا فليكن كما صيدي صيدى الغزالة
من مراتـع الاسد

وأغلب ماينسب الى المغاربة من هذا الشعر لم يقل بالمغرب. ونشير هنا الى أبي الربيع سليمان الذي انفرد بتطرقه للغزل والخمرة. . . فاعتبر الشاعر الذاتي الاول في هذا العصر، فهذا الامير قد عاش في بجاية حيث كان واليا لابن عمه المنصور، فتمكن من عقد مجالس اللهو والغناء يحضرها أمثال محمد بن عبد ربه (الحفيد) وابي بكر عبد الرحمن بن مغاور، وابن الفكون، وعلي ابن ابي حفص وغيرهم. . .ولعل هذا الميل الى المجون واللهو هو الذي أدى الي ضياع بجاية من يده، مما جعل المنصور يغضب عليه(123).

ومع قوله في هذه الاغراض، لم يخل شعره من الحديث عن المذهب والدفاع عن كيان الدولة، فحوالي ربع ديوانه قيل في مدح الخليفة او استعطافه والاعتذار له عما بدر منه من إهمال وسوء تدبير أديا الى ضياع المدينة من يده .

الاغـــــراض	النصوص	النسبة
النسيب والخمرة	92	٪ 38
الالغاز والاحاجي	57	٪ 24
المدح والاستعطاف	33	٪ 14
الوصف	24	٪ 10
التزهد	18	٪ 7
الرثاء	13	٪ 5
العتاب	6	٪ 2
المجمـــوع	243	٪ 100

الجدول رقم 4- أغراض شعر ابي الربيع

(123) انظر اعتذارياته في الديوان 143- 150.

والباقي شعر ذاتي سواء ما كان منه في الغزل والخمرة (38٪ تقريبا) او في الاحاجي والالغاز التي كانت تلقى في مجالس اللهو والشراب (24٪)، او وصف جمال طبيعة بجاية ورياضها وقصورها (10٪)، واعتبر من الشعر الذاتي كذلك الرثاء الذي كان اغلبه في افراد اسرته واعز الناس الى قلبه : زوجته وأبناؤه واخوته . . . وكذا الزهد الذي ختم به حياة شعرية حافلة .

لهذا كان صوت ابي الربيع في العصر الموحدي صوتا متميزا نشازا لايتناسق وأصوات الشعراء الذين كانوا لايعرفون الا الاتجاه المذهبي.

أما مايؤثر لعبد المومن في التغزل سواء ما قاله وحده أو ما كان موضوع مساجلة مع وزيره ابن عطية، فنقول فيه ما قاله محمد المنوني(124)، أي أنه منتحل مفتعل بدليل ان أحدا من الذين أوردوا خبر المساجلة لم يجزم بها . فصاحب " الانيس المطرب"(125) أوردها بلفظ "قيل"، وصاحب "النفح" أوردها بلفظ وقد حكي(126)، وصاحب "الاستقصاء" صدّرها بقوله : "يروى" (127).

والمساجلة مع الابيات الغزلية تسير في اتجاه معاكس تماما للعقيدة ومبادئها وخاصة في هذه الفترة التأسيسية الحرجة، مما يجعلها بدون شك من وضع الخصوم .

اما الشعراء الذين كانوا على اتصال بالخلفاء -بمراكش أو بغيرها- فلم يتجرأوا على تناول هذه الاغراض، اللهم ما كان من البيتين أو الابيات القليلة يقولها الشاعر في الغزل على سبيل التقليد كما عند ابي حفص الاغماتي، وابن خبازة، او الهجاء الذي لم يكن محظورا بالمرة وانما لايرغبون في شيوعه على حساب الاهم عندهم.

---

(124) العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، الرباط 1977 ص 139.

(125) ص 129.

(126) 101/3.

(127) 154/1.

فالجراوي كان ميالا الى القول في الهجاء (مقطوعاته قصيرة) وقد نهاه المنصور وهو ولي العهد(128) ثم وهو خليفة عن التعرض للناس وايذائهم(129). ومرد هذا الميل لديه الى :

أ - حدة مزاجه .

ب - منافسته للشعراء ودفاعه عن مكانته بينهم.

ومع ذلك يبقي موضوع الدفاع عن كيان الدولة ومذهبها هو الغالب عنده هؤلاء الشعراء .

فالملاحظ من خلال الجدول الخامس، ان التيار المذهبي هو الغالب على انتاج المغاربة :

- فمن حوالي 200 بيت المكونة لما وصلنا من شعر ابن حبوس نجد 135 بيتا في المذهب.

- ومن حوالي 580 بيتا المكونة لما وصلنا من شعر الجراوي نجد 532 بيتا في المذهب(130).

- ومجموع ما قاله المغاربة في كافة الاغراض لايتعدى 8 / 1 (ثمن) ما قيل في المذهب وهذا يدل على هيمنة الشعر المتأثر بالعقيدة على كافة الاغراض (انظر الجدول) :

الموضوعات	شعر في المذهب		غزل		هجاء		حكمة	
الشعراء	نصوص	ابيات	نصوص	ابيات	نصوص	ابيات	نصوص	ابيات
الجراوي	29	532			7	27		
ابن خبارة	2	151	2	14				
ابن حبوس	7	135	1	4			2	12
أبو حفص	2	49	5	38			2	12
مجموع النصوص	40		8		7		4	
مجموع الابيات		867		56		27		24

الجدول رقم 5 - أهم اغراض الشعر الموحدي

(128) اعترض الجراوي على بيت لابن مجبر واتهمه باهتدام بيت وضاح فرد عليه المنصور - وهو ولي العهد - بأنه قد استحقه اذ نقله من معنى خسيس الى معنى شريف .

(129) موقفه من ابن مجبر بعدما القى رائيته على المنصور في المقصورة الميكانيكية المتحركة، النفح 162/2 - 163.

(130) بلغ مانعرفه من شعر الجراوي الى الآن حوالي 620 بيتا.

واذا نحن أردنا أن نقترب أكثر من الاغراض التي تناولها شعر المذهب او العقيدة، فإننا نرى :(الجدول السادس) :

- ان المدح مهيمن إذ بلغ 94٪ من مجموع الشعر المذهبي، وصب في قالبين رئيسيين : وصف الحروب والفتوحات أو التحريض عليها (66٪)، والاشادة بشجاعة الملوك وجندهم وبلائهم في نصرة الدين، وهذا راجع الى ان الفترة اعتبرت فترة يقظة بالنسبة للعالم المسيحي الذي تكتل بزعامة البابا للسيطرة على بيت المقدس واسترجاع الاندلس.

والقالب الثاني : تهنئة الخلفاء والامراء بالاعياد والاحتفالات العامة (البيعات، ندوة الجبل . . .) أو الخاصة (شفاء من مرض،،،) ولم يخل الشعر في الحالتين من التركيز على المذهب :

الاغراض	الموضوعات	القصائد	النسبة	المهدي	عيد المومن	يوسف	المنصور	الناصر	متفرقات
المدح	وصف الحروب والفتوحات	64			18	16	21	6	3
	تهانئ	21			3	10	5	3	
	تحريض على الحروب	2	٪ 94			2			
	متفرقات	7							7
الاستعطاف		2	٪ 2				2		
الهجاء		1	٪ 1	1					
الفخر		1	٪ 1			1			
الرثاء		2	٪ 2	1					1
المجموع		100	٪ 100	2	21	29	28	9	11

الجدول رقم 6- موضوعات الشعر المذهبي الموحدي

المطلـب الثانـــي : المضاميـــن

انعكست العقيدة على مضامين الشعر الموحدي عموما ، وتأثر الشعراء بعناصرها سواء منها ما كان له طابع عقلي، أو طابع غيبي .

أولا - العناصــر ذات الطابع العقلي :

لما كانت الغاية منها القضاء على الدولة المرابطية بتخريب إيديولوجيتها وإظهار تناقضاتها ، فان الشعراء الذين تقدموا لمدح الخلفاء الموحدين بعدما تم لهم النصر على هذه الدولة، واخضاع البلاد لسلطتهم، لم يركزوا كثيرا على هذه العناصر التي أصبحت متجاوزة، وانما اهتموا بتلك التي تمجد الموحدين وتبرز فضائلهم كالامامة والمهدوية والعصمة. . . أو تشير الى مطامحهم الدينية والسياسية كنشر العدل والحق وتعميم الخلافة وتجديد الدين .

وحتى نتمكن من رصد مدى تداول الشعراء لهذه العناصر نضع الجدول الآتي :

الشعـــراء / العناصـــر	أندلسيون	مغاربة	الغير	المجموع
بين الشرع والعقل		8		8
نفي الصفات	13	3	2	18
تاويل المتشابه (مواجهة الكفر)	28	20	7	55
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر	2	2		4
مناهضة الفروع		3		3
المجمـــوع	43	36	9	88

الجدول رقم 7- عناصر ذات طابع عقلي

الملاحظ أن تداولها كان متقاربا بين الاندلسيين والمغاربة مما يبين انه لم يكن لاختلاف المستوى أو اختلاف البيئة أثر في التعامل مع هذه العناصر بقدر ما أثرت الظروف العامة وطبيعة العناصر نفسها في هذا التناول :

- 1- **بين الشرع والعقل** : من القضايا التي أثيرت في بداية الدعوة، فقد دعا ابن تومرت الى ابعاد العقل عن مجال الشرع واباحته في مجال التوحيد والتنزيه، وأخذ ابن حبوس(131) هذا الرأي، فحاول -تحت ضغط ظروف خاصة- أن يقترب من الموحدين، وأن يحظى بحمايتهم ورعايتهم، وقد اعتبر العقل عاجزا عن ادراك الغيب، والخوض في مسائل الإيمان التي تدرك بواسطة الشرع :

قالوا بنور العقل يدرك ماورا ... ء الغيب قلت قد من الدعوى قد
بالشرع يدرك كل شيء غائب ... والعقل ينكر ما لم يشهد

ويتجاوز أبو حفص الاغماتي(132) مسألة إبعاد العقل عن مجال الشرع فيقدم الشرع على العقل في مجال العقيدة، ويجعل العلاقة بينهما كالعلاقة بين الشمس والعين، الاول متبوع والثاني تابع :

الشرع للعقل بلا مرية ... كالشمس للعين سنى طالع
الشرع متبوع به يهتدي ... من ضل والعقل هو التابع
تحت لواء الشرع يمضي الحجا ... والشرع وال ماله خالع

-2- **نفي الصفات (التوحيد)** : تناول الشعراء نفي الصفات من الجانب التطبيقي أي القول بالتوحيد، فالقائل بنفي الصفات موحد والقائل بانفصال الذات عن الصفات مجسد، دون أن يقدموا على مناقشة المسألة مناقشة فلسفية. وكان تعبيرهم عنها في أغلب الاحيان بالمصدر "التوحيد" سواء في الشعر المعرب :

---

(131) (500-570 هـ) انظر ذكريات مشاهير رجال المغرب 39، والمعجب للمراكشي 214.

(132) (530-603 هـ) انظر ذكريات مشاهير رجال المغرب 30.

كقول محمد بن المنخل الشلبي في انتصار يوسف على النصارى وحليفهم ابن سعد، الذي سيضطر بعد هزيمته الى مد يد الضراعة للموحدين :

ويمد للتـــوحـــيـــد كف ضـــراعـــة بعتـاب نفس داحضا إجرامها (133)

وكقول علي بن حزمون في مدح المنصور :

أذوي الـصـلـبـــــــــان وراءكـم خـــيـل الملك الخـــبـــر الندس

مـــلأ التـــوحـــيـــد أعنتـــهـــا وأغـــــار بـهـــا روح القـــدس

- أو في الزجل كقول ابن جحدر:

من خـالف التـوحـيـد بالسيف يمحق أنـا بـاري ممـن يـعـــــانـد الحق

واستعمل بعضهم صيغة الفاعل مفردا حينا وجمعا أخرى كقول أبي الربيع في المنصور :

بموحـــدين مـــصـــمـــمين عـــدوهم جعلوا دليل الفتح فيـه عزمكا (134)

وسجل الشعر تطور الكلمة من مؤمنين التي اطلقها المهدي على أصحابه إبان الدعوة - واستمرت الى مابعد وفاته- الى موحدين او أهل التوحيد التي عرفوا بها فيما بعد، فقد ورد في الابيات المنسوبة لعبد المومن في فتح المهدية قوله :

وتشـــفـى صـــدور المؤمنين بغـــزوة تكون على حكم الحـــســـام المدرب

ويقصد بالطبع أصحابه الموحدين.

واستعمل الشعراء كذلك عبارة الدعوة، دعوة المهدي او دعوة التوحيد، وهي كلها عبارات تهدف الى غاية واحدة : الجانب التطبيقي لنفي الصفات(135).

---

(133) رحض الثوب اي غسله .

(134) اسقط حرف الجر "على"، كقوله في اسقاط "من" (واختار موسى قومه سبعين رجلا).

(135) الا ان جـهــمـا كـافـر بان كـفـره ومن قـال يومـا قـول جـهم فـقـد كـفـر

لقـــد جن جـــهـم اذ يـســـمى الاله سـمـيـعـا بلاسمع بصيـرا بلا بصر

عليـمـا بلا علم رضـيـا بلا رضى لطيـفـا بلا لطف خـبـيـرا بلا خـبـر

أيرضـاك ان لو قـال يا جـهـم قـائل ابوك امـــرؤ حـــر خطيـــر بلا خطر

مليح بـلا ملح بـهي بـلا بـهـــا طويل بلا طول قـصـيـر بلا قـصـر

حكيم بلا حكم وفي بلا وفـــا فبالفعل موصوف وبالجهل مشتهر =

- 3- **تأويل المتشابه (مواجهة الكفر)** : هذه مسألة كلامية اخرى صعب على الشعراء الخوض فيها نظريا فركزوا على جانبها التطبيقي، فعند المهدي -كما عند المعتزلة- أن الآخذ بظاهر الآيات المتشابهات كافر يحارب كما يحارب المسيحي المشرك، لهذا لم يفرق الشعراء عند استعمالهم لعبارات الجهاد او مواجهة الكفر، والنصر على الكفر بين محاربة مسيحيي اوربا والمرابطين، بروافدهم الميورقية المسوفية في الاندلس .

وغالبا مايستعملون عبارة النصر مفردة، او يضيفون اليها اسم الجلالة، والنصر نصر الله :

جيوش بنصر الله تهمى عليكم   يروق بها وهد ويزهى بها نجد

وقال الجراوي :

فلا زال بالنصر الالهي يقتضي   بشائر يحصى قبل إحصائها القطر

وهو نصر شبيه في أهميته وخطورته (بنصر النبي) لذا أطلق الشعراء على جيوش التوحيد (جنود الله)، بل وذهبوا الى القول بأن الملائكة كانت تتقدمهم وتحارب الى جانبهم . وهذا يذكرنا بحروب الرسول مع قريش. فعند ابن حربون :

وجاء في سرعان الجيش يقدمه   جبريل والملا الاعلى له مدد

وكانوا أحيانا يذكرون الكفر والضلال والقضاء عليهما، وبالتالي نصرة الدين كما عند ابن سيد المالقي :

عصفت باقصى الشرق منه عزمة   حنت لشرواها بأقصى المغرب
فأتت على شيع الضلال كما أتى   ضوء الصباح على سواد الغيهب

وهذه رسائل تضفي الشرعية على تحركات الموحدين وتحمس الناس حول حركتهم وتجمع لهم المجاهدين (والمتطوعة) الذين تتزايد الحاجة اليهم مع مرور الزمن (قصائد التحريض على الجهاد).

وتتضح كيفية تعامل الشعراء مع مسألة مواجهة الكفر في هذا الجدول :

= جواد بلا جود قوي بلا قوى   كبير بلا كبر صغير بلاصغر
أمدحا تراه . أم هجاء وسبة   تنبه لهذا الجهل يا احمق البشر
فانك شيطان بعثت لأمة   مصيرهم عما قريب الى سقر

المفهـــــــوم	التنـاول
النصر	21
نصرة الدين	10
نصر الله	5
نصر النبي	1
الجهاد والقضاء على الكفر والضلال	12
جنود الله	6
المجمـــــوع	55

الجدول رقم 8- مواجهة الكفر والضلال

وهكذا فقد ورد ذكر المواجهة والحرب والنصر في ازيد من نصف الشعر الموحدي مما يبين اهمية دراسة أدب الحرب في هذه الفترة من جهة، ويؤكد الصعوبات التي لقيها الموحدون في مواجهة المرابطين والميورقيين والمريدين وأتباع ابن همشك والمسيحيين من جهة أخرى . وقد عرفوا الى جانب النصر الذي يشيد به شعرا وُهم، هزائم ثقيلة .

-4- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر : عندما قامت الدولة الموحدية صارت مسألة الامر بالمعروف او مراقبة الاخلاق -كما سميناها- متجاوزة، ذلك ان المهدي تسنمها للخوض في شؤون المرابطين، ولاثارة انتباههم وانتباه الناس الى حركته . لذا لم نجد لها صدى واسعا في الشعر، إذ لم ترد إلا أربع مرات، منها إشارة ابن حبوس في بداية حكم عبد المومن :

وجـاش على أمـــواجك الحلم والحـــجـــا وفـــاض على أعطافك النهي والامـــر

-5- مناهضة الفـــروع : فهم الشعراء مسألة مناهضة الفروع لوضوحها، وتناولها ابن حبوس في بداية تأسيس الدولة عندما دعا في قصيدته في ذم الفلاسفة والفقهاء المتشبثين بالفروع الى الاخذ من منبع الدين :

وإذا رأيت الصـــــادرين عــــشـــيـــة عـن منهـل الديـن الحنيـف فـــــأورد

والى الابتعاد عن الذين يلغون كتاب الله وسنة رسوله، ويهتمون بما عداهما.

ويدعو أبو حفص كذلك الى الاهتمام بكتاب الله وسنة رسوله، فليس هنالك أقدر منهما على توجيه الفرد الى ما فيه خيره وصلاحه، وهو بذلك يدعو الى طرح الفروع والانشغال بها :

هذا كـتـاب الله يهـدي الورى — لـكـل عـلـم نـوره سـاطـع
لمعـرفـة الله وآياتـه — ومنهـج الرسـل ومـا الرابـع
والعلم والحكمـة في طيـه — أجـمـع وهو المعـجـز الساطع
وهو من الله فـمـا فـوقـه — هـاد الـى الله ولا شـافـع

وتجدد الاهتمام بها في عهد المنصور الذي دعا الى الرجوع الى الكتاب والسنة، فانعكست دعوته على شعرائه كابن الياسمين القائل :

نبـذتم مـقـالـة هذا وذا — فـزال المراء وقل الخـصـوم
وأثبـتـم قـول من لفظه — هو الحق والشـرع منه يقـوم

إشارة الى جمعه لكتاب الترغيب في الصلاة، ونبذ الخلافات الفقهية.

ثانيا – عناصر ذات طابع غيبي : كان اهتمام الشعراء بها اكبر، لما تضفيه على الخلفاء من قداسة وتعظيم، ولما لها من أثر في تطبيع الخلافة الموحدية، وإعطائها الصبغة الشرعية، وتمكين الحكام من مواجهة الخصوم وابعادهم، والتأثير في العامة .

وهكذا ترددت هذه العناصر في الشعر الموحدي 457 مرة (مقابل 88 مرة بالنسبة للعناصر ذات الطابع العقلي)، كما يتجلى في هذا الجدول :

الشعــــراء / العناصــــر	عند الاندلسيين	عند المغاربة	عند الغيــر	المجمــوع
المهدوية	39	39	5	83
صفات المهدي وألقابه	37	36	4	77
الخلافة وتعميمها، وسائل التنفيذ	45	64	7	116
الامامة	20	18	1	39
شرف الاصل	25	13	3	41
العدل والحق	18	21	6	45
العصمة	5	4	1	10
الجفر (العلم)	2	3	1	6
الجبرية	15	4	2	21
ملامح شيعية	3	13	3	19
المجمــــوع	209	215	33	457

الجدول رقم 9- عناصر ذات طابع غيبي

يوضح الجدول تساوي شعراء الاندلس والمغرب في التناول، وهذا عائد الى :

أ : تقارب في المستوى .

ب- الممارسة الشعرية للخلفاء الذين كانوا يوجهون الشعراء (136) الى مضامين واشكال معينة، ولما كانت رغبة هؤلاء هي إرضاء مخدوميهم فإنهم التزموا بهذه التوجيهات بدقة مما يجعل القصائد تبدو وكأنها قُدَّت على نموذج مُوحَّد .

واذا تابعنا قراءة الجدول ظهر لنا ان بال الشعراء -وبالتالي بال الخلفاء- كان مشغولا بقضيتين هامتين :

(136) راجع مواقفهم من ابن حبوس والجراوي وابن سيد المالقي وابن مجبر.

أ - المهدوية وإضفاء صفات التعظيم والتقديس على الامام المهدي. ولها ارتباط بالجبهة الداخلية : فرض الوجود ، تنحية المنافسين .

ب- الخلافة وتعميمها على العالم الاسلامي : ولها ارتباط بالمطامع الخارجية .

وتأتي بعد ذلك عناصر لها ارتبطا بالقضية الاولى (المهدوية) كالعدل والحق وشرف الاصل والامامة والعصمة. . وسنتعرض لكل عنصر على حدة :

-1- **المهدويـــة** : رغم استعمال الشعراء لمشتقات الكلمة وبعض مدلولاتها فإنهم ركزوا علي مصادر : الهدى / الهدي / الهداية، في حين كان استعمالهم لاسم المفعول مهدي، أو لمدلول آخر "كالرشد" قليلا . أما استخدام الفعل فنادر . والمعروف أن غلبة الاسماء والمصادر تفيد الثبوت والسكون، وغلبة الافعال تفيد الحركة، وصياغة المهدوية من طرف الشعراء على هذا المنوال تفيد أن المسألة قد تمت، وأن الهداية قد حصلت وليست في حالة تجدد . وكأنهم يرغبون في اعتباره آخر مهدي (كما كان محمد آخر نبي). ويتضح هذا من خلال هذا الجدول :

المشتقات	الشعراء	عند الاندلسيين	عند المغاربة	عند الغير	المجموع	المجموع
مصادر	الهدْي	18	20		38	62
	الهُدَى	6	3		9	
	الهداية	1	4	2	7	
	الرشد	5	1	2	8	
اسم مفعول	المهدي	7	9	1	17	18
	دولة مهدية	1			1	
فعل	يهتدي	1	2		3	3
المجموع		39	39	5	83	83

الجدول رقم 10- المهدويـــة

يبقى أن نعرف كيف فهم الشعراء المهدوية ؟

فهي من المعتقدات الشيعية المعروفة، سبق للشعراء بالمشرق والاندلس أن تناولوها .

وقد حاول شعراء الدولة الموحدية أن يترجموا شعرا ماورد في كتب ابن تومرت والشيعة عن المهدوية :

- فالامام المهدي (الفاطمي الاصل)، يرتقب نزوله في زمن ومكان معينين كما قال الجراوي :

هو الذي كانت الدنيا تؤمله ... وكل عصر له مازال مرتقبا

وقال ابن حربون :

هذا الذي وعد الله به ... قد أنجز الوعد حقا وانتهى الامد

- مهمته أن يعيد العدل الى الارض، مكان الجور والظلم، قال الجراوي :

وبث في كل اقليم هدى وندى ... فليس يوجد لاجهل ولا عدم
أفاض عدلا على الدنيا وألبسها ... نورا فلم يبق لا ظلم ولا ظلم

- لهذا لاسبيل الى النجاة إلا باتباعه :

أنت السبيل الى النجاة فكلنا ... لولاك كان على شفير هار (137)

- وليس لعصاته الا الجحيم :

عصوا دعوة المهدي وهي سفينة ... فأغرقهم طغيانهم وهو طوفان

- وأغلب الذين تطرقوا للمهدوية تناولوا فضل المهدي على الناس اذ هداهم ورفع معاناة الظلم، أو فضل دولته على باقي الدول او دعوة الناس الى اتباع المهدي وخلفائه لما في ذلك من خير ورشد .

وقد تعرضت دعوة المهدي في عهد المنصور الى الانتقاد، في حين دعا ابنه المامون الى نبذ الفكرة، وسب صاحبها وتكذيبه، وقد عكس الشعر ذلك اذ هجا ميمون الخطابي المعروف بابن خبازة المهدي ومهدويته، فقال :

---

(137) هار فلانا صرعه، وهار البناء تصدع، ورجل هار ضعيف وساقط .

وجــــد النبــــــوة حلة مطويـة لايســــتطيع الخلق نسج منوالهــــا
فــــأسَرَّ حَسْواً في ارتغــــاء يبْغي بمحــاله نســجـا على منوالهـا (138)

والبيت الاخير يفيد تمحل ابن تومرت وكذبه، إذ كان يضمر عكس ما يظهر . ويعتبر هذا الشاعر اول من دعا الى الانتقال من مدح المهدي الى مدح الرسول في يائيته :

حــقــيق علينا أن نجـيب المعــاليــا لنفنى في مــدح الحـبـيب المعـانيــا

وعبر فيها عن ندمه على مابدر منه في مدح الخلق :

ســــهــــوت بمدح الخلق دهرا وهذه سـجـود لجـبـري كل مـا كنت ساهيـا
فــــلا مــــدح الا للذي بمديحــــه تطيع اذا مـا كنت بالمدح عــاصيــا

هذا الندم الذي يعتبر مظهرا من مظاهر تأنيب الضمير على تلك المبالغات التي كان الشعراء يطلقونها على الموحدين ومذهبهم وحركتهم . . . ومع ذلك لم يستطع التخلص نهائيا من رواسب المنهج الموحدي .

ومما يدخل في موضوع المهدوية الصفات والالقاب التي اطلقها الشعراء على ابن تومرت او خلفائه، وهي صفات متناقضة احيانا : منها ما له صبغة دينية، ومنها ما له صبغة دنيوية . وتبدو كالتالي :

الصفات والالقاب / الشعراء	عند الاندلسيين	عند المغاربة	عند الغير	المجموع
النور، نورالله، سر الله، أمين الله	10	7	3	20
الملك، ملك الملوك	27	29	1	57
المجمــــوع	37	36	4	77

الجدول رقم 11- صفات المهدي (الامام) - وألقابه .

وتردد هذه الالقاب بهذه الكثرة يثير الانتباه، ويبين الى أي حد كان الخلفاء يحرصون عليها، ويفهم كذلك من الاحصاء أن حرصهم على الدنيوية منها كان أشد في الوقت الذي وجدنا فيه

(138) في ديوان ابن الابار اشعار في هجاء المهدي ومذهب الموحدين يمثل التيار المعاكس لدعوتهم

عبد الملك بن مروان مثلا يفضل قول ابن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير :

وإنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

على قوله فيه :

ياتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

وكان الحرص على الالقاب الدينية في فترة تأسيس الدولة، ثم بعد ذلك طمع الخلفاء في ألقاب السلطان والملك، فوجهوا الشعراء إليها، فكان ارتياحهم وعطاؤهم يتصاعدان بجنوح الشعراء الى المبالغة فيها . كقول ابن حربون في يوسف :

ملك تظل ملوك الارض تتبعه مستبشرين بأن عدوا من الخول(139)

وقد أعجب يوسف بقول ابن حربون :

مليك اذا لاح النهار معظم واذا ما جن الظلام فعابد

إذ تمكن من الجمع بين صفتين دنيوية (ملك – عظمة) ودينية (عبادة وتبتل). وقال فيه أبو الحكم البلنسي:

ملك تود ملوك الارض لو غنيت وحظها منه في يمناه تقبيل

ويبدو أن الشعراء أدركوا ارتياح يوسف لمثل هذه الامداح فتناولوها في أشكال مختلفة، كقول ابي الوليد الشواش الشلبي :

ملك الملوك مؤيد لكنه غلبت عليه من التقى ملكاته

الذي وصف بوصف الملك (دنيوي) والتقى (ديني) مع تغليب الوصف الديني .

-2- **الخلافة وتعميمها** : إضافة الى الالقاب السابقة كان الشعراء يطلقون على الحكام ابتداء من عبد المومن الخليفة او خليفة الله، أو خليفة المهدي وإن كان يوسف هو أول من احتفل بالتلقب بأمير المومنين . واستعملوا لفظ الخلافة مطلقا فقصدوا به الحكم والنظام .

وهذه الالقاب كلها جديدة على المغاربة اذ لم يكن الادارسة يلقبون انفسهم بها . كما ان المرابطين – رغم قوتهم – كانوا يعترفون بالخلافة الاسلامية ببغداد، لذا تسموا بأمراء المسلمين .

(139) الخول : العبيد

واذا كان لقب "خليفة المهدي" قد خصص لعبد المومن فإن باقي الالقاب جاءت مشتركة بين كل الحكام، وكان القصد منها المدح والتعظيم والتهنئة بالنصر .

وعكس الشعر طموح الموحدين في تجاوز خلافة المغرب الى المشرق عموما. وارتبطت الفكرة بنشأة الدولة عندما عزم المهدي على ضم قوة المغرب العسكرية الى تقدم الشرق في العقيدة، واستمر ذلك الي نهايتها .

ويبدو أن تصور الشعراء كان اوسع من طموح الموحدين، فقد أشاروا الى قرب فتحهم للشرق والغرب، وحكمهم للعرب والعجم . قال شاعر من بجاية في المهدي :

ويفـتـح الامـصـار شـرقـا ومـغـربا ويملك عـربا من مـغـيـر ومنجـد

وخاطب الجراوي الخليفة يوسف منتهزا فرصة تهنئته بإبلاله من مرض سنة 573 هـ . قائلا :

سـتـملك ارض مـصـر والعـراقـا وتجـري نحـوك الامم اسـتـبـاقـا
إذا لـم يـتـفـق رأي ورأي أفـادا في مـحـبـتك اتفـاقـا

وعاد في عهد ابنه المنصور الى إثارة الموضوع، مع إبداء طموح أكبر ورسم خريطة أوسع :

سـينظم السـعـد مـصـرا في ممالكه حـتى تدوخ منـه خـيله حلبـا
الى العـراق الى أقـصى الحـجـاز الى أقـصى خراسان يلقي جيشه الرعبا

وليس هناك من سبيل لتحقيق هذه المطامع سوى الحرب، ورغم أن بعضها محكوم عليه أن ينشب بين المسلمين، فقد سماها الشعر حروب الفتح او الفتوح او الفتوحات، وسموا عمليات الاستعداد لها : التحريض على الجهاد ، لهذا وجدنا هذه الالفاظ متداولة بكثرة عند الشعراء .ولعل لفظة "الفتح" أكثر ورودا من غيرها . وهم في هذا التناول لايخرجون عن أحد هذه الامور:

- تهنئة الخلفاء أو سكان البلاد بالفتح (الاندلس وإفريقية كمرحلة أولى)
- وصف عظمة الفتح وشموليته، وعجز الادب عن الاحاطة به .
- المطالبة بمزيد من الفتوحات والاسراع في تحقيق التعميم . وتشجيعا للمحاربين، ومدحا للخلفاء . كان الشعراء يستسهلون عملية الاستيلاء على البلدان، في حين ان الموحدين كانت تعترضهم صعوبات جمة في فتوحاتهم، ولا أدل على ذلك من وقائعهم الكثيرة وهزائمهم المتعددة مع الميورقيين وثوار شرق الاندلس، فالجراوي يجعل الفتوح تأتي وحدها متسابقة :

تبـــادرت الفـــتـــوح اليك تجـــري غـــرائبـــهـــا وتســـتـــبق اســـتـــبـــاقـــا

وقد شغلت الخلافة وتعميمها ووسائل التنفيذ حيزا مهما من خريطة العناصر :

العناصر	الشعراء / تفصيلها	عند الاندلسيين	عند المغاربة	عند الغير	المجموع
الخلافة	الخلافة	10	9		19
	الخليفة	9	8	2	19
	خليفة الله	4	3		7
	خليفة المهدي		1	1	2
	أمير المومنين	5	6		11
التعميم	الغرب المغربان المغارب	1	3	1	5
	الشرق المشرقان المشارق	3	3		6
	مصر	1	2		3
	العراق بغداد		3		3
	أرض الشام " حلب" جلق		4		4
	أقصى الحجاز		1		1
	أقصى خراسان		1		1
	بلاد العرب والعجم والغز	1	2		3
وسائل التنفيذ	الفتح	7	14	3	24
	الفتوح	3	4		7
	الفتوحات	1			1
	المجموع	45	64	7	116

الجدول رقم 12- الخلافــة

-3- الإمـامــة : هي عند الشيعة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وقد قالوا بها بعد خروج الخلافة من أيديهم، فاعتبروا الامام (علي وبعده أبناؤه) أعظم من الخليفة .

وقد صاغ أبو الوليد اسماعيل بن عمر المعروف بالشواش الاشبيلي هذا التعريف (امام الدنيا والدين) في مدح يوسف :

إمـــام الدين والدنيـــا بجـــد وجـــــــد لايميـل ولا يخــــــيب

وأضاف الشعراء لقب الامام الى الالقاب السابقة التي أطلقوها على الموحدين فجمعوا بذلك كافة السلط الدينية والدنيوية.

ونوعوا أساليب الحديث عن الائمة : الامام، إمام الامة، امام الهدى، امام الحق، امام الخلق، امام الصدق. . .

وهذه الاساليب تعبر عن المظهر الروحي والشمولي لقيادتهم .

ولم تخرج المعاني الواردة في هذا الموضوع عن مدح الامام، واظهار فضائله، وقيادته للامة، ورحمته وعطفه على الناس، ومساعدته وارشاده لهم أو تهنئته في المناسبات .

قال ابن حربون في مدح الامام يوسف مغرقا في المبالغة كعادته :

هو الامـام الذي كـانت فـضـائله تجل عن رتبـة التـشـبـيـه والمثل

ودعا أبو حفص الى التسليم واتباع حكم الامام والخضوع له :

فـسلمـوا واخلعـوا الآراء واتبـعـوا حكم الامـام فـمـا في الدين تحكيم

(وقد ورد لفظ الامام 39 مرة في الشعر الموحدي).

وكانت الامامة من المبادئ التي همشها المنصور ، وبما انه لم يدع الى طرحها ، فان الشعراء أطلقوا عليه -مع ذلك- لفظ الامام. وتمت محاربتها مع المامون .

-4- شـرف الاصـل : يعود أصل الموحدين الى قبائل مصمودة، فالمهدي ابن تومرت زعيم من هرغة، أما خليفته عبد المومن وأبناؤه فزناتيون (من كومية) ومع ذلك نجد الشعراء يضربون صفحا عن هذا النسب ويركزون على الاصل القيسي.

ولعلهم اعتمدوا في ذلك على القول الذي يذهب الى أصل برابرة المغرب من حمير، ومن قيس عيلان بالذات، أو على معاهدة المؤاخاة التي أبرمها الفاتحون مع قبائل البربر (وخاصة زناتة). لهذا تكرر ذكر قيس عيلان في الشعر الموحدي أكثر من غيرها :

الشعراء / تفصيلها	عند الاندلسيين	عند المغاربة	عند الغير	المجمـوع
قيس عيلان	16	1	4	21
العرب	5	2	1	8
تشبه بالنبي	4	4	2	10
شرف النسب	1			1
المجموع	26	7	7	40

الجدول رقم 13- شـرف الاصـل

وجاء أغلبها في التنويه بشرف قيس عيلان وسُمُوها وشجاعة جنودها وكرم رؤسائها وفضائلهم، كقول ابن حربون :

هم قيس عيلان الذين تلبسوا بخلع الملوك السانيات القوائما

وقد قيل في مدح يوسف بن عبد المومن :

هو المنتقى من قيس عيلان مفخرا ومن مرة اهل الجلال الموطد

فكانت النسبة الى قيس عيلان واضحة، وأحال محققا المعجب على هامش أوردا فيه رواية ابن الاثير التي استفسر فيها ابن تومرت عن نسب تلميذه عبد المومن، وعلق عليه بقوله : "هذا الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : (إن الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قيس، قيل اي قيس، فقال من بني سليم)" (140). فلا عجب إذن من تكرر اسم هذه القبيلة في الشعر.

(140) المعجب 181-190.

والملاحظ أن التكرار قـد تم لدى الاندلسـيين(16 من أصـل 21) فـهـل هذا راجع الى عـدم اقتناع المغاربة بقيسية الموحدين او الى شيء آخر ؟

والملاحظ كذلك أن العصبية البربرية التي جرت على لسان الشعراء قبل هذا العصر قد اختفت . والاشارة التي وردت في هذا الباب ربطها قائلها بالاصول القيسية، فابن حبوس يهجو أبا جعفر بن عطية أثناء محنتـه ويتهمه بالتطاول على الملك البربري القيسي :

أنـــدلـــســـي لـــيـــس مـــن بـــربـــر يـخـــــتـلـس الملك من البــــربـر

لا تسلم البــــربر مـــا شــيـــدت بالملك القـــيس من مـــفـــخــر

وحتى الشعراء الذين لهم أصول بربرية كالجراوي لم تتحرك في نفوسهم تلك النزعة (هجا الجراوي قبيلته بني غفجوم)(141) . وعلى العكس من ذلك نجد العنصر العربي مقدما وممدوحا، فقد ورد ذكر العرب وقبائلهم وشجاعة فرسانهم وكرم محتدهم في سبع قصائد .

وشبهوا قبائلهم بالقبائل العربية . قال الجراوي :

وكم فـيـهم من مـثـل كـعب وحـاتم وكم فـيـهم من مـثل عـمـرو وعـامـر

كما شبهوا خلفاءهم بزعماء العرب، وعلى رأسهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فعند الجراوي أن المنصور يأتي بعد النبي في المرتبة :

أعلى المراتب من بعـد النبـوة قـد حـبـا بهـا الله اعلى الخلق وانتـخـبـا

(أي الامامة التي تأتي عند الشيعة بعد النبوة) .

وعند ابن حربون أن أبا يعقوب قد آل إليه ميراث النبي :

إن الذي قـــــمتَ تنصـــــر دينـه أعطاك مـــيــراث النبي مــحــمــد

ومنهم من جعل الخليفة يشبه النبي في عدة أمور :

ومـشـبـهــه في خلقـه وفي اسـمــه وفي اسم ابيـه والقـضـاء المسـدد(142)

---

(141) مطلع القصيدة :

يا ابن السـبـيـل اذا نزلت بتـادلا فـلا تنزلن على بني غـفـجـوم

(142) لمزيد من التفاصيل في تشبه المهدي بالنبي انظر رسالة ابن طاهر في المناظرة التي ادارها بين النفس المطمئنة والنفس الامارة بالسوء، (نظم الجمان 5-73تحقيق محمود علي مكي) .

وهذا الالحاح على النسب العربي وعلى شرف الاصل عائد الى :

- الدعوة المهدوية التي قال بها الموحدون (فاطمية المهدي وبالتالي عروبته).

- حاجة الموحدين الى سيوف العنصر العربي الموجود بالمغرب، اذ انهم أمام ضغط المعارك المشتعلة في المغرب والاندلس اضطروا الي اعطاء كثير من الاختيارات للفقهاء حتى يحرضوا علي الجهاد . وقد وجهت ثلاث قصائد الى العنصر العربي خاصة (143).

- طموحهم في خلافة المسلمين عامة ولاحَظٌ لهم في ذلك اذا لم يكونوا عربا .

-5- العـــدل والحـــق : تكرر في الشعر الموحدي . فالمهدي المنتظر ينزل الى الارض ليحل العدل محل الجور، والحق محل الباطل، لهذا قيل في ابن تومرت :

أتتنا به البـــشـــرى بأن يملا الدنا بقـــسط وعـــدل في الانام مـــخلد

وفعلا أفاد الشعراء أنه ملأ الدنيا عدلا، قال الجراوي :

أفاض عدلا على الدنيا وألبسهـــــا نـــورا فلـم يبـــق لاظُلْــم ولا ظُـلَـــم

اهنأ امـام الهـدى فـالعـدل منبـسط والدين منتظم والكفـر أشـتـات

وردت الكلمة في المجموع الشعري عشرين مرة .

والحق مرتبط بالعدل . إذ لايمكن الحديث عن وجود العدل إذا لم ينتصب الحق ويرتفع الزور والباطل . وهو ما حدث عندما آلت الامور الى الموحدين، ونزل المهدي . قال الجراوي :

هنيـئـا لك الاعـــلان بالحق بعـدمـا تمادى لهـــا بالزور والافـك اعـــلام

وقد حصحص الحق وانتشر في الارض، وعم النصر، كما قال ابن حربون :

قـــد حـصــحص الحق لاريب ولافند هذى الفـتـوح التي كـانوا بهـا وعـدوا

والحقيقة ان هناك فرقا بين ما قاله منظرو المذهب الموحدي وشعراؤه وبين الواقع . فلم يكن هناك فرق بين ما كانت عليه الامور في العهدين المرابطي والموحدي بل إن الدولة الجديدة قد عرفت بالقسوة والصلابة وسفك الدماء : أيام التمييز التي كان ابو محمد البشير يبيد فيها قبائل بكاملها لمجرد الشك في ولائها، فرض المذهب بالسيف والتنحيس [illegible] . . . وحلت طبقة شيوخ الموحدين محل طبقة فقهاء المرابطين لتأمر وتعزل وترعى مصالحها الخاصة دون اعتبار لأقامة حق أو عدل .

---

(143) القصائد للجراوي وابن طفيل والثالثة منسوبة للكاتب ابن عياش .

ولعل من آثار قسـوة الدولة وإرهابهـا امـعـانهـا في تتبع آثار المرابطين عـمـرانيـا وعلميـا وإفنائها عن طريق الهدم والاحراق مما جعل تاريخ الدولة اللمتونية يعرف غموضا كبيرا في كثير من حلقاته .

-6- **العصمــــة :** من مبادئ التشيع التي تضمنتها العقيدة الموحدية فالامام المهدي معصوم من الخطأ. يتصرف بإلهام من الخالق، ومن هنا قربوا الامامة من النبوة (بعدها في الدرجة). وبالغ ابن تومرت في التـأكيد على هذا المبدأ ردا للمنافسين له، او المنتقدين لسياسته تأكيدا لهم بأنه لايخطىء ولذا لا مجال لمخالفته، وليس الا الاذعان له .

ورغم ورود العصمة عشر مرات فقط، فإن تناول الشعراء لها كان متنوعا . فقد تناولوا الجانب النظري : أي تأييد الله للامام بعصمه من الخطأ . كما عند ابن حربون :

لما اجـــتـــبـــاه لنصــر الدين أيده بعــصــمـــة أمنتــه مــدحض الزلل

وحاولوا التطرق للجوانب العملية للعصمة : كالانتصار الدائم في الحروب، فهو حتمي مادام المخطط والمهيىء له معصوم من الخطأ . لهذا تكررت عبارات : "فقد وجب النصر" عند ابن حبوس "إن الفتح محتوم" و "فالذي عودت معلوم" عند الامير أبي الربيع .

وتعرضت العصمة كالمهدوية لانتقاد المنصور واستنكار المامون .

-7- **الجفــر (العلم) :** رغم جنوح الشعراء نحو المبالغة في المدح لم يصلوا الى حد القول بالجفر وباطلاع الامام على علوم الاوائل والاواخر ومعرفته بما يحدث الى يوم القيامة، واكتفوا بالاشارة الى علمه الغزير كقول ابي حفص:

فـــؤاده بضـــيـــاء العلم منشــرح ووجــهــه بجـمــال النور مــوســوم

العلم قـــيـمـــتـــه والحلم شـيـــمـــتـــه طابت أرومــتـــه والنفس والخـــيـم

ولعل ابن حبوس اكثر المبالغين عندما قال بأن "الكل في علم الامام مقصر".

ويعود عدم اهتمام الشعراء بالجفر (وبالتالي عدم الحاح الخلفاء عليه) الى أنه لم يكن من المبادئ ذات التطبيق العملي المنعكس مباشرة على الحياة العامة :

- فالمهدوية/العدل -----> تبرير خروج ابن تومرت
- والعصمـــــة -----> إقصاء المنافسين له . . .

أما الجفر فلم تقتض الحاجة تجنيد الشعراء له اذ ان تدجيل ابن تومرت جعل البرابرة السذج يرفعونه فوق مستوى البشر(144).

-8- **الجبـــويـــة :** رغم عدم تصريح المهدي بها، فإن عناصر عقيدته تتضمنها، فزمن ظهور المهدي حتمي، واعماله الاصلاحية واقعة، أمر الله بتنفيذها لاصلاح المجتمع الذي فشا فيه الظلم والجور .

لهذا وجدنا الشعراء يفسرون اعمال الخلفاء تفسيرا جبريا كدعواتهم الى الحرب وانتصارهم وتحركاتهم ومواقفهم . . .واستعملوا لذلك عبارات أمر الله (15 مرة) ومراد الله (2) وأمر سماوي، وأمر علوي(2) وقدر مكتوب(2) ونمثل لها بقول ابن حريون :

الامـــر أمـــر الله قـــد حـــفت به ... في اللوح أقــلام القــضــاء الفــيــصل

ويقول الجراوي :

هو الامـــر أمـــر الله ليس يفـــوته ... مـنـاو ولا يـثـنـى عـلـيـــــه مـنـاصـب

وقد جمع ابو الحكم بن رضى البلنسي في تهنئـة يوسف بانتـصاراته على الاسبـان بين العصمة والجبرية، فالخليفة كان ينظر الى الامور بنور ربه (استبعاد الخطأ)، وقدر الله النصر فلا تحويل لما أراد وقدر :

ومـن تـكـون بـنـور الـلـه نـظـرتـه ... رأى الصـواب وسـتـر الغـيـب مـسـدول

مـا اخـتـار الا من اخـتـار الاله له ... وليس عـــمـــا أراد الله تحـــويـل

-9- **ملامـح شيعيــة :** إضافة الى مبادئ التشيع التي سبق الحديث عنها في هذه العناصر ذات الطابع الغيبي، نجد عند شعراء الموحدين ملامح شيعية أخرى نجملها في هذا الجدول :

---

(144) راجع ما قلناه عند حديثنا عن الشعوذة والتدجيل .

التفاصيل / الشعراء	عند الاندلسيين	عند المغاربة	عند الغير	المجمــوع
السبعيات		7		7
الصلاة على الامام والسجود له		2	1	3
نصرة علي		2		2
رثاء الحسين		1		1
مقاتلة المهدي وعيسى للدجال	1		1	2
المجموع	1	12	2	15

الجدول رقم 14- ملامح شيعية

أ - السبعيات : رقم سبعة من الارقام المقدسة عند اليهود (145) والنصارى(146) والمسلمين على السواء .

فالشيعة الاسماعيلية تعتبره سرا من أسرار الباطنية، وتبني عليه مذهبها القائل بوجود سبع فترات للانبياء والرسل وهي على هذا الشكل : آدم، نوح، ابراهيم، موسى، عيسى، محمد، محمد بن اسماعيل (صاحب المذهب) وبين كل نبي ونبي فترة يملأها سبعة من الائمة فبعد محمد (علي فالحسن فالحسين فعلي زين العابدين فمحمد الباقر فجعفر الصادق فإسماعيل) . ويأتي بعد ابنه محمد الذي سيعقبه سبعة أئمة يساعدهم إثنا عشر نقيبا (147).

(145) يقدس اليهود اليوم السابع في الاسبوع : السبت، والسنة السابعة في العام : سنة السبت، العام 49من القرن (7x7) يسمونه عام العيد، وحول السبعيات انظر "طرد السبع في سرد السبع" للصفدي مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 1646 د .

(146)يقول يوحنا اللاهوتي في سفر الرؤيا ان الله يوم القيامة يفتح كتاب الاقدار ويفض الاختام السبعة، فينفخ سبعة من الملائكة في سبعة ابواق وتحدث سبع كوارث تنتهي بها الدنيا .

(147) التشيع في الادب الموحدي محمد بن تاويت دعوة الحق، فبراير 1965.

وفي مرحلة التحمس للعقيدة ضمن أبو حفص هذه السبعينات قصيدته في مدح يوسف ، منها :

الله حـــسبك والسـبع الحـوامـيم	تحـوي بهـا سـبـعـة وهي الاقـاليم
سـبع المثـاني التي لله قـمت بهـا	عليك من ســرها مــعنى وتقــديم
وانت بالســور السـبع الطوال على	كل الورى حـــاكم بالله مـــحكوم
وسـبـعـة الشـهب لم تحـفل بهـا ثقـة	بوعـــد ربك هيـــهـــات التناجـيم
تسـمــو بنفس على السـبع الشـداد	ســمت فـينا وتم لهـا زلفى وتحكيم

وفيها تعبير عن حكم الخليفة بالقرآن واعتماده بدل كلام المنجمين والمتنبئين، وفيها اشارة الى صبره وتحمله لمتاعب الخلافة والحكم . وإضافة الى الايحاءات الشيعية لهذه السبعيات ايحاءات اسلامية . وقد قصد الشاعر بايرادها تحقيق الغايتين :

ب - الصلاة على الإمـام والسجـود له : من التقاليد الشيعية التي تنفر منها باقي الفرق الاسلامية . ويعد أبو حفص من الشعراء الذين تناولوا هذا الموضوع في قوله :

يا ســامــعين أمــاديح الامــام الا	فـاجثـوا على ركب الاعظام أو قـومـوا
صل بالصـلاة عليـه صدق مـدحـتـه	ذاك الرحـيق بهـذا المسك مـخـتـوم

وهذا مظهر من مظاهر تعظيم الخلفاء الموحدين يتناسب ومأأضفوا على انفسهم من أوصاف وألقاب. . . ومع ذلك تجدر الاشارة الى أنهم لم يدفعوا -كزملائهم الفاطميين- الشعراء الى التصريح بتأليههم وانما اكتفوا بدرجة التعظيم .

ولعل في عملي المنصور والمامون تداركا للمواقف واصلاحا للوضع .

ت- نصـــرة عـلي : يشير الجراوي في مدح عبد المومن الى معركة صفين بين علي وخصومه، واحتياجه الى مثل جند الممدوح لهزمهم، وقد قصد بذلك التقريب بين الموقفين، وإظهار قوة عبد المومن وجنده :

لو انهــا نصــرت عليــا لم ترد	خــيل ابن حــرب ســاحــة الانبـار

ث - رثـاء الحسيـن : من الاهتمامات الشيعية العريقة، فقد دأب شعراء الشيعة على إنشاد القصائد في البكاء على فقيد كربلاء، وخاصة ليلة عاشوراء .

ومع أن الموحدين لم يكونوا يحرصون على المحافظة على التقاليد الشيعية وجدنا الجرواي

يتناول في قصيدة طويلة رثاء الحسين . وقد أقامها على مصاريع معلقة امرىء القيس وخمسها بها مرتبة في المصاريع التي من إنشائه ترتيبا هجائيا . أولها :

خليلي دعـــوى برحت بخـــفـــاء ألا انـزلا رحـل الاسـى بـفـنـائـي
وهذا من الصـبـر الجـمـيل بنائي قـفـا سـاعـداني لا تحين عـزائي
قـفـا نبك من ذكـرى حـبـيب ومنزل

ويعتبر الاستاذ ابن تاويت هذا التخميس صنيعا صوفيا(148)، وان كان يعود بعد سرد القصيدة الى استنكار استعمال الجراوي لتعبير عامي او شبيه به مما هو اجدر بأن يكتب على شواهد القبور في قوله (فيا سامعي هذا الرثاء ترحموا)(149).

والحق ان النص يغلب عليه طابع التكلف، زيادة على ان اختيار معلقة امرىء القيس ذات الموضوع الغزلي لم يطابق موضوع الرثاء بما يفرضه من حزن واظهار للاسف والجزع على المفقود، ولا أرى علاقة بين معلقة امرىء القيس والتصوف .

ثم ان الجراوي قد عرف بتمرسه بالهجاء والمدح مع المبالغة فيهما . ولا نعرف له - فيما وصلنا من شعره -موضوعات اخرى بلغ فيها نفس الدرجة من الاجادة . إن الوقوف على ديوانه- او اغلب شعره- قد يلقي المزيد من الاضواء على هذه القصيدة الغريبة بين آثاره . ومن يدري فقد تكون منسوبة اليه ؟

<u>ج - مقاتلة المهدي وعيسى للدجال :</u> المسيح الدجال رجل يهودي يدعى الربوبية في آخر الزمان - سمي بالدجال لكذبه - وقد تكرر ذكره في عدة أحاديث . وعند الشيعة ان المهدي وعيسى سيتصديان لمقاتلة هذا المسيح الكذاب والقضاء عليه حتى لايفتن الناس، ولم يفت الشعر الموحدي ان يسجل هذا الاعتقاد الشيعي المحض، فقد ورد في مدح ابن مجبر للمنصور بمناسبة فتحة لتونس :

أســائلكم لمن جــيش لهــام طلائعـــــه الملائكة الكرام

كما وردت الفكرة عند ابن قلاقس في مدحه لعبد المومن(150).

(148) التشيع في الادب الموحدي محمد بن تاويت دعوة الحق، فبراير 1965.
(149) الوافي بالادب العربي في المغرب الاقصى 1/160.
(150) ابن قلاقس حياته وشعره، سهام الفريح، حوليات كلية الآداب بالكويت 1/1980.

المطلـــب الثالـــث : الشكـــل

تتميز الحضارة الموحدية في اعتماد الضخامة شكلا، والبساطة والبعد عن الزخرف محتوى (الكتبية، صومعة حسان، اسوار الرباط. . .) وامتد ذلك الى الادب فاهتم الشعراء بالمبالغات والتهويلات والامداح اكثر من اهتمامهم بالصنعة اللفظية .

-1- بنـــاء القصيـــدة : لم يعر الشعراء لشكليات القصيدة ومراحلها اي اهتمام، وإنما كانوا غالبا مايدخلون مباشرة الى الموضوع :

الشعراء / المطلـــع	عند الاندلسيين	عند المغاربة	متفرقات	المجمـوع	النسبة
دون مقدمـــات	32	53	7	92	٪ 92
وصف الراحلـة	2	1		3	٪ 3
وصف الطبيعـة	2			2	٪ 2
البدء بحمد الله	2			2	٪ 2
مطلع مستثقـل	1			1	٪ 1
المجموع	39	54	7	100	٪ 100

الجدول رقم 15- بناء القصيـــدة

يبدو من خلال الجدول أن 92 ٪ من القصائد والمقطوعات دخل فيها الشعراء الى الموضوع مباشرة ودون اعتماد مقدمات، والسبب في ذلك ان الخلفاء كانوا يعتبرون الشعر وسيلة من وسائل الدفاع عن العقيدة، والشاعر صاحب رسالة لاتقل في أهميتها عن رسالة الجندي، لذلك أبعدوه عن الاغراض الفاسدة التي لا طائل من ورائها، واثر مضامينه بعناصر عقيدتهم ومبادئها، وصرفوه بذلك عن شكوى الشاعر من الزمن او بكائه على الاطلال او تغزله في المرأة . . . وحتى المقدمات القليلة

الواردة عند بعض الشعراء تختلف عما نجده عند غيرهم .

أ - وصـــف الرحلــــة : استهل ابن حربون قصيدتين بوصف الراحلة، ولم يقدم على ذلك في قصائده التي حملها الى الخلفاء، وانما في قصيدتين محمولتين الى الامير أبي حفص . ومع ذلك كان الوصف مختصرا اذ لم يتعد نصف بيت في الاولى :

حثوا المطي فقد قضـــت أوطارهــــــا   واحـدوا الى باب الامير قطارهـــــا

واربعة أبيات في الثانية، أولها :

عللوا العيــس باقتــراب الديـــــــــار   وانظـــروا هل بدا لـهــا من مـــنــار

ولابي الربيع سليمان قصيدة مدح بها الناصر استهلها بمطلع في وصف الراحلة :

ارح الزميل من أن يـحط ويرحــــــــلا   وألـج ركابك قـد بلغت المنــــــزلا

والق الامــــام محمـدا من يلقــــــــه   يـلق المنى وينـل بـه مـا أمـــــــلا

ب - مطلع في الطبيعة : هناك قصيدتان تبتدئان بالطبيعة متفقتان في الموضوع : وهو التهنئة .

- الاولى لابن حربون : وكعادته يصطنع المطالع في مخاطبة الامراء دون الخلفاء، فقد هنأ الامير أبا حفص بالانتصار على صاحب غمارة، والمطلع مشتمل على بيتين هما :

وجـد النســيم ثناءكم فـتــعطـرا   ورأى الوشـيح مـضـاءكم فـتـأطرا

وتبسمــت أيامكـم عـن أنعـــــم   سمـع الغمـام بذكرهـا فاستعبـــرا

- والثانية لابي عبد الله الشاطبي في تهنئة يوسف بالعودة من الاندلس ويشتمل المطلع على بيتين :

سلام كعرف الروض غب قطــــاره   تحيـــة مشتــاق الفـؤاد مطـــاره

وبشرى كما انشق الدجى عن صباحـه   ولاح هـــلال الفطـر بـعـد ستـــاره

ت - البدء بحمد الله : اتفق الموحدون على وضع عبارة "الحمد لله وحده" في مراسلاتهم منذ رمضان 561 هـ . وذلك اقتداء بالمهدي اذ وجدها في بعض مخاطباته . قال ابن صاحب الصلاة(151) :"ووصل الى أمير المؤمنين أبي يعقوب بن أمير المؤمنين فتح بوقعة كانت على المخالفين

(151) المن بالامامة 363 ولابن تاويت رأي في الموضوع، دعوة الحق غشت 1968.

المرتدين بالمغرب فأمر أن يبتدىء الشعراء فيها بالحمد لله على طريق الكتابــة .فــقال ابن حربون في ذلك :

الحمد لله مذني شاســع الامـــل ونـــاظم الشمــل في سـلك من الجـــذل

وله قصيدة أخرى بدأها كذلك بحمد الله، جاء في مطلعها :

لكم بعد حمد الله تهدَى المحامـــد وفي وصــف عليــاكـم تصــاغ القلائـــد

وكان الخلفاء يطالبون الشعراء بالمطالع الجيدة ولايستسيغون المستثقلة، فقد أعجب عبدالمومن بمطلع قصيدة الاصم المرواني، وعبر عن اعجابه بمسألتين :

- الاولى : قوله، الى اين؟ . . .الى اين؟. . . عندما تغنى الشاعر بالشطر الاول . "ما للعدا جنة أوقى من الهرب".

فختم الشاعر البيت "أين المفر وخيل الله في الطلب"

- الثانية : قوله في ختام القصيدة " بمثل هذا تمدح الخلفاء ".

فأعجب بالمطلع وبالمبالغات التي تتضمنها القصيدة .

وبالمقابل من هذا استثقل مطلع قصيد ابن سيد المالقي :

غمض عن الشمس واستقصر مدى زحـــل وانظر الى الجبل الراسي على جبـــل

وأمر باجلاسه قائلا : لقد اثقلتنا يا رجل، وقد لاحظ صاحب المعجب ذلك عندما قال : "وهذه القصيدة من خيار ما مدح به لولا انه كدر صفوها بهذه الفاتحة"(152).

-2- بـيـن القصيـدة والمقطـوعـــة :

تناول ابن رشيق هذا الموضـوع فـأورد رأي الخليل بن أحمـد(153) القـائل" بان الاطالة تستحب عند الاعذار والانذار، والترهيب والترغيب، والاصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحارث بن حلزة. . . الا ان القطع أطير في بعض المواضع" .

وفي المفاضلة بين صاحب القطع والقصائد يميل الى تفضيل الاول ان لم يكن مـجيدا في القصيدة كذلك . . .

(152) المعجب 217.

(153) العمدة 1 /186.

وهناك أسباب كثيرة تملي على الشاعر شكلا ابداعيا معينا : كالميل الفطري للتطويل، وتملك تقنية الخلق، والقدرة على التغلب على صعوبات الابداع ، وحسن استخدام وسائل التراكم الكمي وأساليبه، أو رغبته في احداث توازن بين أجزاء القصيدة وتهييء الجو المناسب للانتقال من غرض الى آخر، أو على العكس الميل الى الايجاز رغبة في اصابة الهدف دون لف، أو لابتسار التجربة وسوء اختيار البحر والقافية . . .

وقد يكون للنقد أو الذوق العام أثر في الموضوع : فالتطويل يدل على الفحولة، والايجاز يدل على الاجادة (عند البلاغيين).

اضافة الى هذه الاعتبارات هناك خصوصيات أثرت في القصيدة الموحدية من حيث الطول والقصر.

ذلك ان الجدول السادس عشر يسمح بابداء الملاحظات التالية :

- ميل الشعراء الى التطويل :

.71 قصيدة من 100 تشتمل على أزيد من 10أبيات .

و 54 قصيدة من 100 تشتمل على ازيد من 20 بيتا.

الشيء الذي جعل مجموع القصائد المائة يعطي 2606 بيت، أي بمعدل 26 بيتا لكل واحدة.

ويرجع الفضل في هذه النتيجة الى الشعراء الاندلسيين لا الى المغاربة :

أ - فمن 39 قطعة نجد 34 تشتمل على اكثر من 10 أبيات .

و 31 قطعة منها تشتمل على أكثر من 20 بيتا .

و 28 قطعة منها تشتمل على أكثر من 30 بيتا.

و 16 قطعة على أكثر من 40 بيتا .

الشيء الذي جعل هذه النصوص (39) تعطي 1403 بيت.

<u>ب - اما المغاربة</u> : فمن 54 قطعة نجد 33 مشتملة على اكثر من 10 ابيات.

و 19 قطعة تشتمل على أكثر من 20 بيتا.

و 8 قطع تشتمل على أكثر من 30 بيتا.

الشيء الذي جعل هذه النصوص (54) لاتعطي الا 1056 بيتا. (أقل مما أعطته النصوص الاندلسية الاقل عددا) .

الشعراء	عند الاندلسيين		عند المغاربة		متفرقات		المجموع	
من – الى	العدد	الابيات	العدد	الابيات	العدد	الابيات	العدد	الابيات
10 – 1	5	35	21	163	3	26	29	224
20 – 11	3	41	14	201			17	242
30 – 21	3	78	11	274	2	49	16	401
40 – 31	11	402	6	207	2	71	19	680
50 – 41	11	493					11	493
أكثر من 50	6	355	2	211			8	566
عدد النصوص	39		54		7		100	
عدد الابيات		1404		1056		146		2606

الجدول رقم 16– النصوص بين الطول والقصر

أما ميل الشعر الموحدي عموما الى التطويل فراجع الى تأثير الذوق العام للعصر الموجه للشعر، ونقصد بذلك ميل الموحدين الى العظمة والتفخيم في كل شيء، لهذا ساير الشعر الذوق العام فلم يكن هناك أنسب من الاطناب في وصف الانتصارات الموحدية، وفي مدح الخلفاء، وفي مواجهة الخصوم.

ونتساءل لماذا راعى الاندلسيون هذا الذوق دون المغاربة ؟ فهل رفضوا مراعاته ؟ أو انهم عجزوا عن ذلك لعدم تملكهم ما سميناه تقنية الخلق، وعدم القدرة على التغلب على صعوبات الابداع وسوء استعمال وسائل التراكم الكمي من توليد للمعاني ؟ وهذا مستبعد الا اننا وجدنا عندهم 19 قصيدة تشتمل على أزيد من 20 بيتا ، وقصيدتين على أزيد من 50 بيتا منهما يائية ابن خبازة التي بلغت وحدها 149 بيتا .

فالسبب عائد الى خصوصية الشعر المغربي : ضياع الاصول (الدواوين)، وضياع النصوص كلا أو جزءا، وهو ضياع او احتجاب على الاقل . ويمكن أن نمثل للعصر الموحدي بما يلي :

- لـم يصلنـــا كامـلا من دواوينـه الا ديـوان أبي الربيــع مع ماوضـع حولـه مـن نقط استفهـام (154).

- فـالجراوي (528-609 هـ) عـــاش 81 سنـة، 60 منهـا على الاقل وهو شـاعـر البـلاط الموحدي، فعاصر أغلب خلفاء هذه الدولة، وكان يحمل اليهم القصائد في كل المناسبات (وما أكثرها) لايعقل ألا يترك الا حوالي 580 بيتا وهو القدر المعروف لحد الآن(155) .

- ونلاحظ كذلك ان المصادر تختلف في النص الواحد سواء في عدد أبياته أو في ترتيبها، ويمكن ان نمثل لهذا بقصيدته الرائية التي قالها في معركة الارك .

وأغلب النصوص التي وصلتنا عن هذا الشاعر قصيرة .

- ولعل الشاعر ابن حبوس اكثر الشعراء المتضررين من الضيـاع اذ ان ماوصلنا من شعره لايتعدى 200 بيت .

ولايعقل أن تبنى على هذا القدر الضئيل شهرة كشهرة هذا الشاعر الفحل.

وبالفعل فقد جمع له بعض اصحابه الى حدود سنة 560 هـ . حوالي 6500 بيت، فإذا علمنا أنه عاش الى سنة 570 هـ . تبين أنه خلف أكثر من هذا القدر، وديوانه كان مجموعا في حياته اذ أهدى نسخة منه لابن دحية عندما زار الشاعـر في بيتـه بمراكش، وأهداها بدوره الى الخليفة الايوبي الكامـل الناصري. وكانت نسخـة أخـرى منه عنـد القفطي أعـارها لعلي بن القاسم بن عسـاكر فبقيـت عنده(156) .

- ويظهر الخلط والحذف عند هذا الشاعر كذلك. . فلاميته المشهورة في عبد المومن يوم ندوة جبل الفتح تتأرجح حسب المصادر بين 10 و 23 بيتا مع اختلاف في الترتيب(157).

ومما يدل على ضياع الشعر الموحدي (والمغربي عموما)وعدم وصول النصوص كاملة (الندوة التي أقامها عبد المومن على ظهر جبل الفتح)أي(جبل طارق) بعد انتصاره على الاسبـان سنة555 هـ

(154) نسبت كثير من نصوصه لابن عبد ربه الحفيد (انظر مقدمة الديوان) وكتاب أبي الربيع سليمان للدكتور عباس الجراري.

(155) سبقت الاشارة الى ان ماوصلنا من شعره الى الآن هو 620 بيتا

(156) ابن حبوس الشاعر ، عبد الله كنون، الثقافة المغربية 5 - ص 31.

(157) زاد المسافر 44، ونظم الجمان 134 - 136.

وبنائه للقاعدة هناك، فلم يصلنا مما قاله المغاربة الا لامية ابن حبوس السابقة الذكر (وهي قصيرة).

في حين كانت قصيدة الرصافي البلنسي مشتملة على 62 بيتا .

وقصيدة الاصم المرواني مشتملة على 55 بيتا.

وقصيدة ابي بكر بن المنخل على 51 بيتا، وقصيدة ابن صاحب الصلاة على 43 بيتا، وقصيدة ابن سيد المالقي على 41 بيتا. . .

فهل يعقل الا يكون ابن حبوس -شاعر البلاط، المقدم على الشعراء، وأول من ألقى قصيدة بالمناسبة- في مستوى شعراء الاندلس، وهو الذي يعرف ذوق الخليفة وتوجيهات المذهب (الطول. . .)

وأين هي القصائد الاخرى التي ألقاها باقي الشعراء المغاربة ؟

ويمكن ان نصل الى نفس النتيجة لو بحثنا فيما قيل في الندوة التي أقامها المنصور بعد معركة الارك سنة 591 هـ.

- ان من شأن الوقوف على دواوين شعراء الموحدين أن يؤدي الى تغيير كثير من الاحكام .

-3- البحــــور : كان الشاعر العربي يختار لكل تجربة من تجاربه القالب الايقاعي المناسب، فتعددت لذلك البحور .

وقد قام جمال الدين بن الشيخ في دراسته للشعرية العربية(158) بتصنيف البحور بحسب الاستعمال فحصل على النتيجة التالية :

- عند الجاهليين	طويل	وافر	بسيط	كامل	متقارب
- في القرن الاول	طويل	وافر	بسيط	كامل	متقارب
- في القرن الثاني	طويل	بسيط	كامل	سريع	وافر
- في القرن الثالث	طويل	كامل	خفيف	بسيط	وافر

(158) Poétique arabe : essai sue les voies d'une création, Paris, 1975, p, 203 , 227

ولم يبتعد شعراء الموحدين كثيرا عن هذا الاستعمال :

البحور / الشعراء	عند الاندلسيين	عند المغاربة	متفرقات	المجموع	النسبة
الكامل	11	17		28	
الطويل	11	11	4	26	٪ 85
البسيط	8	14		22	
الوافر	5	2	2	9	
متقارب	1	5		6	
خبب	1	2		3	
سريع		2		2	٪ 14
خفيف	1	1		2	
مديد			1	1	
زجل	1				٪ 1
المجموع	39	54	7	100	٪ 100

الجدول رقم 17- البحـــور

فـالبحـور الاربعـة الحـاضـرة في الشـعـر العـربي -حـسب احـصاء ابن الشـيخ- هي الطويل والكامل والبسيط والوافر. وهي نفس البحور المستعملة بكثرة في الشعر الموحدي مع اختلاف بسيط في الترتيب . وهي كلها بحور طويلة .

والمعروف أن هذه البحور أكثر استيعابا للتجربة الهادئة المتأملة التي تجمع الفكر الى جانب العاطفة، في حين أن البحور القصيرة والمجزوة أكثر استيعابا لحالات الانفعال الشديد عند الفرح أو الحزن حيث ترتفع نبضات القلب فتزيد في الانفعال . قال ابراهيم أنيس :

"وفي الحق أن النظم حين يتم في ساعة الانفعال النفساني يميل عادة الى تخير البحور القصيرة والى التقليل من الابيات(159). اما المدح فليس من الموضوعات التي تنفعل لها النفوس، وتضطرب لها القلوب، وأجدر به أن يكون في قصائد طويلة وبحور كثيرة المقاطع كالطويل والبسيط والكامل. . . ."(160).

وقد كانت مهمة الشاعر الموحدي تقتضي التزام الهدوء والتأمل للدفاع عن العقيدة وابراز محاسنها . ومدح الخلفاء .و اضافة الى هذا نجد الموحدين، لا تناسب ميولهم الى العظمة الا هذه البحور الطويلة، لهذا جاء 85٪ من الشعر الموحدي في بحور الكامل الطويل البسيط ثم الوافر.

ومن مظاهر ارتباط هذه البحور بالعقيدة ان المنصور عندما عزم على نبذها والرجوع الى الاصول دعا الشعراء الى استعمال بحر الخبب، فحمل اليه ابن حزمون سينيته التي قال في مطلعها:

حـيـتـك مـعـطرة النفس نفـحـات الفـتـح باندلس

قال صاحب "المعجب" : "فوقعت القصيدة من أمير المؤمنين ومن الحاضرين موقع استحسان"(161).

-4- **القوافي** : من شروط القافية مناسبة المعنى والظرف العام، فمن المتفق عليه أن العين تستعمل في افادة الهلع والتفجع، والواو التألم والاستغاثة، والحاء تفيد التألم والتلذذ على السواء. . . .

وفي احصاء للحروف المستعملة في خاتمة القوافي تبين ان 78 ٪ من شعر أبي تمام جاءت على حروف : ب م ر د ي ن، و 68,5 ٪ من شعر البحتري علي حروف : د ي ب ر ن م . وخاتمة قوافي كتاب الحماسة جاءت على حروف ر ي د م ب ن، وخاتمة قوافي كتاب الاغاني جاءت على حروف ر ي ب م د ن (162).

---

(159) موسيقى الشعر لابراهيم انيس 197 دار القلم بيروت .

(160) موسيقى الشعر 196.

(161) المعجب ص 293

(162) Poétique arabe 229

ولم تخرج قوافي الشعر الموحدي على هذه الحروف :

الشعراء / الحروف	عند الاندلسيين	عند المغاربة	متفرقات	المجمـوع	النسبة
البـاء	10	5	1	16	
الـراء	7	7	1	15	
الـدال	5	7	2	14	
الـلام	4	9	1	14	
الميـم	4	8	1	13	٪ 78
النـون	2	4		6	
الفـاء	3	2		5	
العـين		3		3	
اليـاء	1	2		3	
التـاء	1	2		3	
الهمـزة		2		2	
الحـاء	1	1		2	
الغيـن		1		1	٪ 22
الكـاف		1		1	
السـين	1			1	
الهـاء			1	1	
المجموع	39	54	7	100	

الجدول رقم 18- القوافـي

يتبين من خلال هذا الجدول أن الحروف المترددة هي ب ر د ل م ن ، وهي حروف مجهورة، منها حرفان شديدان هما د ب (163). وقد اختار الشعراء هذه الحروف لمناسبتها لظروف القاء القصائد والغاية منها، وهي نشر مبادىء الدعوة وتوسيع نطاقها وايصالها الى أبعد مدى ممكن، والتنويه بالخلفاء في المحافل . ولما كانت هذه الموضوعات هي الغالبة على الشعر الموحدي، فقد كثر استعمال هذه الحروف المجهورة مقابل تقلص للموضوعات التي تستدعي حروف اللين والهمس كالغزل. . .

وهنالك سبعة حروف لم ترد في سورة الفاتحة لانها، حسب الصفدي -مشعرة بالعذاب وهي الثاء (تفيد الويل والثبور) والجيم (أول حرف من جهنم) الخاء(تشعر بالخزي) الشين والزاي (يدلان على الشهيق والزفير وهما من صفات اهل جهنم) والظاء (لاظليل ولايغني عن اللهب) والفاء (تفيد الفراق والفزع) (164).

هل تجنب الشعراء هذه الحروف (لم ترد لديهم الا الفاء و5 مرات فقط في قوافيهم لعلمهم بهذا التخريج، أو لاعتدال الحروف الموسيقى، او ان الأمر لايعدو ان يكون مجرد توارد، مع العلم ان التخريج اياه كان معروفا قبل الصفدي الذي اكتفى بالتنصيص عليه .

-5- التصوير : يعتبر التشبيه اهم الوسائل الفنية المستعملة من طرف الشعراء الموحدين، وهو وارد بكثرة لايكاد يخلو منه أي بيت .

وعند النقاد القدماء ان ما كان من التشبيه صادقا يقال في وصفه كأنه او ككذا، وما قارب الصدق يقال فيه تراه او تخاله، فاذا خرج الشاعر عن الصدق وجد نفسه في دائرتي الغلو والافراط. . . .

ومع تنوع تشبيهات الموحدين نلاحظ غلبة الصنف الاخير على شعرهم وميلهم الى المبالغة، هذه المبالغة التي تنسجم مع الخط العام للعقيدة، ومع أهداف الموحدين ومواقفهم :

- فقد بالغ الخلفاء في تعظيم أنفسهم (مهدوية، عصمة . . .) فقر بهم الشعرأء من مرتبة الانبياء .

---

(163) جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال، دار الحرية بغداد .

(164) طرد السبع 9 ظـ 10 و .

- تتناسب المبالغة وضخامة العمران الموحدي وعظمته .
- وتبدو في التهافت على آثار الدولة المرابطية وافنائها .
- وتبدو أخيرا في المطامح المستحيلة اذ جعلوا أنفسهم (أي الخلفاء) محور حركة اصلاحية اسلامية تهدف الى تحرير المسلمين من تبعية المذاهب الفاسدة وجعل عاصمتهم مركز خلافة للعالم الاسلامي كله .

وقد استقى الشعراء صورهم من مصدرين أساسيين هما : الذاكرة الدينية والبيئة الحربية.

الموضوع	التفاصيـــل	التـردد
مواقف دينية	معركة بدر	1
	معركة اليرموك	1
	معركتا صفين والجمل	2
	مساعدة الملائكة للجيش الموحدي	3
	ابليس وايقاده للفتن	2
	مواجهة الدجال	2
	النفخ في الصور	1
	الكعبة	2
قصص دينية	قصة موسى	5
	قصة عيسى	2
	قصة يوسف	2
	قصة داوود	2
	قصة سليمان	2
	قصة صالح	1
	قصة نوح	1
	قصة عاد	1
	قصة لقمان	1
	قصة ابرهة وجيشه	1
	المجمـــوع	32

الجـدول رقـم 19 - النـزعـة الـدينيـة

أ - ورجوعـهم الى الذاكرة الدينية، يفسـره التـغليف الديني الذي غلف بـه الموحـدون حركتهم السياسية أصلا .

وإنجاحا لهذه الحركة، وسعيا وراء نشرها وبثها في النفوس، وجدنا الشعراء يقربون بين مواقف إسلامية خالدة ومواقف موحدية حديثة، وكأنهم بذلك يطمحون الى إيجاد علاقات حقيقية بين هذه الواقف السابقة واللاحقة وتشابه بين أبطالها ليبرزوا خطورتها، ويحثوا الناس على التجند حول الموحدين كما تجند السلف حول قادة الاسلام حفاظا على كيان الدولة ومقدساتها .

وهكـذا كـان الشـعـراء يشـبـهـون مـعـارك الموحـدين مع أعدائهم بمعارك بدر أو صـفين أو الجمل. . . وفي هذه كما في تلك كان جبريل والملائكة يقفون في صف المسلمين ويؤازرونهم :

وقال الاصم المرواني :

ويلبس الدين غضا ثوب عزتـــــه   كـأن أيـــــام بـدر عنـه لم تغـــب

وقال الجراوي :

وتشب حيث توجهت عزماتـــــه   حـــرب كمـا وصفــت لنا صفيـــــن

واستعمل الشعراء بعض قصص الانبياء، والقصص الدينية عموما لاستـرفاد مـعانيـها والتقريب بين مواقفها والمواقف الموحدية، فقد شبهوا ما أصاب الاعداء بما أصاب قوم عاد الذين طغوا في البلاد. قال ابن سيد المالقي :

وهذي رياح ريحه عصفت بهــــم   فعـــادوا كعـــاد حين جللهـــا الرمــد

وشبهوهم بجيش ابرهة والموحدين بطير أبابيل، فقال أبو الحكم البلنسي :

كأن أنصارهـم أنصـــار أبرهــــــة   ومن رجـــالاتكـــم طير أبـــابيـــل

وشبه ابن حربون أبا حفص بن عبد المومن بلقمان بن عاد في مواجهته لهم فقال :

بحر كأن أبـا حفـص بصهوتــــه   لقمـــان والمركــب الجـــاري بـه لبــــد

ومن الانبياء الذين استوحى الشعراء قصصهم :

- نوح في عصيان قومه له، وغرقهم بسبب ذلك . (الجراوي).
- صالح في غدر قومه وغضب الله عليهم . (الجراوي).
- عيسى في مواجهته للدجال . (ابن حربون).

- داوود في تهجده بالمحراب (الجراوي).
- سليمان في عظمة ملكه وسلطانه (الجراوي).

وقد استقطبت قصة موسى عناية الشعراء ورددوها في شعرهم فذكروا طوره ويوشعه، وعصاه، وعبوره البحر. وقربوا بين مواقف موسى والخليفة الموحدي.

فعند الاصم المرواني أن عبد المومن في وقوفه على جبل الفتح وانقاذه للمسلمين كموسى عندما سعى لتخليص بني اسرائيل وإنقاذهم:

وطود طارق قـد حـل الامـام بـه كـالطور كان لموسى أيمـن الرتـب

وهذا الرصافي البلنسي يستوحي قصة موسى بتفاصيلها في رائيته الطويلة التي مدح بها عبد المومن، فيشبّه هذا الاخير بيوشع، ويشبه المهدي بموسى (165).

وقد حاول الشعراء بهذه التشبيهات المقتبسة من الذاكرة الدينية ابراز جهود الموحدين وكفاحهم الشاق والمتواصل في سبيل تحقيق أهداف مقدسة وغايات سامية (بتوجيه من العقيدة) شأنهم في ذلك كشأن هؤلاء الانبياء.

ب - البيئـة الحربيـة: لم يخلد الموحدون الى الراحة خلال تاريخهم الطويل وإنما كانوا في مواجهات مستمرة ودائمة في الداخل والخارج . . . انعكست على الحياة العامة بما فرضته من حملات مستمرة ودعوات وتحريضات على الجهاد كان يقوم بها كبار العلماء.

انعكست كذلك على الشعر فوجدنا الشعراء -إضافة الى قصائدهم الكثيرة التي خصصوها لموضوع الحرب -يقتبسون صورهم الشعرية من هذه البيئة التي كان لايُسمع فيها الا صليل السيوف، وصهيل الخيول وهتافات الجنود، فابتعدوا بذلك عن المصادر الاخرى التي دأب الشعراء على الاخذ منها واستلهامها: كالبيئة الطبيعية بتنوعها وجمالها وإيحاءاتها:

---

(165) مطلع القصيدة:

لو جئت نار الهدى من جانب الطور قبست ماشئت من علم ومن نور

الديوان، والمعجب 218.

الشعراء	النصوص المختارة له	التي يغلب عليها الطابع الحربي	النسبـــة النسبة
ابن حربون	14	9	64 ٪
ابن سيد المالقي	3	3	100 ٪
الاصم المرواني	2	2	-
أبو بكر بن المنخل	2	2	-
الرصافي البلنسي	2	2	-
أبو محمد بن المنخل	1	1	-
الشواش الاشبيلي	4	1	25 ٪
ابن طفيل	1	1	100 ٪
أبو سعيد العنسي	1	1	-
منسوبة لابن عياش	1	1	-
الجراوي	29	20	68 ٪
أبو الربيع	13	5	38 ٪
ابن حبوس	7	2	28 ٪
المجموع	80	50	62 ٪

الجدول رقم 20 - البيئة الحربية

الملاحظ من خلال هذا الجدول (الانتقائي) أن 62 ٪ من القصائد الموحدية تستقي صورها من هذه البيئة الحربية فضلا عن تلك التي تتحدث عن الحروب عموما .

ومن تأثير هذه البيئة على الشعراء أن موضوع بائية ابن خبازة توسلي مدحي وديني ومع ذلك وجدنا فيه ذكرا لافناء جيش المعاني، وجمع أشتات الاعاريض، وحشر أنفار القوافي، واقتياد كتائب الاشعار، ونصر المهدي، وارداء العدى، وألسن البيان التي هي عبارة عن سيوف صوارم أشد فتكا من السيوف الحادة . . . يمكن لمس هذا كله في الابيات الاربعة الاولى من قصيدته :

حقيـق علينـا أن نجيـب المعاليـا لنفنى في مـدح الحبيب المعانيـا

الابيـات :

وكثيرا ما كان الشعراء يميلون الى المبالغة والغلو وخاصة في موضوعين هما : وصف جيوش الموحدين والحديث عن انتصارهم .

منها ماهو مقبول متداول كتشبيه الجند في عدده بالحصى وملئه لذلك مساحات واسعة كما جاء عند ابي الوليد اسماعيل الاشبيلي في قوله :

كاثرن أعداد الحصى وتضاءلـت منها فساح أجارع (166) وأخاشب(167)

وعند ابن سيد المالقي :

مـلا البسيطـة منـه بحـر زاخـر فـي لجتيـه كـل بحـر يغـرق

ومنها ماهو مرذول مستثقل وهذا النوع نجده بكثرة عند ابن حبوس الذي اشتهر بمبالغاته وتهويلاته التي انتبه إليها القدماء فقرنوه بابن هانىء وأشاروا الى تأثره به .

لقد اتسمت الصورة الشعرية - كالعقيدة الموحدية - بالغلو والمبالغة . ونهلت من أصولها الدينية، وطبعت بالطابع العام السائد في الدولة طابع الحروب والمواجهات بعيدا عن باقي المصادر التي كان الشعراء يستقون منها مكونات الصورة الشعرية كالطبيعة . . . . ونستثني بطبيعة الحال الشعراء الذين عاشوا بعيدا عن هذا الجو الديني / الحربي كأبي الربيع وبعض شعراء الاندلس (وفي جزء من أشعارهم).

(166) رملة مستوية لاينبت فيها شيء .

(167) الرمل الخشن .

المطلب الرابـع : نمـــاذج تطبيقيـة

- I - النمـوذج الاول : لامية ابـــن حـبـوس

1 - بلغ الزمــــن بهـــديكم مـــا أمّلا	وتعلمت أيامــــه أن تعــــدلا
وبحـسـبـه ان كـان شـيئـا قـابلا	وجـد الهــداية صــورة فــتــشكلا
فـــــــلأنتم الحق الـذي لا يمترى	فـــيـه وليس بجـائز أن يُجـهـلا
ولانتم ســــر الإلـه وأمــــركم	مـلأ العـوالم مـجـمـلا ومـفـصـلا
5 - عـــزلت ولاةُ الحـسن عن إدراكـه	فـهـو المنزه حـسـبـه أن يُعـقـلا
كـــاثـرتم زهـر النجــوم أسنة	وأدرتم فلكا عليـهـا القـسطلا
ومنعـــتم الريح الهـبـوب لانكم	أرســيـتم الحلق المضـاعف أجـبُلا
8 - صـدت تمشّى القـهـقـرى ولو أنهـا	خـاضت رمـاحكم لعـادت مُنخـلا

ابــــن حبـــوس

إشكـاليـــة الاســـم : أبو عـبـد الله مـحـمـد بن حـسين بن حَبـُوس الفـاسي (بالبـاء المضمومة المخففة). نص على ذلك جمال الدين علي بن يوسف القفطي(168) في كتابه "المحمدون من الشعراء وأشعارهم"؛ وابن خلكان في "وفـيات الاعـيـان"(169) . ولم يشـر ابن الابار البلنسي في ترجمته القصيرة لابن حبوس لضبط اسمه(170) وكذا ابن دحية في "المطرب"(171) إلا أن الطابِع وضع شدة مع ضمة فوق باء "ابن حبـُّوس" وهو تصحيف نجد مثيلا له في كتاب "المعجب"(172).

---

(168)تحقيق حسن معمري، 1970 ترجمة 247، ص . 263.

(169) تحقيق محي الدبن عبد الحميد، 70/4.

(170) التكملة طـ. القاهرة، 1956، ج 677/2.

(171) تحقيق الابياري ص . 199، طـ. بيروت 1955.

(172) طـ. العريان والعلمي، القاهرة، 1949.

ولعل مرد هذا التصحيف الى وجود شاعر يقترب اسمه من اسم شاعرنا هو ابن حيُّوس الدمشقي(173) لهذا كان بعض القدماء ينبهون الى ابن حبوس بباء مضمومة مخففة دفعا للالتباس .

ومع ذلك خلط بعضهم بين الشخصيتين :

- كمرتضى الزبيدي في معجمه "تاج العروس" مادة "حيس"،

- وعلي بن ظافر الازدي في كتابه "بدائع البدائه"(174) الذي نسب فيه لابن حيُّوس إجازة شطر قاله عبد المومن بن علي .

- وعلى العكس من ذلك نسب ابن القاضي في "جذوة الاقتباس" أبياتا لابن حبوس وردت في "وفيات الاعيان" منسوبة لابن حيوس الدمشقي(175).

الاصـل والنشأة : يرجع ابن دحية أصل الشاعر الى حبوس مولى بني أبي العافية الذين ملكوا المغرب الاقصى(176)، وأصلهم من تازا . ولم توضح المصادر طبيعة هذا الولاء . ونسبه القفطي الى البربر دون تعيين اسم القبيلة التي ينتمي اليها، وقد أخطأ عندما قال بأنه "أندلسي المولد والنشأة"(177)، ذلك لان ابن الآبار يؤكد على نسبته الى فاس، وهذا سبب تصنيفه في باب الغرباء عن الاندلس من كتابه . وأثبته في نفس الباب ابن عبد الملك في "الذيل والتكملة".

كان ميلاد الشاعر بفاس سنة 500 هـ . وعن ابن عبد الملك أنه "تأدب بالعلماء من أهلها والطارئين عليها"(178). ولم تذكر المصادر إلا اسم واحد من شيوخه هو أبو بكر بن الابيض الاشبيلي . كان شاعرا أكثر مما كان فقيها. واشتهر بالهجاء وقد أورد له صاحب "زاد المسافر" نماذج منه(179).

---

(173) ولد بدمشق سنة 394 هـ وتوفي بحلب سنة 473، له ديوان شعر مطبوع .

(174) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم طـ . القاهرة 1970، ص 75.

(175) الجذوة، طـ . الرباط 256/1 والوفيات 57/4.

(176) المطرب ، ص . 199.

(177) المحمدون من الشعراء، 263.

(178) الاعلام 111/4 عن الذيل والتكملة .

(179) ص . 110.

اتصالــه بالحكام : كانت للشاعر رحلة الى تلمسان قبل حلوله بمراكش ولعلها كانت رحلة علمية(180)، ولا ندري متى دخل الى مراكش ولا بمن اتصل فيها أول مرة، وما نعرفه عن هذه المرحلة من حياته قول صاحب "المعجب" : "وكان في دولة لمتونة مقدما في الشعراء، حتى نقلت اليهم عنه حماقات فهرب الى الاندلس، ولم يزل مستخفيا ينتقل من بلد الى آخر حتى انتقلت الدولة المرابطية"(181).

فعبارة المراكشي تشير الى وجود شعراء في دولة لمتونة وأنه كان على رأسهم . أما الحماقات المشار اليها فلا نعرف هل كانت حماقات شخصية ترجع الى السلوك والاخلاق ؟ أو حماقات ترجع الى قضايا دينية أو سياسية ؟ يقول عنها الدكتور عباس الجراري :

"والراجح أنه لايمثل نوع هذه الحماقات غير فكره الحر الذي دفعه الى الثورة ضد الجمود المرابطي بصفة عامة، وتحجر عقلية الفقهاء بصفة خاصة"(182)، فنسب الى هذه الفترة قصيدتين تظهر فيهما ملامح هذه الثورة هما :

دالية مطلعها :

لذ بالنبــوة واقــتــبس من نورها واسلك على نهج الهـداية تهـتـد

ورائية مطلعها :

ردِ الطّرف حَتى توافي النّمــيــرا فَرُب عَسِيــر أتاح اليـســيــرا

ويبدوأن الشاعر قد انضم الى صفوف المعارضين للدولة المرابطية من أتباع المصامدة، فكان عليه أن يضحي بهذه المكانة المتقدمة لديهم، وأن يلجأ إلى الاندلس مستخفيا ومتنقلا من بلد إلى آخر . وقد حكى صاحب "المعجب" عن عبد الله ابن الشاعر تجربة والده هاته(183).

وإلى هذه المرحلة ينسب شعر ابن حبوس المتشائم والثائر وخاصة الصادية :

أعــدّ لِنَا بحـيـك عـصـا واقـضم مـاضـفـيك حـصـا

(180) الاعلام 111/4.

(181) ط. العريان والعلمي، 214.

(182) ابن حبوس الفاسي، دعوة الحق، مارس 1961.

(183) ص. 214-215.

والعينية :

يـا غـــــراب الشـــــعـــــر لا طـر ت وُمـليـت الـوقــــــوعــــــــا

وقد انتهت فترة المحنة بانتصار الموحدين على المرابطين . وبالرغم من مساندة الشاعر للحركة الموحدية منذ بدايتها، ومشاركته في نشر دعوتها بالاندلس، فإنه لم يعد الى المغرب الا بعد ما تم فتح الاندلس من طرف عبد المومن .

ولاندري متى تم الاتصال بهذا الخليفة . إلا أن أول قصيدة قالها فيه -حسب ماوصلنا - كانت سنة 546 هـ بمناسبة فتحه لمدينة بجاية، مطلعها :

مَنِ القـــومُ بـالغـــرب تُصـــغـي الى حـــديثـــهم أذن المشـــرق

وكـان في بلاط عبـد المومن عـدد من شعـراء المغـرب والاندلس يمجدون الدولة ويخلدون مآثرها، وكان الخليفـة نفسه أديبـا عالما يصدر أحكاما نقدية توجه الشعراء وترشدهم الى النظرية الموحدية في الشعر ، لذلك ليس من السهل أن يلقبه - كما نص على ذلك صفوان بن ادريس - بشاعر الخلافة المهدية(184). فمستوى شعره وإخلاصه للدولة ودفاعه عنها، كل ذلك كان وراء هذا اللقــب .

وقد كان أول المنشدين في الندوة التي أقامها عبد المومن على ظهر جبل طارق (جبل الفتح) بمناسبة انتصاره على الاسبان وبنائه المدينة مطلعها :

بلغ الزمـــان بهـــديكم مـــا أمـــلا وتعـلـمت أيـامــــه أن تـعـــــدلا

وله فيه أمداح أخرى في مناسبات عامة .

وينسحب ابن حبوس خلال العقد الاخير من حياته من البلاط ليحل بمسقط رأسه فاس حيث سيبقى إلى تاريخ وفاته سنة 570 هـ .

قضيــة الــديــوان : قال ابن عبد الملك المراكشي في حديثه عن الشاعر : "وشعره كثير، وقد جمع له بعض اصحابه المختصين به ما علق بحفظه منه أو أحضره ذكره . . . إلى آخر ربيع ستين وخمسمائة فناهز ذلك ستة آلاف بيت وخمسمائة بيت، وقد وقفت منه على مجلد وسط"(185).

---

(184) زاد المسافر، 43.

(185) بواسطة الاعلام 114/4.

وقد أهدى الشاعر نسخة منه الى ابن دحية الكلبي خلال زيارته له بمنزله بدرب السراجين من فاس . وحمله هذا الاخير إلى المشرق فأهداه بدوره إلى الملك الكامل الايوبي .

وكانت نسخة أخرى منه عند القفطي فأعارها لعلي بن القاسم ابن عساكر فبقيت عنده .

لم يصلنا من هذا الديوان الضخم إلا حوالي 200 بيت وهو قدر لايعطينا صورة متكاملة عن الشاعر .

تحليـــل النـــص

الخلفيـــات التاريخيــة : كــانت سنة 555 هـ سنة حاسمة في تاريخ الفتوحات الموحدية، ففيها استرد عبد المومن المهدية من الروم . وكان احتلالها سنة 543 هـ إيذانا بهجوم النصارى على بلاد الاسلام بعدما احتلوا صقلية وأخرجوا منها المسلمين . وعند صاحب "الحلل الموشية" أن عبد المومن لما انقادت اليه أقاليم افريقية بعد فتح المهدية عاد الى المغرب، ولما وصل الى مدينة فاس توجه منها الى سبتة وجاز منها الى الاندلس فنزل بجبل الفتح وذلك سنة 555 هـ (186)

وقال صاحب "المعجب" في هذا الموضوع : "فسار - أي عبد المومن- حتى نزل مدينة سبتة فعبر المحيط، ونزل الجبل المعروف بجبل طارق وسماه هو جبل الفتح، فأقام به أشهرا، وابتنى به قصورا عظيمة وبنى هناك مدينة هي باقية الى اليوم . ووفد عليه في هذا الموضع وجوه الاندلس للبيعة، كأهل مالقة وغرناطة وقرطبة واشبيلية . . . وكان له بهذا الجبل يوم عظيم اجتمع له وفي مجلسه من وجوه البلاد ورؤسائها وأعيانها وملوكها من العدوة والاندلس ما لم يجتمع لملك قبله، واستدعى الشعراء في هذا اليوم ابتداء، ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك وإنما كانوا يستأذنون فيؤذن لهم.

. . . وكان أول من أنشد، أبو عبد الله محمد بن حبوس، من أهل مدينة فاس ".

وقد أورد صاحب "المن بالامامة" بعض القصائد التي قيلت في هذه المناسبة وهي لابي بكر ابن المنخل الشلبي، وأبي العباس أحمد بن سيد الإشبيلي، وعبيد الله محمد بن صاحب الصلاة(187).

---

(186) الحلل الموشية 154 - 155.

(187) ص . 149-173، ووردت قصيدة أبي جعفر بن سعيد العنسي بنفس المناسبة في الحلل الموشية، 115

كان عبد المومن يهدف من وراء هذا الحفل والتشييد الى :

- تخليد انتصاره العظيم على النصارى بالمهدية في نفس السنة واستكمال توحيد البلاد وإعادة الامن إليها والى الشمال الافريقي والاندلس .

- إقامة قاعدة عظيمة على ظهر هذا الجبل لتسهيل التدخل بالاندلس عندما تدعو الضرورة الى ذلك .

ولم تعرف الدولة الموحدية حفلا بهذا الحجم الا مع المنصور بعد انتصاره في معركة الارك.

حـول النـص : أصاب هذا النص ما أصاب شعر ابن حبوس عموما من ضياع وتشويه .فقد اشتمل على ثمانية أبيات فقط، لم يذكر منها عبد الواحد المراكشي سوى البيتين الاولين معتذرا عن نسيانه لباقي الابيات(188) .

ولعل صنيع صفوان بن ادريس عند إثباتها في "زاد المسافر"(189) دليل على ضياع أبيات كثيرة منها، فقد أورد البيتين الاولين وفصل بينهما وبين باقي الأبيات بقوله "ومنها" وأضاف إليها بعد تكرار نفس العبارة بيتين في وصف الرياض .

ويعتقد ابن القطان أن القصيدة التي تبدأ بقوله :

بخليفة المهدي سيدنا اغتدى   نهج العلوم معبدا ومذللا

والمشتملة على ستة عشر بيتا هي جزء من هذه اللامية . ورغم وحدة البحر والقافية هنالك اختلاف واضح في الاسلوب . ففي الاولى يعتمد الشاعر المبالغات والتهويلات في مدح الخليفة وجيشه، وفي الثانية عرض هادىء لمظاهر الحركة العلمية بالمغرب على عهد الموحدين . وسيتضح ذلك بعد التحليل .

ومن الصعب التسليم بأن ابن حبوس لم يقل في هذه المناسبة المهمة -وهو شاعر البلاط والمقدم على الشعراء وأول من أنشد منهم- إلا هذه الابيات القليلة، في حين أنه كان على علم باتجاه الشعر الموحدي نحو المبالغة مضمونا، والطول حجما . فالقصائد التي قالها الاندلسيون في هذه المناسبة يتراوح عدد أبياتها بين 41 و62 بيتا (190).

---

(188) المعجب . 214.

(189) زاد المسافر، 44.

(190) انظر النصوص في المن بالامامة، 149 - 173 والحلل 115 وما قلناه عنها في "مطلب الشكل" من هذا البحث .

إذن فهذا جزء من قصيدة ابن حبوس في ندوة جبل الفتح ويجب التعامل معها على هذا الاساس .

- **بنـــاء القصيـــدة** : يخلو النص -الحالي- من اي شكل من أشكال المقدمات اذ يتناول الشاعر الموضوع مباشرة. ويشتمل على ثلاث حركات متتالية تكون فيما بينها وحدة في الموضوع (العقيدة الموحدية).

- **الحركة الاولى : البطل والزمان** : البطل الديني والسياسي الذي هو الخليفة يطوع الزمان بالرغم مما عرف عنه من تقلب وغدر، فيصير تابعا مهدويا، (2,1).

- **الحركة الثانية : البطل والمكـــان** : يستطيع الخليفة (البطل) نشر امره (عقيدته المهدوية) على اتساع رقعة المكان (العوالم) فيطوع المكان كذلك (5,3).

- **الحركة الثالثة : دعائم البطولة** : يعتمد البطل في هذا التطويع الزماني المكاني على وسيلتين :

- نظرية : هداية، عقيدة. . . .
- عملية : جيش كثير العدد موفور العدة يتغلب على الطبيعة ذاتها (8,6).

-**المستـــوى الصوتـي** : القصيدة من الكامل ، وهو من البحور التي قال عنها حازم "بأن الاعاريض الضخمة الرصينة تصلح لمقاصد الجد كالفخر" (191). وهو بمقاطعة المتشابهة (متفاعلن ست مرات) يوفر ايقاعات موسيقية متجانسة وطويلة .

وبإلقاء نظرة على ماوصلنا من شعر ابن حبوس نلاحظ ان اربع قصائد من قصائده المدحية جاءت في بحر الكامل واثنتين في الطويل ومثلهما في الوافر وأخيرة في البسيط.

وساير بذلك الاتجاه العام للقصيدة الموحدية حيث يأتي "الكامل" على رأس البحور المستعملة (192). ويمكن تفسير هذه الظاهرة بما يلي :

- مناسبة هذه الاعاريض الطويلة لمقاصد الشعراء في توفير قدر اكبر من التنغيم لشعرهم.

---

(191) منهاج البلغاء، 206.

(192) .28 من أصل 100، انظر مطلب الشكل من هذا البحث .

- طبيعة الموضوعات المطروقة التي لاتناسبها الا الاعاريض الطويلة بما تميل اليه من اتجاه الى التأمل والاعتبار للدفاع عن العقيدة وحمايتها . وقد تم التخلي عن هذه الاعاريض عندما تخلى ملوك الدولة الموحدية عن هذه العقيدة .

والى جانب وحدة البحر هنالك وحدة في القافية ورويها اللام من الحروف الجهيرة، يتصل بها مد (لا) يزيدها تنغيما ، ويبقى صداه مستمرا الى حين، خصوصا اذا اخذنا في الاعتبار مكان القاء القصيدة : جبل على ملتقى بحرين عظيمين .

وكأن الشاعر يرغب في أن يوصل صدى الانتصار والوحدة الى ابعد مدى ممكن.

ويتضاعف هذا التنغيم الصوتي والمد الموسيقي :

- بالتصريع في البيت الاول (أملا) وبقافية داخلية في البيت الثاني ("قابلا") .

- واستغل كذلك امكانيات الميم المضمومة الموصولة بمد ، وهي من الحروف الجهيرة كذلك كررها في اغلب الابيات: فلا نتم (البيتان 3 و 4) كاثر تم، وادرتم (البيت 6)، ومنعتم ، وأرسيتم (البيت 7) رماحكم (البيت 8) .

وجاءت اغلب هذه الكلمات في اول الابيات مما مكن من استمرار التنغيم الموسيقي مابين الشطرين، فلا يكاد ينقطع مد الميم في الشطر الاول حتى ينطق بمد اللام في الشطر الثاني، وقد تصل بينهما ميمات ساكنة او مكسورة أحيانا : كما في البيت الاول : هديكم، والرابع : امركم، العوالم، والسادس: النجوم، والسابع: لانكم، أوْ لأمَات أخرى كما في البيت الثاني: قابلاً، والرابع : مجملا .

واضافة الى هذه الامكانيات التنغيمية ، لتكرار الضمير المتصل دلالة : الحضور الدائم والمستمر للبطل وفعاليته وأثره في كل شيء.

ولايجب اغفال دور المد عموما في اغناء موسيقى النص فالقصيدة مكونة من مقاطع قصيرة ممدودة في اغلب الابيات : ففي البيت الثاني سبعة مقاطع ممدودة، وفي الثامن : سبعة كذلك ، وتشتمل الابيات: الاول والثالث والسادس على خمسة مقاطع ممدودة ، والسابع على ثلاثة . أما المقاطع الطويلة فقليلة .

هذه الظاهرة تفسر حرص الشاعر على توفير الموسيقية لقصيدته، وميله الى الفخر.

وتبدو الرغبة في الفخر اكثر في اختيار الحروف المهجورة وتقديمها على المهموسة : فمن مجموع 36 الى 40 حرفا المكونة للبيت نجد من 6 الـى 10 حروف مهموسة فقط، وباقي الحروف مهجورة.

وجاءت متآلفة فيما بينها ، الشيء الذي اضفي على النص طابع التناسب واليسر في المخارج وابعده عن المنافرة بين الحروف.

ولايجب اغفال دور الحركات في الدلالة على مقصد الشاعر من النص، فحسب "فوناجي FONAGY" إن استعمال حركات الفتح بكثرة يفيد الكبر والضخامة ونلاحظ تردد هذه الحركات اكثر من غيرها في هذا النص بين :

22 حركة في البيت الثاني و12 حركة في البيت الخامس. ونلاحظ بالفعل تكاثرها عند توجيه الخطاب الى الخليفة قصد مدحه أو مدح جنده، فهناك : 22 حركة في الثاني، 21 حركة في البيت الثامن، و20 حركة في البيت الاول. في حين قلت في البيت الخامس (12)عندما كان الغرض تتميم فكرة البيت السابق بالاشارة الى استحالة إدراك سر الاله.

أما باقي الحركات فقليلة بالمقارنة مع حركات الفتح : علامة الضم من 1 إلى 10، علامة الكسر من 1 إلى6، وعلامة السكون من 4 إلى 9.

استعمل الشاعر كل هذه الوسائل لتكون القصيدة (رنانة) فتناسب مقام الممدوح (البطل - الموحد) والمناسبة العظيمة التي يحضرها الشعراء من المغرب والاندلس ، ودون ان تخرج عن إطار المفهوم الموحدي للشعر.

- **المستوى المعجمي** : تتميز القصيدة الموحدية بغنى المعجمين العقدي والحربي لاهتمام الشعراء بنشر العقيدة الموحدية والدفاع عنها ووصف مواجهاتها مع أعدائها.

وقد سار ابن حبوس في هذا الخط، وخصص القصيدة لموضوع الخلافة وتعميمها، وعبر عن التعميم بالامر(بيت 4).

واستعمل المصطلحات المناسبة للموضوع : فالهدي (بيت 1)، والهداية (بيت2) أساس الخلافة الموحدية وأحد ركائزها إذ أنها أمر سماوي حال في زمان معين، ليحقق العدل (بيت 1) ويزيح

الظلم والجور، وهو حق (بيت 3) لاريب فيه ولايشك فيه إلا الكافر، ويكون مصدره القلب إذ أنه سر من الاسرار الإلهية التي لاتدرك بالعقل.

و"الحق" و"السـر" من المصطلحات الكثيرة الورود على لسان الصوفية وجاءا في سياق يؤكد ذلك الترابط الوثيق بين التشيع والتصوف .

وفي النص إشارة الى عنصر التنزيه أو التوحيد وهو العنصر الذي قامت عليه الحركة الموحدية، وحاربت على أساسه الدولة المرابطية، دولة المجسمة (بيت 5).

ويختار الشاعر كلمة يُمْتَرى للاحالة علي نصوص قرآنية وحديثية تفيد الشك المقترن بالجدل والمؤدى الى الكفر، وذلك للتقريب بين مواقف الشعوب الشاكة في الدين وموقف الذين يمترون في أمر الموحدين، أما الآيات المحال عليها فعددها عشرون ارتبط في أغلبها الامتراء بالحق منها قوله تعالى :

- " ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون" (193).
- " الحق من ربك فلا تكن من الممترين" (194).
- " لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" (195).

ومما روي عن النبي(ص) أنه قال : " لا تماروا في القرآن فإن مراء فيه كفر" . وهي حجة أخرى يضيفها الشاعر لتأكيد مشروعية الأمر الموحدي وضرورة الاعتقاد فيه والأخذ به .

وفي النص إحالة شعرية فمضمون البيت الاول مطابق لبيت الشاعر ابن هانيء -المفضل لدى ابن حبوس- قاله ضمن قصيدة في مدح معز الدولة :

لا تسألن عن الزمان فإنه   في راحتيك يدور كيف تشاء

ولايمكن الحديث عن تعميم الخلافة دون الحديث عن وسائل التنفيذ والتي هي الجيش، لذلك لم يخل النص من معجم حربي، فالالفاظ التي تعبر عن قيم حربية هي :

- كثرة الاسنة دلالة على كثرة الجند (بيت 6).

(193) سورة مريم آية 34 .

(194) سورة آل عمران، آية 60.

(195) سورة يونس، آية 94.

- القسطل وهو الغبار المنبعث من المعركة (بيت 6).
- الحلق (الدروع أو حملتها (بيت 7)، الرماح، خاضت (بيت 8).

وهناك ألفاظ لها قيم طبيعية : كالريح، الجبال (بيت 7) ، النجوم، الفلك (بيت 6)، جاءت في النص لتدعيم القيم الحربية السابقة الذكر .

فمن مظاهر قوة الجيش الموحدي مكاثرته للنجوم وتكوينه للفلك من الغبار حولها، أما دروعه فهي كالجبال التي تحول دون هبوب الريح، وستكون لنا وقفة أخرى مع هذه الصور التي تبرهن على استمداد الشعراء من البيئة الحربية التي عاشت فيها الدولة الموحدية .

- **المستـــوى التركيبي** : من المشاكل التي يطرحها هذا النص -بسبب انتسابه الى فترة ضاعت فيها نصوص كثيرة- وجود ثغرات بين حركاته : بين الاولى والثانية، وبين الثانية والثالثة، وبتر بعد الثالثة، مما جعل الربط بين فقرات النص عسيرا ، وأثّر بدون شك على المضمون.

فقد تكون صورة الزمان (المهدوي) في واقعها أكثر وضوحا وغنى مما بين أيدينا الآن . وتنسحب نفس الملاحظة على باقي الحركات .

وإذا صعب الحديث عن الربط الخارجي بينها (أي الحركات) فإن الروابط الداخلية متوفرة استعمل فيها حروف العطف كالواو والفاء (وتفيد الاشتراك في الحكم) والضمائر التي تطمح الى تحقيق الانسجام بين أجزاء الكلام .

ويكثر من استعمال الضمائر عددها : 16 ، عشرة منها للمخاطَب على صيغة الجمع، وستة للغائب .

وبالاضافة الى العطاءات الصوتية التي سجلناها عن هذه الضمائر، فإنها تفيد رغبة الشاعر في إضفاء مظاهر التعظيم والإجلال على الخليفة لتتم المطابقة بين حاله والنتائج التي ستترتب على هديه وأمره وذلك على صعيدي الزمان والمكان .

وتطغى المركبات الفعلية على النص، فباستثناء الشطر الاول من البيت الرابع ذي الجمل الاسمية جاءت جمل باقي الابيات فعلية، فمجموع أفعال النص 20 وهذا يفيد حركية النص ودلالته على التحول من حال الى حال : تحولات على صعيد الزمان الذي يتخذ شكل الهداية، والمكان الذي

ينتشر فيه الامر الموحدي، وتغلب الافعال الماضية على المضارعة (15 مقابل 5) والذي يفسر ذلك أن النص يعتبر بمثابة تقرير عما أعطته العقيدة الموحدية من نتائج منذ ظهورها سنة 515 الى سنة 555 هـ: تاريخ الندوة التي خلد فيها الشاعر انتصار الموحدين على أعدائهم وحصول الوحدة الوطنية . إذن فهو تقرير ينسحب على أربعين سنة من عمر الدولة . فطبيعي ان يتم الحديث فيه بصيغ الماضي.

والافعال المضارعة الواردة في النص يستعملها الشاعر في الحالات التي يشير فيها الى الماضي كما هو الشأن في البيتين الثالث والخامس على الخصوص.

وعلى مستوى التركيب البلاغي نلاحظ أن النص يشتمل على مبالغات وتهويلات في كل حركاته : فقد استعمل المجاز في الحركة الاولى عندما جسد الزمان وجعله قابلا لأخذ صورة الهداية، وجعل أيامه قابلة لتعلم العدل الموحدي.

والمعروف أن الدهر مختلف عن الزمان . فالاول غير محدد ويقصد به في الغالب الدلالة على الشر في حين أن الثاني محدود ويستعمل للدلالة على الخير والشر معا. فحدوده في هذا النص الفترة الموحدية، ودلالته التحول من الشر (الفترة السابقة) الى الخير لاكتسابه صورة الهداية وسيره على سنن العدل .

ولاتخلو الصورة من مبالغة إذ أن تطويع الزمان وتحويل مساره بإجباره على أن يكون مهدويا غير مقبول عقلا ولاعادة، ويحتاج الى قوة نادرة . وعند الشاعر أن هذه القوة مجسدة في شخص الخليفة/البطل.

وتتوالى المبالغات في الحركة الثانية وخصوصا في قوله "أنتم الحق"؛ و "أنتم سر الاله". فالعبارة الاولى تذكرنا بعبارة "أنا الحق" التي كان بعض غلاة التصوف يرددونها في شطحاتهم . وقد ألمحنا من قبل الى علاقة التصوف بالتشيع (العنصر الشيعي في المذهب الموحدي) في إيراد الشاعر لهذه العبارة بالذات، مع أننا لانريد أن نتعامل معها على أساس المصطلح الصوفي وإنما على أساس ماأشرنا إليه في المحاضرات النظرية (الفصل الاول) من ارتباط الحق بالعدل عند الموحدين .

ولعل الإحالة القرآنية تؤيد هذا الفهم إذ وردت كلمة الحق مرتبطة بالامتراء إلا أن الحق المذكور في الاثر القرآني مصدره سماوي ولامجال لمناقشته أو الشك فيه . أما الحق الذي يشير إليه الشاعر فله منطلقات معينة، ويعتمد أسسا قابلة للجدل والنقاش، بل وأثارت بالفعل كثيرا من الجدل

والنقاش، وهذا مادفع الشاعر الى ركوب المبالغة برفضه للشك والجدل وتقريبه بين الحق كما جاء في القرآن والحق بمفهومه الموحدي.

وجاءت المبالغة الثانية "سر الاله" لتبرير الاولى، فالحركة الموحدية بعناصرها لايجوز الشك فيها أو مناقشتها لجهل المناقش الشاك لخباياها، فهنالك أسرار إلهية -حسب منظري المذهب الموحدي- صعب على اكثر الناس علما وفهما إدراكها فيكفي أن تعقل . ويمثل هذه المبالغات والتهويلات كان المهدي ابن تومرت يفحم الخصوم ويؤثر في العامة، فيحجم هؤلاء عن معارضته، ويؤيد أولئك عقيدته وأعماله.

وتظهر بطولة الخليفة في تطويع "المكان" فأمره انتشر في "العوالم" التي استعملها الشاعر في صيغة الجمع زيادة في التضخيم والتهويل، ونظرة الشاعر الى الموضوع لا باعتبار ما كان، أي توحيد الامبراطورية الموحدية المكونة من المغارب والاندلس، ولكن باعتبار ما سيكون، أي تصور الموحدين للخلافة الاسلامية التي سيكون مركزها المغرب وتضم كل العالم الاسلامي وهو تصور متفائل لمستقبل هذه الدولة.

وتستمر المبالغة في الحركة الاخيرة وتبدو في مكاثرة الأسنّة الحادة اللأّمعة -التي يحملها الجيش الموحدي- للنجوم المضيئة، و"المفاعلة" تفيد المغالبة . ويوغل في المبالغة عندما يدير هذا الجيش أفلاكا من الغبار على النجوم . ولايغالب النجوم فقط رإنما يغلب الريح كذلك . فرجاله بدروعهم وأسلحتهم يكونون جبالا تحول دون هبوب الريح، ولو أقدمت على ذلك لعادت كالـمُنْخُل بطعنات رماحها الحادة .

وهذا ما أطلق عليه النقاد القدماء "القعاقع المهولة" و"الجعجعة" وهي تصفيف الكلمات الجزلة وركوب المبالغات مع بساطة المعنى !

فما هي النتيجة المستخلصة من هذه المبالغات ؟

- الوظيفة المعنوية بسيطة لاترقى الى مستوى المجهود المبذول في الحركة وهي قوة الجيش الموحدي.

- أما الوظيفة النفسية وهي الغاية من المبالغة والتهويل فهي :

. الافتخار بالجيش الذي وحد البلاد

.زرع الحماس في نفوس المستمعين لان هذا الجيش مقبل على اقتحام معارك أشد خطورة (التعميم)، واليأس والتخاذل في نفوس الاعداء المحتملين، فالجيش الذي يغالب النجوم في السماء، ويتغلب على الظواهر الطبيعية، لايمكن أن يقف أمامه اي جيش آخر وكيفما كان تكوينه .

هذه المعاني والمبالغات تخرج عن نطاق التاريخ لتعانق ميدان الاسطورة الفسيح : أسطورة البطل الذي يتغلب على الزمان والمكان، وأسطورة الجيش الذي يقهر الظواهر الطبيعية ويتغلب عليها مع ما أوتيته من قوة وقدرة على التدمير.

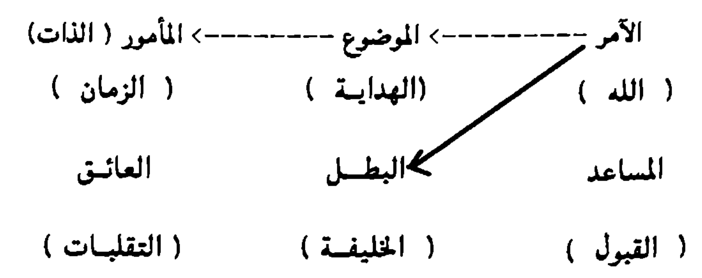
ولعل فهم مثل هذه النصوص وإدراك بنياتها العميقة رهين بالتعامل معها على أساس مايسمى بأدب العجائب والغرائب حيث تختفي الدلالات الواقعية لتحل محلها الوظائف النفسية.

فـفـي هذه الآداب يمتـزج الخيـال بخرق العـادة وتـوهم الحواس والخرافة وقهر ظواهر الطبيعـة . . . (196)

وبذلك يمكن أن تخضع (أي النصوص) لمنهج التحليل السيميائي وخاصة منه فكرة العوامل المكونة من ستة عناصر .

وأساسها وجود موضوع ثمين مبحوث عنه بإيجاده يحدث التوازن، وبفقده يختل هذا التوازن، ولايحصّل عليه بسهولة بل تكون هناك موانع وحواجز لابد للبطل من التغلب عليها ليقع التوازن المنشود .

- النمـوذج الأول :



(196) Todorov : Introduction à la litterature fantastique, Ed : Points, N° 73, p . 46 . 62 .

فالموضوع المبحوث فيه هو الهداية، والآمر الموجه هو الله ، والبطل المنفذ هو الخليفة، والمأمور هو الزمان ، ويتأرجح التنفيذ بين المساعد (قابلية الزمان) والعائق (مايعرف عنه من تقلب وشر وصعوبة مراس).

وفي النص تعابير تدل على الحال والتحول :

- تعابير الحال : امل، كان، الهداية، قابلا، وجد . . .
- تعابير التحول : بلغ، تعلمت، تعدلا ، تشكلا.

وبهذا فالعلاقة بين الذات (الزمان) والموضوع (الهداية) هي علاقة عدم (يرمز إليها بعلامة ٧) وعلاقة وجود (يرمز إليها بعلامة ٨) ويصبح التحول كالتالي :

(ذات ٧ موضوع) ------> (ذات ٨ موضوع)

أي انتصار البطل بالتحول من حالة انعدام الهداية في الزمان، الى حالة وجود الهداية فيه، وبهذا فالبطل يهزم الزمان .

والآمر هو الله ----> الهداية أمر الله (مبدأ موحدي متردد في شعرهم).

- النمــوذج الثانـي :

الآمر ---------> الموضوع ---------> المأمور (الذات)

(الله) (الأمر/ الهداية) (العوالـم)

المساعد البطـــل العائــق

(النفوذ) (الخليفــة) (الاتساع)

فالموضوع المبحوث فيه هو نشر الأمر الموحدي والمهدوية، الآمر الموجه هو الله، البطل المنفذ هو الخليفة، والمأمور العوالم، ويتأرجح التنفيذ من مساعدات (نفوذ الدولة وقوتها) ومعوقات (اتساع العوالم وكبرها).

وفي النص تعابير على الحال والتحول :

- تعابير الحال : ليس بجائز، يجهل، عزلت، إدراك.. .

- تعابير التحول : ملأ، العوالم، مجمل، مفصل، المنزه، يعقل . . .

وقد أعطى التحول نتائج متوقعة في العلاقة بين الذات (العالم) والموضوع (الآمر / الهداية) وهي علاقة جهل أولا (يرمز / إليها بعلامة ٧) وعلاقة علم بعد ذلك (يرمز إليها بعلاقة ٨) وهذه النتيجة هي :

(ذات ٧ موضوع)---> (ذات ٨ موضوع)

أي انتصار البطل على المكان بالتحول من جهل العوالم للهداية إلى علمها بها، وبهذا يهزم البطل المكان كذلك، كل هذا بأمر الله ---> الخلافة ظل الله في الارض.

- الاستنتاج :

في هذا النص تعبير عن هواجس الخلافة الموحدية منذ ظهورها كنظرية الى احتفال سنة 555 هـ وكذا النظرة المستقبلية لها . وتتلخص فيما يلي :

- نشر المذهب الموحدي المشار اليه بالامر او الهداية أو التنزيه على مساحه الزمان أي ضمان استمراريته.

- نشر المذهب على مساحة المكان كذلك بمحاربة الدولة المسيحية ومواجهة الثو رات والتمردات، وخطوة عبد المومن التي قيلت القصيدة بمناسبتها جبارة وتعتبر خطوة مهمة في هذا المجال.

- نظرة طوبوية متفائلة للمكان (العوالم) في اعتقاد مايسمى عند الموحدين بـ "تعميم الخلافة " الموحدية أي نشرها في كافة أرجاء العالم الاسلامي وإرجاع المسلمين الى وحدتهم السابقة، وقوتهم الذاهبة للتمكن من مواجهة عالم مسيحي موحد وقوي، وهو المخطط الذي كان المهدي بن تومرت يردده ويسعى الى تحقيقه .

- لم ينس الشاعر التأكيد على وجود دعائم التنفيذ جيش قوي لايقف أمامه أحد :

إنها أهداف ذات طابع طوبوي لايمكن أن يسايرها ويعبر عنها إلا أدب في مستوى أدب العجائب حيث يلتقي الممكن بالمستحيل، ويذوب الواقع في الاحلام، لذلك لاعجب أن نجد المبالغات تستهدف، وأن يتم توجيه الشعراء إليها في عهد عبد المومن عندما كانت جذوة الحماس للمذهب أكثر

اشتعالا (نماذج ابن حبوس، الجراوي، الاصم المرواني، ابن حربون. . .) وتخبو مع الخليفة العالم يوسف بن عبد المومن لتشتعل من جديد مع يعقوب المنصور الخليفة الشاب المنتشى بانتصاراته على أفراد أسرته وشيوخ دولته ثم لتنطفىء في آخر دولته بعدما تأكدت استحالة التحقيق.

فكانت الدعوة الى طرح هذا الخطاب الشعري المتميز للعودة الى آخر أكثر مناسبة للمستجدات التي تعيشها الدولة.

إن ابن حبوس بقصيدته هاته يمثل مرحلة من مراحل الشعر الموحدي مرحلة اعتماد المبالغات والتهويلات بالنظر الى شعراء أمثال ابن هانىء وابن دراج واستاذهما المتنبي، وهو ماعبر عنه صاحب "المعجب" بقوله : "وكانت طريقته في الشعر على نحو طريقة محمد بن هانىء الاندلسي، في قصد الالفاظ الرائعة والقعاقع المهولة وإيثار التقعير) (197).

(197) المعجب، 213.

II – النموذج الثاني – بائية الجراوي

1	لواؤك منصور وسعدك غالب	وحزبك للاعداء عنك محارب
	لقد ثكلت أم المناوىء وغررت	مبادىء من احواله وعواقب
	سما لاستراق السمع من وهداته	ودون سماء الملك شهب ثواقب
	تلاقي عليه البر والبحر ترتمي	سفين الى استئصاله وكتائب
5	غريق بغريقى مثله متمسك	وموج المنايا مثلهم متراكب
	هوت بهم الاطماع في هوة الردى	وغرتهم جهلا بروق خوالب
	اطاعوا غويا لم تقيده شرعة	ولم تره وجه الصواب التجارب
	مغيب وجه الرأي والوجه حائر	يرى حاضرا في امره وهو غائب
	دعاهم الى آجالهم فتهافتوا	كما جمع الاعواد للنار حاطب
10	تصامم عن وعظ الزمان بقلبه	واعرض عن وجه الهدى وهو لاحب
	تخيل ان الناصرية داره	يطاعن عن ساحاتها ويضارب
	وفي الغيب من انجاد طائفة الهدى	ونصر امير المؤمنين غرائب
	هو الامر امر الله ليس يفوته	مناو لاينأى عليه مناصب
	وما هارب منه ولو بلغ السهى	بناج وهل ينجو من الله هارب
15	بناصرها المنصور تاهت خلافة	تناسبه في حسنه ويناسب
	امام له فضل على الخلق باهر	ومرتبة تنحط عنها المراتب
	مناقبه مثل الكواكب كثرة	ونورا ألا لله تلك المناقب
	هي الدوحة الشماء في الارض اصلها	وقد زاحمت منها السماء الذوائب
	له نسبة قيسية قرشية	تقر لها بالمعلومات المناسب
	حقيق بميراث النبوة والهدى	ولا عجب ان المزايا مواهب
20	بقيتم امير المؤمنين وسعدكم	تهز قنى منه وتنضى قواضب

ابو العباس الجراوي

– ابو العباس احمد بن عبد السلام الجراوي عاش بين 528 و 609 هـ بربري من قبيلة جراوة ؛ من احد افخادها بني غفجوم . كانت منازلهم بتادلا . وقد تسببت له في كثير من المتاعب بسبب ماضيها (تهودت قبل الاسلام) ، فلم يستطع احد من الشعراء الذين تهاجوا معه ان يفحمه سوى ذلك المجهول الذي عيره بأصله اليهودي . فبذل الشاعر مجهودا لمنع تسرب الهجاء الى الناس دون ان يفلح (198) ، فلا عجب اذا وجدناه يهجو بعض خصومه ، المنتسبين الى بني غفجوم ، ويهجو معه قبيلته .

– ومع انتسابه الى هذه القبيلة ، ووضوح اسمها : جراوة نسبة الى جراو بن وارسيخ بن الديرية بن جانا بن يحي بن ضريس بن مادغيس الابتر (199) ، فإن المؤرخين وكتاب التراجم حرفوا هذا الاسم فسموه القرّاوي القوراني والقرائي (كراوي) (200) وقد دعا محمد الفاسي الى النطق بالاسم بالكاف معقودة (كراوي) (201) ويبدو ان هذا التعدد راجع الى تحريف النساخ اصلا .

– والجراوي شخصية متميزة :

خَلقا (بفتح الخاء) كان ضخم الجسد ، عظيم الهيكل لا يطيق الوقوف الطويل (موقفه من ابي حفص الاغماتي عندما دعا الحاضرين اثناء القاء قصيدة في مدح يوسف الى الوقوف تعظيما للخليفة) (202)

خُلقا (بضم الخاء) هجاء ، كثير الحسد للشعراء ، فقد حاول المحافظة على مكانته في البلاط – الشاعر الرسمي – في بيئة تعج بالشعراء وذوي المواهب من الاندلس والمغرب ، كثيرون منهم في مستوى الشاعر او اشعر منه كالاغماتي ، وابن مجبر ، وابن سيد ، وابن حربون ... وقد خاض مع طائفة منهم معارك شعرية وخطابية لم يكن هو المنتصر فيها دائما .

(198) زاد المسافر ، 50 – 51

(199) مفاخر البربر ، ط . بروفانسال ، الرباط ، ص 65 .

(200) لمح السحر للتجيبي ، الذيل والتكملة ، زاد المسافر 49 ، الغصون اليانعة ، 98 .

(201) شاعر الخلافة الموحدية ابو العباس الجراوي ، ص ، 4

(202) البيت المقصود هو قول الاغماتي :

ياسامعين اماديح الامام ألا   فاجثوا على ركب الاعظام او قوموا

– وثقافة الجراوي دينية ادبية . درس بمراكش وفاس والاندلس واخذ ثقافة العصر المتمثلة في حفظ القرآن ودراسة العلوم الدينية واللغوية ، وكان من حظه ان احد شيوخه بالاندلس هو الشاعر احمد بن سيد الكناني (502 - 578 هـ)

– والثابت ان اول اتصاله بعبد المومن كان سنة 553 هـ عندما مدحه برائية في استعمال العنصر العربي ، فلم يدرك كزميله ابن حبوس الدولة في مرحلة البداية ... وإنما التحق بها بعدما استقرت واحكمت قبضتها على المغرب ، الا انه شهد مع عبد المومن حروب الاندلس وافريقية وكان في بداية حياته الشعرية .

– وكانت مهمة شاعر البلاط تسجيل اعمال الخليفة ومنجزاته ومشاركته في رحلاته وحروبه ، وهو منصب سام يخول لصاحبه السلطة والجاه والمال ، ويبدو انه قد ادرك كثيرا من ذلك مع عبد المومن . فرغم معاصرته للشاعر الكبير ابن حبوس الفاسي – والمعاصرة حجاب كما يقال – فانه استطاع ان ينتزع من عبد المومن تلك العبارة التي كانت تملؤه فخرا و زهوا حتى عندما تجاوزته الاحداث وشاخ في عهد الناصر ، فكان يتلذذ بترديدها متذكرا مجده الغابر ، وهي : "يا ابا العباس انا نباهي بك اهل الاندلس" . ولا تتعدى الفترة التي قضاها الى جانب عبد المومن خمس سنوات من 553 الى 558 هـ .

– ويبدو ان مصير الشاعر قد حدد مع يوسف (558 – 580 هـ) فقد اضطر مع الخليفة العالم ان يجري بعض التغييرات على مسار شعره وينقص من تلك المبالغات والتهويلات التي كان عبد المومن يدفع اليها الشعراء . هذه القدرة على مسايرة الاحداث هي التي دعمت مكانته في البلاط الجديد ، وجعلته بلا منازع شاعر الخلافة الموحدية وكان عليه ان يستمر في مواجهة شعراء الاندلس لان ابا يعقوب قضى سنوات عديدة في محاربته للاسبان والثوار فكان يقرب شعراءها ويكرمهم ويتقبل امداحهم ولابن حربون وحده فيه ازيد من عشر قصائد .

– مع ظهور المنصور (580 - 595 هـ) زال ذلك الخوف الذي رافق الشاعر عند تولية يوسف . فمكانته اعلى وامتن من ان يزعزعها شاعر ، وخدماته اجل من ان ينكرها منكر ! لذا عندما احتيج لمن يجالس ابا الحارث عبد الرحمن بن منقذ رسول صلاح الدين الايوبي الى المنصور كان

الجراوي هو الشخصية التي تناسب جلال المبعوث ومكانته السياسية والعلمية .

ومع هذا الخليفة عاد الشاعر الى اساليب المبالغة والتهويل خصوصا وان العصر عرف احداثا جساما استدعت ذلك اهمها معارك الميورقيين (بني غانية) والارك ...

- واهمل الشاعر في آخر حكم المنصور وبعد اعلانه عن عزمه على تغيير المذهب ، ودعوته الشعراء الى استعمال بحور خفيفة واساليب بعيدة عن المبالغات التي كان الشعراء يرددونها . ولعل عامل السن (ازيد من ستين سنة) حال دون تكيف الجراوي مع التوجيهات الجديدة ، فاستمر تهميشه حتى بعد تولي الناصر ، وقد وجدنا وثيقة شعرية تثبت ذلك ، يطلب فيها من الخليفة الجديد ان يعيده الى مكانته التي كان عليها مع والده وجده :

فارقت ما قد كنت فيه كأنه طيف رأته العين في الاحلام
فعسى ارى وجه الرضا فلطالما املت رؤيته مع الاعوام

وهي نغمة جديدة لم نتصور ان نجدها عند الجراوي الهجاء المقدع السليط اللسان ، انها الشيخوخة بما تفرضه على الانسان من نقص في العطاء والحركة . فرغم اجهاده النفس في العطاء ، ومثابرته على مدح الناصر في المناسبات ، لم يدرك الشاعر مكانته ، ولن تسعفه ظروفه الصحية لذلك حتى لو ادركها .

لقد حمل نفسه على مرافقة الناصر الى الاندلس سنة 608 هـ لتخليد معركته المقبلة مع الاسبان . ومن يدري فقد تكون آخر روائعه الشعرية ؟ الا ان المرض لم يمهله الى حين انتهاء المعركة ولعل ذلك من حسن حظه ، فالاقدار قد اعفته - وهو الذي شهد الانتصارات مع باقي الخلفاء - ان يعيش فيما بعد اثقل هزيمة موحدية (معركة العقاب) .

- هذه الحياة الشعرية الحافلة - والطويلة الامد - لا تتناسب بتاتا وما وصلنا من شعر الجراوي (حوالي 620 بيتا) في حين كان له ديوان وقف عليه صاحب التكملة(203) ، وظاهرة ضياع الشعر تتعدى الشاعر الى اغلب شعراء عصره .

(203) قال عنه (وقد وقفت على ديوان شعره) ص . 157 ، ط ابن ابي شنب

تحليل النص

الخلفيات التاريخية :

واجه الموحدون ثورات عديدة في الداخل والخارج : هجومات النصارى على بلدان الاندلس، ثورات : المريدين ، ابن مردنيش ، ابن همشك . وكان بنو غانية (الميورقيون) من اشد الثوار الذين شغلوا الموحدين ورفضوا الخضوع لطاعتهم .

واصلهم من صنهاجة (قبيلة مسوفة) عين منهم على بن يوسف الاخوين يحي بن علي ، ومحمد بن علي المنتسبين الى امهما غانية. وتقلب يحي في عدة ولايات : بلنسية وقرطبة ... اما محمد فقد استغل انشغال المرابطين مع المصامدة ليحتل جزر منورقة وميورقة ويابسة ، وتوارثها ابناؤه من بعد .

وكان بنو غانية على عادة المرابطين يدعون لبني العباس . قال صاحب "المعجب" في حديثه عن اسحاق بن محمد : "فلما كان في شهور 578 هـ والوا الكتب يدعونه الى الدخول في طاعتهم والدعاء لهم على المنابر فوعدهم " (204) .

وتواطأ ابنه علي من بعده مع جماعة من اعيان بجاية مستغلا خبر موت يوسف واشتغال الموحدين ببيعة يعقوب "وظن ان الامر سيضطرب وان الخلاف سينشأ " (205) فهاجم المدينة في 6 شعبان عام 580 هـ بمساعدة اخويه يحي وعبد الله ، وفي اسطول مكون من 20 قطعة وزحف على ما يليها من البلاد الى قسنطينة التي حاصرها الى ان جاء جيش الموحدين بقيادة المنصور نفسه الى بجاية - برا وبحرا - في صفر سنة 581 هـ

فخرج يحي وعبد الله من المدينة ولحقا بأخيهما علي فاتجهوا شرقا الى افريقية ، وكان العرب والغزاة المماليك يساندونهم .

ودخل المنصور بجاية دون قتال يذكر . وجهز جيشه لملاحقة بني غانية ، فانتصر عليهم

---

(204) ص . 269 .

(205) المعجب ، 270 .

بعد هزيمة اولى بتونس . وفيها قتل علي بن غانية فيما يبدو .وعادت فلول المنهزمين الى الجزيرة وحاول محمد بن اسحاق الاعتراف بالموحدين والخضوع لطاعتهم الا ان اخاه عبد الله منعه من ذللك ، واعادها الى ما كانت عليه من الخطبة لبني العباس . وبقي بها الى ان دخلها عليه الموحدون سنة 599 هـ .

وقد شارك الجراوي في هذه المعارك بصفته شاعر البلاط . فكان يقول قصيدة او اكثر في كل وقعة .

- البناء العام للنص :

الفترة التي قليت فيها القصيدة خطيرة جدا - كما اسلفنا - مرت فيها الخلافة الموحدية بتجربة صعبة ، مردها الى :

- مقتل الخليفة يوسف فجأة في الاندلس وفي خضم الصراع مع المسيحيين .

- ظهور تمردات داخلية ومطامع سياسية لبعض افراد الاسرة الحاكمة كأبي حفص عمر اخ المنصور ، وسليمان عمه .

- امتحان شيوخ الموحدين للخليفة الجديد على عادتهم مع كل خليفة لذلك شغل موضوع **الخلافة** الناس وعلى رأسهم "شاعر الخلافة الموحدية " لهذا بنى القصيدة على" اشكالية **الخلافة** " خاصة وانها اول قصيدة يمدح بها الخليفة الجديد .

وتشتمل على مطلع وثلاثة مقاطع وخاتمة .

- المطلع (او الابتداء) : افتتاح اخباري ينوه فيه الشاعر بانتصار الخليفة وحزبه على المناوئين والاعداء (البيت 1)

- المقطع الاول :الخلافة والمناويء (2 - 11) : تناول فيه تجاسر علي بن اسحاق على الموحدين واعتداءه على مناطق نفوذهم ، ومصيره نتيجة ذلك هو واتباعه الذين غرر بهم وساقهم الى الهلاك .

- المقطع الثـاني : الخلافـة امر الله (12 - 14) : تناول فـيه مبـدأ الخلافة وضـرورتها والرعاية الالهية التي تحف الخليفة ... وغير ذلك من عناصر المذهب الموحدي .

- المقطع الثـالث : الخلافة والخليفة (15 - 20) : دافع فيـه عن المنصور في هذه الفـترة الحاسمة التي كثر فيـها المناوئون من البيت الحاكم ومن خارجه مثبتـا توفر ابي يوسف على الشروط الخلقية (مناقب ، افضال ...) والدينية (النسب الشريف) .

- الخاتمة : دعاء للخليفة بدوام النصر واطراده (البيت 21).

- المطلع (او الابتداء)

اعطت الدراسات القديمة والحديثة للمطلع (او الابتداء) اهميـة كبرى ، وجعلته المقصد العام للخطاب ، يتم اختيار لفظه ومعناه ومراعـاة مخارج حروفه (206) ليجذب بذلك النفوس ويستـهوي الخواطر .

وبالاضافة الى هذا اولى الموحدون للمطلع اهمية خاصة كما نعرف فرفضوا المستثقل منه ، ووجهوا الشـاعر نحو تناول الموضوع مبـاشرة دون هدر لمجهوده في موضـوعات لا تـتـناول العقيـدة او تتصل بها . وقد اخلص الجراوي للمبدأ فجاء هذا المطلع الاخباري متصـلا بالموضوع وبالعقيدة ، بل ان الكلمة "المحور" او مـا يسمى "ببؤرة التعبير" نطق بها في اول القصيدة وهي "لواؤك منصـور" فلخص بها الموضوع : الحرب ، الخيانة ، الخلافة ...

وبهـذا يكون قـد قـال كل شيء في كلمـتين. وكـان ذلك عن وعي وادراك لان بقـيـة البيت ستمكننا من معرفة كثير من التفاصيل المتصلة بالموضوع :

- فلم يكن استـعمال كلمة "سعدك" اعتبـاطا ، فالسعد معناه اليمن ، والسعـد منزل من منازل النجوم (سعود النجوم عشرة). وبما ان هذه اول معركة يخوضـها يعقوب بعدما صـار خليفة فان الشاعر عبر عن ذلك برد الغلبة الى طالعه الميمون ، والى سعده الفالح .ولهذا فضلنا هذه الرواية على

(206) انظر ما قاله حازم القرطاجني عن المطلع في كتابه منهاج البلغاء ، ص . 206 .

رواية اخرى "وسمرك غالب" .

- وفي استعمال كلمة " حزبك" تعبير عن واقع الاحداث ، فحزب الرجل اصحابه وجنده الذين على رأيه ، وكل قوم تشاكلت قلوبهم واعمالهم فهم احزاب . وبالفعل فان فترة خلافة يعقوب لوالده يوسف عرفت احزابا وتكتلات هي :

حزب ابي حفص عمر ، وحزب سليمان بن عبد الله ، وحزب شيوخ الموحدين ، وحزب الخليفة نفسه . لهذا استعمل الشاعر لغة الاحداث وجعل النصر لحزب الخليفة .

ومن حيث المعجم المستعمل في المطلع نلاحظ غلبة القيم الحربية وتتجلى في : لواء ، منصور، غالب ، جند، اعداء ، محارب . كل كلمات البيت تقريبا . اما السعد فعنصر كوني او قيمة اخلاقية بحسب التأويل الا ان له ابعادا حربية كذلك بعدما نسب اليه الشاعر الغلبة . (الطابع الحربي للشعر الموحدي) .

واللواء لايقصد به الشاعر العلم وحده انما الدولة والنظام والخلافة ، وقد سبق الجراوي الاحداث "فالمنصور" هو اللقب الذي سيتخذه الخليفة الجديد لنفسه فيما بعد .

والملاحظ كذلك ان الشاعر قد وزع اهتمامه بين الاحداث التي جرت (مواجهة بني غانية) والاحداث الجارية التي لم يجد لها الخليفة الشاب حلا بعد وهي مواجهة اخيه وعمه . فجعل الشطر الاول من البيت لبني غانية الذين انتصر عليهم وغلبهم ؛ والثاني لاعدائه اي الآخرين الذين سيتولى حزبه محاربة احزابهم ، والا معنى لذكر " المحاربة " بعد انتهاء النصر وتمام الغلبة ، خصوصا وان الشاعر لم يبدأ بعد في اعطاء التفاصيل .

واختار الشاعر بحر الطويل لقصيدته مسايرا بذلك الاتجاه العام للشعر الموحدي. ان ارتباط الموسيقى بالمعنى امر وارد في النقد فعند حازم ان الاعاريض الضخمة الرصينة تصلح لمقاصد الجد كالفخر ونحوه (207) . فالطويل بهذا يناسب عظمة الاحداث وضخامتها .

---

(207) منهاج البلغاء ، 206 .

وادرك ما للمقومات الصوتية من اثر في تنغيم الشعر والتأثير على المخاطبين فوفر للمطلع بعض اسبابها :

- عن طريق التصريع الذي يعد بمثابة قافية ثانية فيضاعف التنغيم .

- والقافية (الباء) ذات الحرف الجهير المضموم وفيها هذا الوصل الناشىء عن اشباع حركة الروي وهو الواو بعد الضمة : محاربو ، عواقبو ...

- المد متكرر في المطلع : لوا..ؤك ، منصو..ر، غا..لب ، للاعدا..ء ،محا..رب.وفيه امتداد للصوت والنفس ، وقد يدل - بحسب مقصد الشاعر - على استطالة الاهات (الحزن) او على الافتخار والزهو .

- لأهمية الحرف في تنغيم المطلع لاءم بين الحروف من حيث مخارجها ما بين جهير ومهموس :

اللام : 4 مرات - الواو : 5 مرات - النون : مرتان - الكاف : 4 مرات - الحاء : مرتان- السين والصاد : مرة واحدة .

- وغلب حركات الفتح على باقي الحركات : فتح 14 حركة ، ضم ، كسر : 6 ، سكون : 6 فالموقف الخاص (معركة فاصلة) يقتضيه ؛ والموقف العام (عظمة الموحدين) يناسبه ذلك لما تعبر عنه هذه الحركات من كبر وضخامة .

ومن حيث التراكيب اعتمد الشاعر الجمل الاسمية للتعبير عن ثبوت النصر واستقراره في هذا الافتتاح وستأتي الافعال عند تناوله التفاصيل : تحرك الاعداء متابعة الجنود ...

وربط بين هذه الجمل بحروف العطف او الضمائر ، وجاءت خاصة بالخطاب لتوجهها الى الخليفة . وعند النقاد ان لها دلالات عدة ... وهي هنا تفيد المطابقة لتوجهها الى المخاطب ونقلها لواقع حادث .

ثم ان الشاعر رغم تناوله لاحداث حقيقية لجأ منذ المطلع الى المجاز ، فكنى بالسعد الغالب

عن حسن الطالع وفي هذا احالة على معتقدات دينية وشعبية . فقد ثبت عن الرسول انه كان يتيمن بأشياء كثيرة منها الاسم والشخص "اذا ابردتم" إلي بريدا فابردوه حسن الوجه حسن الاسم " وهذا كثير في المعتقدات الشعبية (208) .

وبهذا وفر الشاعر للمطلع كل الشروط معجميا وصوتيا وتركيبيا ليكون جذابا مبشرا بالمستوى الذي ستكون عليه القصيدة .

المقطع الاول - الخلافة والمناوىء

- **صوتيا** : حاول الجراوي المعروف بموسيقية شعره ان يوفر لهذا المقطع قدرا من التنغيم عن طريق :

أ - الاكثار من استعمال الحروف الممدودة : فقد ترددت بين سبع مرات في بعض ابيات هذا المقطع (البيت التاسع) وثلاث مرات في اخرى (البيت السابع) اضافة الى ورود حرف ممدود في آخر كل بيت ، ولامتداد الصوت والنفس ، فضلا على الجانب التنظيمي ، تأثير معنوي فقد يقصد به استطالة الاهات (الحزن) او الافتخار والحماسة .

ب - توزيع الحروف من حيث مخارجها ومراعاة تلاؤمها وتجانسها واداؤها للمعنى المطلوب : فقد غلب الشاعر الحروف الجهيرة على غيرها مسايرا بذلك الاتجاه العام للشعر المذهبي الموحدي ذي الايقاع الرنان ، نستثني من ذلك البيت الثالث الذي كثرت فيه الحروف المهموسة : السين 4 مرات / الهاء 3 مرات / التاء مرتان/ والشين والكاف مرة واحدة ، وهي المناسبة لمعنى البيت :

. فالحروف المهموسة انسب للتعبير عن التسلل الى السماء وما يقتضي ذلك من تستر واختفاء .

. وهي انسب كذلك لوصف ما يحدث للصاعد من احتباس النفس فالمعروف انها اكثر احتياجا للنفس من غيرها .

---

(208) التفاؤل والتشاؤم ، نجيب يوسف بدوي ، سلسلة اقرأ 309 .

وراعى الشاعر مقولة قديمة عن حرفي العين والقاف فانهما لاتدخلان في بناء الا حسنتاه لانهما اطلق الحروف واضخمها جرسا (209) لم يكد يخلو منهما اي بيت ، بل ورد بعضهما اكثر من مرة : البيت الخامس : تردد القاف مرتين / وفي البيت السابع : ترددت العين مرتين / وفي البيت العاشر : ترددت العين مرتين .

ج - التكرار : اهم خاصية فارقة بين النثر والشعر ، وسواء وقع في نفس الشطر (كما في البيت الثامن - الرأي) او في الشطرين وهو ما يسمى بالتصدير او رد العجز على الصدر فان له تأثيرا صوتيا .

د - الجناس : قد يكون جناس مماثلة فتصبح له فعالية التكرار او جناس مضارعة وهو المتكرر في هذا المقطع : سما - سمع / وسما - سماء / في البيت الثالث . والبر / البحر في البيت الرابع ، وغريق / غرقى في البيت الخامس .وهوت / هوة في البيت السادس ، والرأي - يرى / ومغيب - غائب / وحائر - حاضر في البيت الثامن .

ولهذا الجناس اثر في تقوية العلاقة المعنوية التي تجمع بين الوحدات المعجمية ، اذ المطابقة الصوتية توحي بقرابة معنوية .

معجميا : عودنا الجراوي على غنى المعجم الحربي عندما يصف المعارك ، وغنى المعجم العقدي المذهبي عندما يمدح الخلفاء ، الا انه ظل موزعا في هذا المقطع الاول بين المعجمين دون ميل الى احدهما .

- فمما يمكن رده الى الاول : سفين - كتائب (البيت 4) المنايا (بيت 5) هوة الردى (بيت 6) آجال (بيت 9) يطاعن ويضارب (بيت 11) .

- والى الثاني : الملك (بيت 3) التقيد بالشرع (بيت7) وجه الرأي (بيت 8) وجه الهدى (بيت 10)

---

(209) كتاب العين ، 52 - 60

ويمكن رد هذا الهزال المعجمي الى عامل تاريخي هو : ان المعركة لم تتم بين الاطراف ، فالمنصور دخل الى بجاية بعدما تركها علي بن اسحاق وانسحب مع اخويه جهة الشرق .

ولعل هذا العامل نفسه هو الذي دفع الشاعر الى تعويض هذا ا لعجز بالاكثار من الاحالات وتنويعها .

فالغاية من الاحالة ايجاد قاسم مشترك لدى المخاطبين بين الخطاب المحيل والخطاب المحال عليه . وتسمى كذلك بالتناص ، وتتعدد الاهداف المتوخاة منها بحسب مقصد صاحب الخطاب .

وفي هذا المقطع احالة دينية (في البيت 3) فقد قصد الشاعر التقريب بين موقف علي بن اسحاق في تطاوله على الملك الموحدي وبين الشيطان الذي يحاول استراق السمع الى الملأ الاعلى فيرجم بالشهب الثواقب : قال تعالى : "انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد ، لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب ، دحورا ولهم عذاب واصب ، الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب " (210)

والملاحظ ان استعمال بعض عبارات الذكر الحكيم : السمع ، الشهاب ، الثاقب . وجريمة الشيطان في الآيات المذكورة كبيرة لذا كان جزاؤه عذاب السعير . وهو ما يقصده الشاعر بهذه الاحالة اذ ان جريمة ابن اسحاق في تجاسره على الملك الموحدي شبيهة بها .

اما الجزاء فقد عبر عنه الشاعر بواسطة احالات اخرى ذات ابعاد ودلالات هزلية :

- احالة الى احداث تاريخية ومثل عربي :

أ - ففي الاحالة التاريخية اشارة الى الوضع الحرج الذي وجد فيه ابن غانية نفسه عندما تلاقى عليه البر والبحر ، فلم يجد سبيلا الى النجاة وفي هذا تذكير بوصول النجدة الموحدية الى بجاية عن طريق البر والبحر وعلى ضوء الاحداث يمكن تفسير استعمال الشاعر لعبارتي (ترتمي) (واستئصاله) . فالثابت ان المعركة لم تتم في بجاية وانما اخذت النجدات طريقها وبسرعة الى تونس ،

(210) الصافات ، آيات 6 - 10 انظر في نفس الموضوع سورة الجن ، آيات 7 - 9 وسورة الملك آية 5

وكان المنصور ينوي القضاء نهائيا على هذه الحركة التمردية التي ارهقت الموحدين وشغلتهم . ورغم جهوده لم يستطع (استئصال) الداء الميورقي .

ب - وامعانا في الاستهزاء بابن غانية وانصاره احال الشاعر الى مثل عربي (تمسك غريق بغريق)وهو يعبر عن حالة طلب العون من مصدر هو نفسه بحاجة الى العون وبالتالي عجزه عن تحقيق المطلوب .

والاحالة هنا ليست معنوية فقط وانما هي لفظية كذلك لان الشطر يكرر المثل

- الشطر : غريق بغريق مثله متمسك
- والمثل : تمسك غريق بغريق

ج - ويجرد الشاعر انصار ابن غانية من ادنى اسباب التروي والتفكير عندما يحول مساندتهم لزعيمهم الى عمل شبيه بعمل الفراشات التي تتهافت على النار وتلقي بنفسها فيها دون تفكير في العواقب ، وهي احالة كثيرة التوارد على ألسنة العامة .

ووردت على لسان الشاعر نفسه في قصائد اخرى ، منها :

وهل هو الا من اناس تهافتوا   فراشا على اسيافكم وهي نيران

بهذه الاحالات المتنوعة تمكن الشاعر من :

- تغطية الفقر المعجمي .
- توظيف موهبته في الاستهزاء وسلاطة اللسان .

ويمكن استخلاص وجهة نظر الموحدين في خصومهم بني غانية من خلال هذا المقطع فزعيمهم مناوىء ، شيطان ، طامع وجاهل (بيت 6) خارج عن القانون والشرع (بيت 7) عديم التجارب (بيت7) قاد انصاره الى الهلاك والموت .

والمسكوت عنه هنا أن الموحدين يتصفون بالصفات المقابلة كما سنرى في باقي النص .

تركيبيا : ربط الشاعر المطلع الاول (بقد) التي افادت التحقيق لاتصالها بفعل ماض ، مقررا بذلك انتهاء امر بني غانية بالرغم من ان الصراع في بدايته . اما باقي الابيات فربط بينها بروابط معنوية وبحروف العطف التي تفيد الاشتراك في الحكم ، وعلى الخصوص الضمائر .

والملاحظ ان هذا المقطع لم ترد فيه الا ضمائر الغياب (المفردة 16 ، وجمعا 6) ولا يوجد اي ضمير يفيد الخطاب او التكلم ولهذا دلالته :

- انشغال الشاعر ببني غانية وتوجيهه الخطاب اليهم دون غيرهم .

- غياب ذات الشاعر نتيجة لذلك ، وهو امر يكاد يكون خاصا بهذا النص لان الجراوي عودنا على اقحام نفسه في الامداح .

فهل كان لخصوصية هذا النص باعتباره اول التقاء بين الشاعر والخليفة اثر في هذا التضاؤل ؟

وضمائر الغياب تكثر عادة عندما يسرد الشاعر حكما ومقدمات ونتائج ليستفيد منها المتلقي فيتعظ . وبالفعل في الاحداث التي سردها الشاعر عن بني غانية وغدرهم ومصيرهم ما يدعو الى الاتعاظ والاعتبار!

وغلبة المركبات الفعلية في المقطع يفيد الحركة والتحول ، واننا نكاد نلمس هذه الحركة في البحر الذي يلتقي مع البر ، والسفن والكتائب التي ترتمي على الاعداء ، وتهافت انصار ابن غانية على آجالهم ... وقد ساق هذا كله في الماضي (13 من الافعال الماضية مقابل 6 في المضارع) مما اضفى عليها طابعا سرديا . وقصده من ذلك ان يظهر بمظهر المتأكد من الاحداث الآخذ بزمامها والذي لايقبل الجدل فيها (فالجملة الخبرية لا تحتمل الا الصدق)

ويمكن ان نستثني من هذا كله البيت الخامس الذي خلا من اي فعل فجاءت جمله اسمية تفيد الثبوت فناسب المبنى المعنى اذ ان الغريق لا تصدر عنه حركات وانما يطفو فوق سطح الماء ويستقر عليه . ويكثر الشاعر من استعمال المجاز وفي ذلك تحطيم للحواجز بين الموجودات : استراق السمع من سماء الملك (بيت 3) تلاقي البر والبحر على العدو (بيت 4) تمسك الغرقى بالغريق

(بيــت 5) والثابت ان ابا اسحاق لم يمت غريقا وانما قصد بذلك هزيمته واصحابه المعتمدين عليه .

وفي البيت الرابع تقسيم ، اذ ذكر البر والبحر في الشطر الاول ، وقسم في الشطر الثاني فجعل السفين تكمل معنى البحر ، والكتائب معنى البر . وفي نفس البيت تقابل بين البر والبحر ، والسفين والكتائب وفي البيت الثامن تقابل بين حاضر وغائب . والاكثار من التقابلات يحدث نوعا من الاخذ والرد يشد اليه المتلقي وينتقل بين طرفيه ذهابا وجيئة . هذه المجازات والتقابلات تكتسي طابع العفوية ولا تبدو عليها آثار صنعة جيدة واحكام دقيق .

المقطع الثاني - الخلافة امر الله

صوتيا : استمر الشاعر في الاحتفال بموسيقية النص ، بواسطة :

- المد المتكرر في ابيات المقطع وخاصة في البيتين الاول والاخير منه ، حيث يتجه الشاعر نحو الفخر . اما عندما يكتفي بعرض حقائق فإن المد يقل (الشطر الاول من البيت 13) .

- التصدير او رد العجز على الصدر في البيت 14 (هارب).

- والتكرار اللفظي في البيت 13 (الامر) فبالاضافة الى التنغيم الموسيقي ، للتصدير والتكرار عموما دلالات نفسية : فقد يفيد الحسرة او الحزن او الفخر او الاستهزاء او التأكيد او التلذذ بمعنى الكلمة او بجرسها ... فتكرار (الامر) هو من باب التأكيد . وتكرار (هارب) من باب الاستهزاء .

- الجناس : يعود تنغيمه الى التقارب بين الحروف في النطق ، فهنالك جناس بين (امير) (ومناو) و (ينأى) .

- وما قلناه في المقطع الاول عن الحركات ينطبق على هذا المقطع ذلك ان حركات الفتح تأتي في المقدمة : الفتح 42 ، ضم 16 ، سكون 16 ، وهذا دليل على استمرار الفخر والاتجاه نحو التعظيم

معجميا : خلافا للمقطع الاول جاءهذا المقطع غنيا من حيث معجمه المذهبي وهذا طبيعي

مادام الشاعر قد انتقل من الحديث عن بني غانية المناوئين الى محاولة اثبات احقية المنصور في الخلافة ، وفي المقطع تعبير عن فكرة الجبرية عند الموحدين : فخلافتهم امر الله ، ولا مرد لامره ، قدر فاحسن التقدير عندما جعلها في الشخص المناسب ، وخوله شروط النجاح واسبابه هذه الفكرة سيبسطها الشاعر ويوضحها في المقطع الاخير .

ومع قصر المقطع لا يكاد يخلو اي بيت من ابياته من مصطلح مذهبي فهنالك حديث عن :

- طائفة الهدى وهم الموحدون .
- النصر على الاعداء : التطبيق العملي لفكرة تأويل المتشابه عندهم .
- امير المؤمنين : لقب اختاره ملوك الموحدين لهم منذ عبد المومن
- الامر والنهي من عناصر المذهب الموحدي .
- امر الله : تعبير عن الجبرية كما بيننا .

وباقي المعجم المستعمل مرتبط بمصطلحات المذهب ولا يخرج عنها فالمناوىء او المناصب المعادي لا يمكنه الافلات من امر الله وقضائه والهارب لن ينجو منه ولو التحق بأبعد الكواكب .

وحتى كلمة السهى التي هي عنصر كوني قد وظفها الشاعر لخدمة المذهب .

وفي المقطع احالات قرآنية وشعرية :

أ - فقد استعمل الشاعر عبارتي (أمر الله) بالمفهوم الوارد في القرآن ، اي الفصل في الموضوع وانهائه :

- وكان امر الله مفعولا (211) ، وكان امر الله قدرا مقدورا (212)
- فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون (213)

---

(211) الاحزاب 37 .

(212) الاحزاب 38 .

(213) غافر 78 .

وفي البيت 14 احالة الى قوله تعالى : (وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا (214)

ب - وموضوع استحالة الهروب من الموحدين ونفوذهم وارد بكثرة في الشعر . ولعل الجراوي لم ينس اعجاب عبد المومن بقول الاصم المرواني :

ما للعداجنة اوقى من الهرب   اين المفر وخيل الله في الطلب

عندما قال : بهذا تمدح الخلفاء .

وفي البيت 13 احالة معنوية ولفظية الى عدة قصائد منها ، قصيدة للشاعر:

الامر امر الله ليس يضيره   ما حاولت من كيده الاعداء

وقصيدة لابن سيد المالقي في مدح عبد المومن :

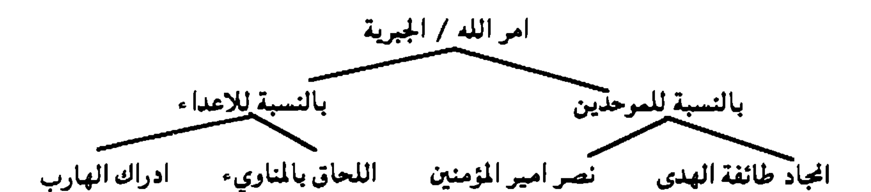
هو الامر امر الله ليس له رد   يؤيده أيد ويسمو به حد

واخرى لابن حربون في انتصار يوسف على صاحب غمارة :

الامر امر الله قد خفت به   في اللوح اقلام القضاء الفيصل

ويهدف الشاعر بهذه الاحالات الى التقريب بين هذه المواقف لايجاد قاسم مشترك بينها : فأمر الله واحد سواء مع عبد المومن او يوسف او الخليفة الجديد يعقوب ، وبالتالي فإن النتيجة واحدة وهي الانتصار . ويمكن التعبير عن ذلك بما يلي :

(214) الجن 12 .



تركيبيا : خصص الشاعر الشطر الاول من البيت 12 للربط بين المقطعين الاول والثاني ، فاحسن بذلك التخلص من احدهما الى الآخر ووصل بينهما .

نوع في هذا المقطع ادوات الربط بين الابيات من حروف العطف الى الشرط وجوابه والاستفهام ، وتبقى هيمنة ضمائر الغياب سارية كما في المقطع الاول . فالوضع لم يتغير من حيث الطابع السردي للاحداث والهدف الوعظي منها .

نوع كذلك في استعمال الجمل بين الاسمية والفعلية بحسب المقصد من البيت : فلم يورد اي فعل في البيت 12 واكتفى بالجمل الاسمية لافادة دوام النجدة والنصر والعناية الالهية التي تحف بالخلفاء الموحدين واورد الافعال في البيتين 13 و 14 عندما عبر عن حركات الهار بين والمناوئين ومحاولاتهم الفرار من امر الله وحكمه .

وغلب على غير عادته الافعال المضارعة وقدم عليها النفي والاستفهام لتفيد الحال والاستمرار ، فحكم الله على هؤلاء يسري وسيبقى ساريا (ليس يفوته ، لا ينأى ، هل ينجو ؟ ...)

المقطع الثالث - الخلافة والخليفة

صوتيا : استمرار الايقاع الصوتي الذي سار عليه الشاعر منذ مطلع القصيدة بوسائل متنوعة :

- المد : وارد في اغلب الابيات : 6 مرات في البيت 15 - و 5 مرات في البيت 17 - و7 مرات في البيت 20 - ومرة واحدة في البيتن 16 و 18 . وهو بذلك يمزج بين الايقاعات القصيرة والطويلة وتكون لهذه الاخيرة وظيفة انفعالية ومعنوية اكثر من الوظيفة الصوتية التي تحققها الاولى

- والتصدير: بما يخوله من ايقاع عندما يتم ذكر الكلمة في الشطر الاول وترديدها في

الشطر الثاني . وتحقق في البيتين : 17 بواسطة (مناقب) ، و19 بواسطة (مناسب) .

- ومثله الجناس لتشابه الكلمات المتجانسة في مخارج حروفها مثل : ناصر ومنصور في البيت 15 - نسبة ومناسب في البيت 19 - ومرتبة مراتب في البيت 16 - ومناقب مناسب في البيتين 17 - 19 والسماء الشماء في البيت 18 .

- اما الحروف فتبقى الغلبة فيها للجهيرة كالباء واللام والميم مع مراعاة الشاعر للائتلاف فيما بينها فليست هناك معاظلة ولا تنافر .

ويكرر احرف الصفير (ص ، س) في البيت 15 ، وكأنه يرغب في التغني بالتناسب العجيب بين الخلافة والخليفة .

معجميا : هذا المقطع استمرار وتأكيد للمقطع السابق فالخلافة التي هي أمر الله وقضاؤه لا يمكن ان تنسب الا للمستحق المؤهل الذي تتوفر فيه كافة الشروط لذا خصص الشاعر هذا المقطع لمعالجة هذه الشروط وابرازها . فطبيعي ان يغلب لذلك المعجم المذهبي المتعلق بالخلافة خاصة ، مثل : الناصر ، المنصور (بيت 15) الامام (بيت 16) ذو النسب القيسي القرشي (بيت 19) وارث النبوة وارث الهداية (بيت 20) .

بل ان كل الالفاظ لا تخرج عن هذا السياق : الخلافة تناسبه ويناسبها (بيت 15) للخليفة فضل ومرتبة لايبلغهما احد (بيت 16) له مناقب كثيرة (بيت 17) وينتسب الى شجرة طيبة هي شجرة آل البيت (بيت 18) .

- ولعل السبب في تركيز الشاعر على هذا الجانب من المعجم المذهبي راجع الى ما سبق ان اشرنا اليه من ظرف خاص تمر به الخلافة الموحدية والمتمثل في تمردات وادعاءآت داخلية وخارجية في فترة لم يستقر فيها الخليفة بعد في منصبه .

ولم يخل المقطع من احالات :

أ - دينية : ففي البيت 28 احالة الى قوله تعالى (كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في

السـمـاء) (215) .

وفي البيت 19 اشارة الى المقولة (الخلفاء من قريش) ، وكان الموحدون يرددونها منذ المهدي (ادعاؤهم للنسب الشريف) .

ب - تاريخية : وهذا البيت نفسه قضية طالما اختلف فيها المؤرخون بين مثبت ومنكر وهي النسب الموحدي ، فقد اضطر المهدي الى رفع نسبه الى آل البيت عن طريق ادريس بن عبد الله ليصح ادعاؤه للمهدوية ، ولكسب تأييد الادارسة الحاقدين على المرابطين . ورفع البيدق (216م) نسب عبد المومن هو الآخر الى آل البيت ليواجه به المتطاولين على الخلافة ، واستمر ذلك مع ابنائه وحفدته .

ولا يمكن للشاعر وهو يحاول اثبات احقية المنصور في الخلافة ان يتجاهل هذه الاحالات المعبرة .

تركيبيا : اول ملاحظة على هذا المقطع هي غلبة المركبات الاسمية خلافا للمقطع السابق الذي غلبت عليه المركبات الفعلية (19 في الاول مقابل 6 في هذا المقطع ويمكن تفسير ذلك باختلاف الهدف منها : في الاول تصوير للصراع الميورقي الموحدي ، وفي هذا المقطع اقتصار على اثبات احقية المنصور في الخلافة بالدليل والبرهان ، لذلك لم يكن الشاعر في حاجة الى توظيف الافعال المعبرة عن التحول ، فأكثر من الجمل الاسمية :

فهناك ابيات واسطر لايوجد بها اي فعل وهذه : الابيات هي : البيت 17 والبيت 20 .

الشطر : الاول من البيت 16 ، والبيت 18 ، والبيت 19 .

والافعال الواردة في بقية الاشطر اكثرها مضارعة (تناسب ، يناسب ، تنحط ، تقر وبالرغم من انها تفيد الحال فان الشاعر يوظفها لاداء مفهوم الاستمرار لمجانسة معاني الجمل الاسمية:

(215) سورة ابراهيم 26 .

(216) " المقتبس من كتاب الانساب " ط . الرباط 12 .

فالمنصور هو الخليفة الآن ودائما، وتتوفر فيه الشروط حالا واستقبالا . وبنى الشاعر هذه الجمل على ما يسمى بالتقابل او التعادل . ومن مميزاته انه يشد المخاطب اليه بما يحدثه من توتر واخذ ورد فيما بين الجمل المتقابلة ، ويظهر ذلك على الخصوص في الابيات :

الابيات	الشطر الاول	الشطر الثاني
16	جملة اسمية	جملة فعلية
18	جملة اسمية	جملة فعلية
19	جملة اسمية	جملة فعلية

وفي البيت 16 فعل مضارع يتبعه بيت هو 17 كل جمله اسمية .

وفي البيت 19 فعل مضارع يتبعه بيت هو 20 كل جمله اسمية .

- وبالاضافة الى التقابل بين الجمل هنالك تقابل معنوي بين الكلمات :

الارض - السماء (18) والاصل - الذوائب (18)

ومن الناحية البلاغية نلاحظ ان العناية بالتعبير المجازي قد تقلصت في المقطعين الاخيرين . فقد اعتبر النقد منذ القديم هذا التعبير ارفع من غيره فالكلمة تبلى بكثرة الاستعمال ، ولكن المجاز ينقل اللفظ من مسماه الاصلي الى شيء آخر فيكتسي حلة جديدة تجعل النفوس اكثر ميلا وهو من وسائل التمييز بين الخطابين الشعري والنثري .

ولعل الدافع الى اعتماد التعبير الحقيقي في هذا المقطع طبيعة الموضوع المطروق . فالشاعر لا يصف معركة حتى يعود الى الميراث الديني او الذاكرة الشعرية او البيئة الطبيعية ، كعادته ، لاستقاء صور منها وانما كان عليه ان يسوق الحجج والبراهين التي تثبت احقية المنصور في الخلافة ، لذلك لم يخل المقطع من بعض الصور المجازية :

- ففي البيت 15 تجسيد الخلافة اذ جعلها بمثابة المرأة الجميلة التي تتيه دلالا على عشاقها وتتمنع عنهم ، ووظف لذلك قرائن تفيد الدلال "الحسن" و "التناسب " وحروفا مهموسة تساير

الموضوع : الاكثار من حرفي ص س .

وهي صور كثيرة الورود في الشعر العربي الا ان الشاعر عكسها ، فالخليفة لعظمته وقوته لا يليق ان يتيه عليه احد ولو كان ذلك في المجاز . لذا نجد الخلافة هي التي تتيه بالخليفة وتسير نحوه لانها تناسبه ويناسبها .

وبالاضافة الى الوظيفة المعنوية : مناسبة الخلافة للمنصور دون غيره ، للصورة وظيفة نفسية : فعدم السماح للشعراء بوضع مقدمات غزلية أفقد القصيدة الموحدية عنصرا أساسيا ومهما وهو الحديث عن المرأة والغزل ، ومثل هذه الصور محاولة من الشاعر لسد هذا النقص ولكن بكثير من الحذر حتى لا يخرج عن المطلوب .

والصورة الثانية وردت في البيت 17 : شبه فيها مناقب الخليفة في الكثرة والنور بالكواكب. ومنذ النابغة الذبياني والشعراء يستعملون "الكواكب " للدلالة على الرفعة والسمو والعظمة والكثرة ؛ اما النور فغالبا ما يستعملون البدر لافادته .

والوظيفة المعنوية للصورة هي التعبير عن كثرة مناقب الخليفة واشتهارها ووضوحها .

اما الوظيفة النفسية : فرغبة الشاعر في التأثير على المتلقي ليقف مشدوها امام المناقب الكثيرة لهذا الخليفة الذي لم تتأكد بعد خلافته كما يقف مشدوها امام كثرة الكواكب في السماء وأنوارها .

وللجراوي ولع خاص بمصطلحات التنجيم ، ففي هذا النص وحده ورد ذكر : الشهب الثواقب/ السهى / الكواكب / السعد ... فهل لذلك علاقة بشبهة حامت حول الشاعر والمتعلقة باشتغاله بالفلسفة والتنجيم (217) .

والصورة الثالثة في البيت 18 : شبه فيها الاسرة الحاكمة بشجرة طيبة اصلها في الارض وفرعها في السماء . ولا يمكن ان يفهم التشبيه الا في اطار الاحالة الدينية السابقة الذكر . ولا يخفى

(217) اشار ابن ابي اصيبعة الى سجن المنصور له مع جماعة بسبب ذلك طبقات الاطباء ، دار الفكر بيروت 1956.

ان اللجوء الى القرآن يكسب الموضوع صبغة شرعية دينية وخصوصا في موضوع كموضوع الخلافة . فالاسرة الموحدية كهذه الشجرة الطيبة في السمو والعطاء ، ومن شأن هذا أن يفحم خصوم الخليفة الذين لا يتوفرون على سند شرعي لادعائهم .

الخاتمة : يختم الجراوي القصيدة بالدعاء لامير المؤمنين وهو تقليد متبع في كل الخطابات الشعرية والنثرية لدى الموحدين . ختمها كما بدأها بالتيمن بالخليفة وسعده . الا انه كان اكثر واقعية عندما تمنى ان يكون هذا السعد باعثا على التفاف الناس حول الخليفة باسلحتهم . وقد وضع اليد بذلك على مشكلة طالما عانى منها الموحدون ، وهي احتياجهم المتزايد والمستمر للجنود والمحاربين فالثورات والتمردات كانت عديدة ، ومواجهة المسيحيين دائمة ،فضلا عن مخططات واهدف كانت تحرك الموحدين وهي عزمهم على توحيد العالم الاسلامي لاعادة الاعتبار الى الخلافة الاسلامية في وقت تقوت فيه المسيحية وتكتلت . فكانوا يلجؤون الى الفقهاء والخطباء والشعراء لتحريض الناس على الجهاد .

ويسهم الشاعر في هذه الدعوة في خاتمة قصيدته .

الدلالات : ان اللغة الشعرية تعبير عن معاناة الشاعر بحيث تعطينا الصورة التقريبية لتجربته ،هذه التجربة التي تفاعلت مع جميع المؤثرات التي تلقاها جهازه العصبي (لون ، حركة ، صوت ، حجم ...) والتي عاشها وهو ينظم قصيدته وبهذا تساعدنا على تلمس ثقافة الشاعر واحساساته ويتمظهر لنا حال مجتمعه من كل النواحي الحضارية :

. **دلالات تاريخية** : يثير النص مجموعة من الاحداث التاريخية :

- طبيعة الفترة الانتقالية من حكم يوسف الى حكم يعقوب وما رافقها من صراعات وتمردات : اطماع الاسرة الحاكمة ، اطماع بني غانية ...

- لم يستطع الشاعر الانفصال عن الاحداث الجارية في البلاد فخصص لها ازيد من نصف القصيدة لاعطاء وجهة نظر الدولة في الخلافة وشروطها واعرافها ... اقصاء الطامعين المناوئين الذين يجب ان يحاربوا الى ان يفيئوا الى امر الله (الجبرية) .

. **شخصية الشاعر** : تبدو شخصية الجراوي واضحة من خلال النص :

أ - بسلاطة لسانه وحدة هجائه الذي لم تسلم منه قبيلته ولا اقرب الاصدقاء الى نفسه . وهذا ما يدفعه الى ان يحول وصف الحرب الى هجاء ، او المدح الى هجاء او الاعتذار الى هجاء ... ولعله الهجاء الوحيد في الدولة الموحدية .

فقد لاحظنا ان المقطع الاول المخصص لوصف المعركة عبارة عن هجاء لابن غانية واتباعه ، واستهزاء بهم .

ب - بنوعية ثقافته ، وهي ثقافة خاضعة لمناهج تربوية مغربية اصيلة وتتمثل في حفظ القرآن ودراسة الحديث واللغة العربية وآدابها وايام العرب واخبارهم وامثالهم ، لذلك لاحظنا ان الاحالات التي تغلب على النص هي احالات قرآنية اولا ، ثم شعرية ثانيا . ويجب هنا ان نذكر ان الظرف الخاص للنص لم يسمح للشاعر ، صاحب الحماسة المغربية ، ان يثري النص باحالات مستمدة من الشعر العربي كما هو الشأن مثلا في كثير من امداح الجراوي للخلفاء ، واهتمام الشاعر ببعض العلوم وانعكاسها على شعره مظهر من مظاهر التفتح العلمي الذي عرفه عصر الموحدين منذ حكم عبدالمومن والى آخر حكم المنصور .

ج - بتطبيقه الدقيق للتوجيهات الموحدية في شأن الانتاج الشعري الشيء الذي مكنه من المحافظة على مركزه كشاعر للبلاط مدة طويلة وسط عدد كبير من شعراء المغرب والاندلس .

هذه المعطيات التي تحكم شعر الجراوي والتي ترددت باساليب متقاربة - رغم اختلاف الظروف والاحوال - سمحت بالقول بوجود "قصيدة جراوية " متميزة عن غيرها .

. **نموذج للشعر الموحدي** : ومع هذه الخصوصية يمكن اعتبار القصيدة من جانب آخر نموذجا للشعر الموحدي بكل خصائصه اللفظية والمعنوية وذلك لما سبقت الاشارة اليه من خضوع الشاعر للتوجيهات المقدمة للشعراء عن طريق استحسان الخلفاء او رفضهم لما يرفع اليهم من شعر وملاحظاتهم الشفوية عليه : فقد خلت من المقدمات ، واهتمت بعناصر العقيدة ، والتزمت باتجاه الدولة نحو التعظيم والتضخيم : في البحر والقافية وعدد الابيات ،وفي الاهتمام بالمقومات الصوتية واختيار الحروف الجهيرة الشديدة والائتلاف بينها وتغليب حركات الفتح ، والبعد عن الزخرفة المبالغ

فيها سواء في اللفظ او الصورة .

فجاءت بذلك مجانسة للحضارة الموحدية عموما او التي تعتمد الضخامة شكلا والبساطة مضمونا (الكتبية ، حسان الاسوار ...) وهي حضارة ذات طابع بدوي لم ترق بعد مستوى الحضارة المدينية التي سيعرفها المغرب مع المرينين نتيجة الاتصال الوثيق بين الحضارتين الاندلسية والمغربية والتمازج بينهما .

النموذج الثالث : رائيته في معركة الارك .

1-	هو الفتح أعيا وصفه النظم والنثرا	وعمت جميع المسلمين به البشرى
	والمجد في الدنيا وغار حديثه	فراقت به حسنا وطابت به نشرا
	تميز بالاحجال والغرر التي	أقل سناها يبهر الشمس والبدرا
	وسهلت المرقى اليه صوارم	كثير بها القتلى قليل بها الاسرى
5-	واثمره الصبر الذي لم تزل به	حماة الهدى والدين تستنزل النصرا
	لقد اورد الادفنش شيعته الردى	وساقهم جهلا الى البطشة الكبرى
	حكى فعل ابليس باصحابه الالي	تبرأ منهم حين اوردهم بدرا
	اطارته شدات تولى امامها	شريدا وانسته التعاظم والكبرا
	واسلم مما اثلثه جدوده	نجوم قلاع تزحم الانجم الزهرا
10-	من النيرات الزهر ضوءا ورفعة	وان لم يسموها سماكا ولا نسرا
	تعوذ بالركض الحثيث من الردى	فلو سابق الارواح غادرها حسرى
	راى الموت للابطال حوليه ينتقي	فطار الى اقصى مصارعه ذعرا
	وقد اوردته الموت طعنة ثاثر	وآن لم يفارق من شقاوته العمرا
	ما صبر من افنى الزمان حماته	وجرعه من فقد انصاره صبْرا
15-	حكت اخت صخر في الرزايا نساؤهم	كما قد حكى ابطالهم في الردى صخرا
	تضحضح في وقت من الدهر بحره	وقد ضاقت الافاق من فيضه دهرا
	ألوف غدت مأهولة بهم الفلا	وامست خلاء منهم دورهم قفرا
	ودارت رحا الهيجا عليهم فاصبحوا	هشيما طحينا في مهب الصبا يذرى
	يطير باشلاء لهم كل قشعم	فما شئت من نسر غدا بطنه قبرا
20-	فكيف رأى المغتر عقبى اغتراره	وكيف رأى الغدار في عينه الغدرا
	وكان يرى اقطار اندلس له	متى يرم لم يحظىء باسهمه قطرا
	فسلاه يوم الاربعا عن المنى	فما يرتجى مما تملكه شِبْرا
	اذا عزلته الروم وكانت نجاته	وقد احرقت جمر المنايا به عذرا

فَتَعسا له مادام حيا ولا مُنــــــى وكسرا له مادام حيا ولا جبرا
25- بيُمن الامام الصالح المصلح الرضى نَضى سيفُه الاسلامُ فاستأصل الكفرا
مُعِز الهُدَى مُعليه حَامِي ذِمَــــاره يجير على اعدائه البر والبحرا
مُعَان بامداد الملائك مــنزل من المعقل الاسمى مناويه قسرا
راى السبل شتى فاتقاها تورعـــا وسار على المثلى فيسر لليسرى
ومن قام للاسلام مثل مقامه يكن شكره فرضا ، ومدحه ذكرا
30- تحلى بصدق السر والجهر شيعة حباه بها من يعلم السر والجهرا
له عسكر مجر من الصبر والتقى يرد على اعقابه العسكر المجرا
اغاث به الله البلاد واهلها وصير غايات الفتوح له ذكرا
يقصر فيه كل مُثْن وان علا واجرى الى اقصى نهايته الفكرا
فلازال بالنصر الالهي يقتضي بَشائر يُحْصى قبل إحْصائها القطرا(218)

1 - الخلفيات التاريخية للنص :

كانت الحروب والمواجهات سجالا بين الموحدين والاسبان ، فلم تكن تخمد الواحدة حتى تنشب اخرى وفي احداها طلب الفونسو الثامن ملك قشتالة وتحت ضغط الفتن الداخلية – من يعقوب المنصو رالصلح لمدة خمس سنوات ، الا انه قبل انصرام المدة اغار على بلاد الاسلام وحكم السيف في رقاب المسلمين وبلغت طلائع جنده الجزيرة الخضراء دون ان تجد امامها قوة رادعة .

ودفعته نشوة الانتصار الى ان يوجه رسالة الى المنصور فيها من الاستهزاء ما اقض مضجع الموحدين واضرم غضبهم ، وتذكر المصادر ان المنصور دفع الرسالة الى ابنه محمد (ولي العهد آنذاك) للاجابة عليها ، فكتب على ظهرها هذا التوقيع الذي اشتهرفيما بعد (قال الله العظيم : ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقِبَل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون) (219) .

(218) البيان المغرب 197 . الوافي - 1/141 - 142 .
(219) سورة النمل آية 37 .

فتمت المناداة الى الجهاد ، وتقاطر المتطوعة على العاصمة من انحاء المغرب الاوسط وافريقية وباقي جهات الامبراطورية الواسعة ويعزى هذا الاقبال الى عاملين :

- استفزاز مادى : يتمثل في وصول جيش الفونسو الى الجزيرة وقتله الابرياء والعزل وتجريدهم من متاعهم .

- استفزاز معنوي : يتمثل في الرسالة الوقحة التي يصف فيها الفونسو الموحدين بالعجز ويطلب منهم مراكب يعبر عليها المضيق ليقاتلهم في عقر دارهم . امام هذا الاستفزاز المضاعف اختفت كل الخلافات الداخلية واجتمعت كلمة المسلمين لمواجهة الخطر الاجنبي المحدق بهم .

ولانريد الدخول في التفاصيل التي تسوقها كتب التايخ من تنظيم الجيش واعداده واستعدادالموحدين للمواجهة بالخطب والتحريض على الاستشهاد . المهم ان المعركة كانت ضارية ودارت في مكان اسمه الارك Alarcos على الحدود بين مملكة قشتالة وارض الاندلس العربية وذلك يوم الاربعاء 9 شعبان 591 هـ وتم فيها النصر للمسلمين بعد مقتل خيرة قوادهم وعدد كبير من جند الاسبان وفرار الفونسو وبعض رجاله من المعركة .

وكان هذا الانتصار يوازي في ظرفه التاريخي وفي عظمته والجيوش المتقابلة انتصار يوسف بن تاشفين على المسيحيين في الزلاقة .

وقد جاءت وفود الشعراء تهنيء به وتمدح صانعيه وعلى راسهم الخليفة وكان الجراوي شاعر البلاط ، اول المهنئين ، وله في هذه المناسبة قصيدة اخرى مطلعها :

فتح مبين جل ان يتخيلا   جاء الزمان به اغر محجلا

2 - البناء العام للنص

كعادة الشاعر في اغلب قصائده بني النص على افتتاح وحركتين :

- الافتتاح : ليس مقدمة طللية او غزلية وانما هو من صلب الموضوع الا انه لاهمية الحدث وعظمته افتتح النص بذكره والاشادة به قبل كل شيء وقد لاحظنا في نصوص سابقة ان الافتتاح لا يتعدى البيت الاول يتخلص الشاعر منه لمواجهة القصيدة ، اما هذه المرة فالحدث مهم وعظيم لذا كان الافتتاح اطول (5 ابيات) ، وهو عبارة عن تلخيص للموضوع ككل وتقديم لزبدته ونتيجته قبل

الدخول في تفاصيله وظروفه ... ففيه حديث عن الفتح العظيم الذي اعجز الشعر والنثر وشب عن الوصف وانتشر في البلاد طولا وعرضا ، صنعته سواعد الجند وصبر حماة الدين وجلدهم ...

- الحركة الاولى : في هزيمة الاعداء (6 الى 24) وتشتمل على 5 مقاطع

الاول : في تغرير الفونسو بانصاره عند ما زين لهم الحرب (6 - 7)

الثاني : مفاجاة المسلمين له بقوتهم ، مما ادى الى اصابته بالذعر (8 - 10)

الثالث : فراره من المعركة بعد اصابته بجروح (11 - 15)

الرابع : وصف المعركة ومصير انصاره (16 - 19)

الخامس : تبخر احلامه ونهايته (20 - 24)

الحركة الثانية : في نصر المسلمين : ثلاث مقاطع (25 - 34)

الاول : في مدح الخليفة صانع النصر ومحققه (25 - 34)

الثاني : في مدح جنده (31 - 32)

الثالث : دعاء باطراد النصر (33 - 34)

3 - ملاحظات حول الشكل :

1 - كما لاحظنا في النصوص السابقة يدخل الشاعر مباشرة الموضوع دون اصطناع مقدمات او تضييع مجهود في التغزل، ونظرا لاهمية هذا الفتح تناوله الشاعر في اول كلمة نطق بها في القصيدة وافتتحها به وبهذا ضمن الشاعر لقصيدته وحدة عضوية .

2 - وتاتي هذه القصيدة في الدرجة الاولى من حيث الطول - لقصائده المدحية (والثانية لشعره عموما بعد مرثية الحسين) ومع ان المصادر اختلفت في ترتيب بعض ابياتها فانها تكاد توردها كلها .

وهي بذلك تخضع لتوجيهات العقيدة والخلفاء الذين يرتاحون للقصائد الطويلة التي يبدأ فيها ويعاد ، وتكرر امداح الخلفاء واوصافهم ...

3 - اما من حيث الوزن فليس هناك انسب من الطويل لهذا الفتح العظيم (اعتماده البحور الطويلة كما اسلفنا) فهو بتفعيلة الثانية يمكنه ان يبدى ويعيد في وصفه وتخليده لتكون القصيدة مثله مدوية صاخبة تزيدها موسيقية قافية الراء الممدودة امتداد هذا النصر وكأنه يرغب بها

اسماع صوته الى ابعد مدى ممكن لنشر نبأ هذا النصر والافتخار به .

تضاف الى ذلك الموسيقية اللفظية التي احدثتها طباقات لفظية في الابيات (1 - 4 - 17 - 26 - 30)وجناسات في الابيات (5 - 14 - 18) ورد العجز على الصدر (16 - 20 - 24 - 30 - 31) ولم تكفه راء القافية وانما كررها في اغلب الابيات لتنغيم القصيدة وموسقتها فقد تكرر هذا الحرف سبع مرات في البيت(20) وست مرات في البيت (31) وخمس مرات في البيتين (11 - و28) واربع مرات في 10 ابيات ...

4 - واذا كان النص غنيا من حيث الموسيقى فانه يكاد يخلو من الزخرفة والصنعة الفنية لعدم ملاءمتها لظروف العقيدة الموحدية عموما ، فاضافة الى المطابقات والجناسات القليلة المذكورة في الفقرة السابقة نجد استعارة في البيتين (13 - 18) .

وتشبيه في البيت 16 ومع عدم مبالغته في ايراد الصور البيانية نلاحظ على بعض ابيات القصيدة مسحة من الجمال في التعبير والتناول وخاصة الابيات 3 - 5 - 11 - 12 - 14 التي اظهر فيها الشاعر تفوقا ملموسا .

كما نلاحظ في هذا النص بالذات المامه بالثقافة والشعر العربيين (جامع الحماسة المغربية) فمن البيت الاول نتذكر قول ابي تمام في عمورية :

فتح الفتوح تعالى ان يحيط به   نظم من الشعر او نثر من الخطب

ونرى ان شاعرنا تمكن من ان يقول في شطر واحد ما قاله الشاعر الطائي في شطرين ولهذا قيمته عند البلاغيين .

كما انه يحملنا الى الجزيرة العربية في البيت الثاني عندما يذكر الغور ونجْدا ليلفت انتباهنا الى حقيقة انتشار خبر الفتح ... فما اوسع الغور ونجدا وينفذبنا الشاعر الى اجواء الادب العربي :

- عندما يتحدث عند رحا الهيجاء التي تطحن الابطال

متى ننقل الى قوم رحانا   يكونوا في اللقاء لها طحينا (220)

(220) من نونية عمرو بن كلثوم المشهورة .

- وعن الخنساء التي تبكي اخاها صخرا (في البيت 16)

- وعن النسور التي تأكل اشلاء الابطال (البيت 19) وهذا البيت يذكرنا بقول الطرماح

ولكن قبري بطن نسر مقيله بجو السماء بين نسور عواكف ؟

وكذلك ما ورد عند المتنبي في الحدث الحمراء .

ان الشاعر المطلع على الادب العربي يهدف من وراء هذه الاقتباسات والاحالات الى اعادة الذهن الى مواقف سابقة تساعد على ادراك اهمية الحدث : فهذه المعركة في هولها لا تقل عما دار في حروب شهيرة كحرب البسوس وحروب الفتح الاسلامي وحروب المعتصم وسيف الدولية ...

3 - فلا غرابة والحالة هذه ان نجد في القصيدة : مبالغات ومعجما حربيا واسعا .

- تبدو المبالغات في الحديث عن انتشار نبأ النصر (بيت2)

- وعلى الخصوص في مدحه للخليفة (26 - 27 - 34) وترددت في القصيدة الفاظ ومصطلحات لها ارتباط وثيق بالحرب: - الصوارم (4) الاسهم (21) العسكر (31) الابطال (12- 16) الانصار الحماة (14)

- القتلى الاسرى (4) الردى (6 / 11 / 16) الموت (12) مصارع (12) الفناء (14) البطشة(6) هشيم طحين (18) اشلاء، قبر (19)

- القلاع (9) الهيجاء (18) قشعم، نسر (19)

وهذا التكرار يفيد الطابع الحربي الغالب على النص .

وغالبا ما تكون هذه الظاهرة مرتبطة بالدين عند شعراء الموحدين لان هذه الحروب هي حروب حماية الدين ورعايته ورد النصارى عن بلاد الاسلام .

وقد استمد الشاعر الصورة الواردة من البيت 7 من آية قرآنية فقد حكى الادفنش في دفعه باصحابه الى المعركة وفراره منها بعد ذلك فعل ابليس الذي زين للمشركين محاربة المسلمين به ثم تخلى عنهم بعد اشتداد الحرب وهو مضمون قوله تعالى (واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس انى جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم انى ارى ما لا ترون ، انى اخاف الله رب العالمين) (221)

---

(221) سورة الانفال آية 48 .

واقتبس منه كذلك في البيت 28 (ويسر لليسرى) (222)

وفي البيت 30 (من يعلم السر والجهرا ...) (223)

وفي البيت 27 اشارة الى محاربة الملائكة الى جانب الموحدين (كمحاربتهما الى جانب اصحاب بدر) وهي فكرة وجدناها كثيرا عند الجراوي وشعراء الموحدين عموما.

وهذا اضافة الى ما تتضمنه الابيات من معان دينية عامة كحماية الاسلام واستئصال الكفر واغاثة المسلمين واتصاف الجند باوصاف دينية : التقى الصبر والورع والصدق .

4 - ملاحظات حول المضمون

1 - سبق ان لاحظنا غنى المعجم الحربي في النص لاهمية المعركة الحاسمة، ورغبة المسلمين في رفع الضيم عن المدنيين الذين لحقهم اذى المسيحيين ، ولم يكن هنالك ما يدفع الشاعر الى الاهتمام بالمعجم العقدي (كماهو الشأن بالنسبة لبائيته في المنصورضد بني غانية) فلم يكن بحاجة الى اثبات احقية المنصور في الخلافة مثلا لذا جاء فقيرا ، ومع ذلك لا تخلو منه العناصر الهامة كالمهدوية المتمثلة في البيتين (5 ، 26) والامامة (25) واوصاف الامام : الصالح المصلح الرضى (25) - الفتح والفتوح (1 - 32) النصر (5) والنصر الالهي (34) ومحاربة الكفر واستئصاله (34) وحتى في هذه العناصر يبدو انه اهتم بتلك التي لها علاقة بالحادث اكثر من غيرها . فاذا استثنينا المهدوية والامامة نجد ذكرا للفتح والنصر ومحاربة الكفر ...

2 - من مميزات الشعر الموحدي تخليده لاحداث ومواقف تاريخية ووصفها فيتجاوز بذلك المجال الادبي الى المجال التاريخي ولعل الخلفاء قد قصدوا تحقيق هذا الهدف بالذات عندما وجهوا الشعراء نحو الاهتمام بالعقيدة وطرح ما سواها من اشعار ذاتية لا طائل من ورائها ، او على الاقل تخصيص حيز ضيق لها .

ان هذه القصيدة تعتبر وثيقة تسجل معلومات هامة عن المعركة وتلتقي مع كثير من التفاصيل الواردة عند المؤرخين :

أ- فالبيت الثامن يشير الى تعاظم الفونسو وتضخم "الأنا " لديه عندما جال تلك الجولة

---

(222) من مثل قوله تعالى (ونيسرك لليسرى) سورة الاعلى آية 8 .

(223) من مثل قوله تعالى (.. يعلم سركم وجهركم) سورة الانعام آية 3 .

السهلة التي انتصر فيها على المدنيين العزل وسلب اموالهم فخاطبه الخليفة خطابا يدل على هذا التعاظم.

ب - تتحدث كتب التاريخ (224) كذلك عن المفاجاة والهول الذي اصاب الفونسو وقواده وجنده عندما خرج لهم جيش ثان بعدما اتخن فيهم الجيش الاول طعنا وضربا، فقد قسم الموحدون جنودهم الى قسمين الاول بقيادة ابي يحيى بن ابي حفص والثاني بقيادة المنصور نفسه، وكان الرأي لرئيس جند الاندلس ابي عبد الله بن صناديد ،ونتيجة لهذا الهول الذي اصابه :

. تخلى عن القلاع الحصينة التي كانت بارضه .

. وفر ناجيا بنفسه وفر معه ما تبقى من جنده (ابيات 9 - 11)

- وفي البيت 13 كما (في التاريخ) الفونسو اصيب بجروح اثناء المعركة .

- ونظرا لكثرة الجنود واحتدام المعركة كان عدد القتلى مرتفعا (ابيات 4 - 12 - 17) وقد اعطى المؤرخون رقم 30 الف قتيل مسيحيي ونصف العدد من المسلمين .

- وفي البت 20 اشارة الى عذر الفونسو ونقضه للصلح المبرم بينه وبين الموحدين .

- وفي البيت 22 ذكر ليوم المعركة يوم الاربعاء 9 شعبان 519 وهو اليوم الذي تبخرت فيه احلام الفونسو فضاعت الاندلس من يده بعدما كان يعتقد انها من ملكه .

ان الجراوي يزاوج بين الواقعية في ايراد الاحداث وتسجيلها ، والمبالغة في مدح الخليفة وتعظيمه واظهار فضائله ومناقبه .

وهو بذلك يخدم التاريخ ، ويحظى برضا مخدومه وعطائه في نفس الوقت .

ان لهذه القصيدة ، كما لباقي شعر الجراوي دلالات اهمها :

أ- الدلالة التاريخية : تسجل معركة من معارك الموحدين الخالدة (اهم معاركهم على الاطلاق) وتورد كثيرا من التفاصيل التي تساعد المؤرخ وتلقى الاضواء على النص التاريخي للفترة

ب- دلالة على الشعر الموحدي عموما : بمافيه من التزام بالقضية الموحدية (العقيدة باهم عناصرها) وطرح لما سواها من مقدمات طللية وغزلية ... وولع بالمبالغة والتهويل (وخاصة في المدح)وايراد لمعجم حربي ديني كثيف وبعد عن كل مظاهر الزخرفة والصنعة المبالغ فيها .

---

(224) ورد الحديث عن المعركة في اغلب كتب التاريخ : البيان المغرب ، المعجب ، الانيس المطرب ، الحلل الموشية وعصر المنصور الموحدي .

ج – دلالة على شخصية القائل : بميله الى الجزالة والتهويل والموسيقى الصاخبة الرنانة وبشخصيته الهازلة التي تميل الى الدعابة التي قد تصل الى حد سلاطة اللسان والاستهزاء (ابيات 8 – 11 - 22) وبثقافته القرآنية الدينية والمامه بالادب العربي .

لقد استطاع الجراوي بثقافته وموهبته الشعرية واخلاصه للعقيدة ان يفرض وجوده في البلاط الموحدي مدة طويلة الا ان اهمال المغاربة عموما ، وسلاطة لسان الشاعر خصوصا أديا الى ضياع كثير من شعره الذي يعتبر بحق وثائق تاريخية هامة من شأن تحقيقها ودراستها ان يضيف الكثير الى تاريخ الدولة الموحدية والتاريخ المغربي عموما .

النموذج الرابع : نونيته في انتصاريوسف بالاندلس

قال الجراوي بمناسبة انتصار يوسف في معركة حارب فيها الملك النصراني فرنندو البيبوج بن الادفونش سنة 570 هـ .

-1	عن امركم يتصرف الثـــــــقلان	وبنصركم يتعاقب الملـــــوان
	وبما يسوء عدوكم ويســـركـــــم	تتحرك الافلاك في الـــــدوران
	جاهدتم في الله حق جهـــــــاده	ونهضتم بحماية الايمـــــان
	وتركتم ارض العدى وقلوبهـــــم	في غاية الرجفان والخـــــفقان
-5	وغزاهم الدين الحنيفي الـــــذي	كتب الظهور له على الاديـــــان
	كتب الاله لكم فتوحا في العـــــدى	هذا لها وسواه كالعنـــــوان
	هذا مقام المصطفى يا فـــوز مـــن	حاز النيابة فيه عن حســـــان
-8	من يعرف الرحمن حقا يعـــــترف	بحقوقه لخلـــيفة الرحمـــن (225)

1 - الخلفيات التاريخية للنص :

طلب البيبوج (El Baboso) بن ادفونش ملك اسبانيا الصلح مع الموحدين ، عندما كان في حالة حرب مع القمط نونه صاحب طليطلة ، وفضلا عن ابرام الصلح امده الموحدون بعسكر للظهور على خصمه ، وتبادل مع يوسف الهدايا ، الى انه في آخر سنة 569 هـ نكث ونقض الصلح .

فاستعد ابو يعقوب لمحاربته أوفى استعداد وبعث الى القبائل والاجناد لتلحق به في اشبيلية ، وفي الثالث من صفر سنة 570 هـ تقدم الجيش الموحدي بقيادة ابي حفص اخ الخليفة لمواجهة البيبوج بمدينة السطاط قاعدته ، فغزاه وافتتح قنطرة السيف وناضوش وقال الشعراء في ذلك واطنبوا ، ومنهم الجراوي . (226)

---

(225) البيان المغرب 216 - الوافي 1/ 148 - 149 .

(226) البيان المغرب 216

2 - البناء العام للنص

هناك اختلاف بين شخصيتي عبد المومن ويوسف ، وبين الشروط التاريخية التي عاشا فيها . فبينما كان خليفة المهدي المتحمس للعقيدة التومرتية يوجه الناس للالتفاف حولها لان الدولة كانت في بدايتها ولم تقف بعد على اقدامها ، لذا وجه الشعراء لركوب المبالغات والتركيز على العقيدة. في حين نجد ابنه يوسف الذي تولى الخلافة بعد استقرار الدولة واستتباب الامن بها - عدا الاندلس التي لم تكن تنتهي اضطراباتها - وكان بطبعه عالما اديبا يقرب الشعراء والفلاسفة غايته احداث نهضة علمية بالبلاد .

ولم يكن يرتاح لذلك الشعر الصاخب المذوي وانما لمثل ما كان يحمله له ابن حربون وبعض شعراء الاندلس من الشعر الذي يهتم فيه بالمعاني وتوليدها واجادتها ، والاساليب ورقتها ، ولقد شعر الجراوي بامتعاض وهو الحريص على ارضاء الخليفة والمحافظة على مكانته في بلاطه ، ان عليه ان يغير الاسلوب الذي كان يمدح به عبد المومن . ذلك انه الاسلوب الذي يلائمه .

ولهذا يلاحظ الدارس لشعر الجراوي في هذه الفترة

أ - انه يختلف كثيرا عما كان عليه في عهد عبد المومن .

ب - انه يختلف من نص الى آخر وكأن كل قصيدة تجربة ومحاولة لايجاد المنهج المناسب لمدح الخليفة واذا كان في قصيدتيه في مدح يوسف ومطلعهما :

الاولى : نظر بكل سعادة مقرون   نالت به الدنيا المنى والدين

الثانية : حللت من العلى اسمى ذراها   وجاريت النجوم الى مداها

يحاول الاقتراب من اسلوب ابن حربون ، فان النص الذي بين ايدينا هو اقرب نصوص هذه الفترة الى مدحه المؤمنى بمبالغاته في مدح الخليفة والتنويه بجهوده في سبيل نصرة الدين .والنص من اوله الى آخره في فوز يوسف على اعدائه ومدحه .

2 - ملاحظات حول الشكل

كعادة الجراوي في شعره نلاحظ :

1 - دخوله المباشر الى الموضوع (وقد سبق ان فسرنا هذه الظاهرة لديه)

2 - اعتماد بحر يناسب عظمة الدولة والفتح ويستوعب تجربته الهادئة المتمثلة في ابراز محاسن الخلافة (الكامل) والقصيدة هنا قصيرة : لا لان المناسبة غير مهمة ولكن الراجح ان النص لم يصلنا كاملا . فعادة الشاعر ان يتناول موضوعاته في قسمين كبيرين يخصص الاول عادة للاعداء (ووصف المعركة)والثاني للموحدين والخلافة ، او ان الشاعر بحكم المرحلة - تجريب المناهج للوصول الى الانسب لمدح يوسف - اقتصر على هذه الابيات القليلة .

3 - خلافا لما رايناه في القصيدة السابقة من طغيان الصيغ الماضية نجده هنا يساوي بين ضيع الماضي والحاضر (7 - 7) بل وقصد بصيغ المضارع في النص افادة المستقبل والاستمرار (الابيات 1 - 2 -8) فسلطته ونصر الله له ومنجزاته ومساعدة الزمن والاعتراف بحقوقه ... دائمة مستمرة.

4 - ومن الناحية الفنية ينحدر مستواها مما عهدناه عند الشاعر :

- تشبيه وطباق (6 /2) في حين ان هنالك عبارات تنقصها طلاوة الشعر وهي اقرب الى النظم او الكلام المنثور: وتركتم ارض العدى وقلوبهم (4) وكتب الظهور له على الاديان(6) من يعرف الرحمن حقا يعترف (8)

وفي البيت 3 اقتباس قرآني (جاهدتم في الله حق جهاده) (227)

5 - ومن اثر المنهج المومني في المدح : المبالغات الواردة في القصيدة : في البيت الاول : تحرك الجن والانس بامر الخليفة / وتعاقب الليل والنهار بنصره ، وفي البيت الثاني : حصوله على ما يسر من الزمن ، وفي البيت السابع : تشبيه الخليفة بالرسول والشاعر بحسان .

وهذه المبالغات لم يصغها في قالب شعري يجعلها مقبولة ومستساغة .

2 - **ملاحظات حول المضمون** :

كان من الطبيعي ان تخلو القصيدة - واغلب ما جاء في هذه المرحلة - من ذلك التهافت - على عناصر العقيدة ومحاولة استقصائها في النص ، فلا نجد من ذلك في هذه النونية الا :

. اشارة الى الامر الموحدي (1) والنصر على العدو (1) والفتح (6) وتسمية يوسف

---

(227) من مثل قوله تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده) سورة الحج آية 78 .

بخليفة الله (8) والجهاد وحماية الدين (3) واخيرا تشبيهه بالرسول (7) في حين ان باقي العناصر غائبة وخاصة المهمة منها والتي نجدها عادة عند كل الشعراء : كالمهدوية ، والامامة ...ويمكن ان يرجع الامر :

. اما لقصد الشاعر عدم ذكرها (نتسائل عن سبب تناول بعضها فقط .)

. او لعدم وصول النص كاملا .

2 - وليس في النص ما يشير الى المناسبة (اي معركة البيبوج مع الموحدين) فقد اكتفى الشاعر بامتداح النصر وجهاد الخليفة لحماية الاسلام ، وغزو الدين الحنيف للنصارى مما يصدق على كل مناسبة .اي ان الجانب التوثيقي الذي نجده في قصائد اخرى للجراوي متقدم كذلك . الا ان الجدير بالملاحظة ان شخصية الشاعر التي كانت واضحة متميزة في مواقفه مع عبد المومن نجدها تبدو ولو بشكل غير مباشر عندما يهنىء من " حاز النيابة عن حسان " في هذا الموقف الذي شبه فيه الخليفة بالرسول . وهذه مرتبة يطمح اليها كل الشعراء لما قاله الرسول من تنويه شاعر الانصار ودعاء له ، يقصد بذلك نفسه او لا .وقد يصدق ذلك ايضا على غيره من الشعراء الذين اخذوا الكلمة في هذه المناسبة .

وفي الختام فان الخليفة الموحدي يوسف المعروف برقة احساسه وتذوقه للشعر الجيد الذي وجد صورة له عند الشعراء الاندلسين من امثال ابن حربون وابن مجبر ... فمال اليهم ، فاثر ذلك على شاعر الخلافة الموحدية تاثيرا كبيرا :

أ - فاخذ في تغيير اسلوبه السابق بعد سلسلة من التجارب التي لم تكن دائما موفقة (وهذا مثال عليها) .

ب - وعمق من شقة الخلاف بين الجراوي وشعراء البلاط الموحدي وعلى الاخص منهم اولئك الذين ينتسبون الى الاندلس . فلا عجب اذا وجدناه كثير الانتقاد - في هذا العهد بالذات - لابن مجبر واصدقائه .

ج - ان الجراوي سيجد فيما بعد الاسلوب الذي يبحث عنه مدعما بذلك مكانته التي ستستمر في الرسوخ مع الخليفة الاديب المنصور الذي كان والى آخر حياته - فترة الانقلاب المذهبي - يشبه جده عبد المومن في الولع بالعظمة في كل شيء .

النموذج الخامس:رائيته في انتصار عبد المومن على الاسبان

قال الجراوي في انتصار عبدالمومن على المسيحيين بفحص بلقون(في الاندلس) سنة 556 هـ

1- اعليت دين الواحد القهار بالمشرفية والقنا الخطار
وراى بك الاسلام قرة عينه وغدت بك الغراء دار اقرار
وسلكت من طرق الهداية لاحبا طوبى لمن يمشي على الآثار
وجرت معاليكم الى الامد الذي بعدت مسافته على الاسفار
5- وقفت على ما قد اردت سعادة وقفت عليها خدمة الاقدار
لا تخلق الايام جدة ملككم ابدا ولا تبلى على الاعصار
لا غرو ان كنت الاخير زمانه فالفضل للآصال والاسحار
وافيت اندلسا فأمن خائف وسما لاخذ الثار رب الثار
وحللتم جبل الهدى فتحللتم منه عقود عزائم الكفار
10- جبل الهدى والفتح والنصر الذي سبقت بشائره الى الامصار
لو يدلوا اقدامهم بقوادم طاروا عن الاوطان كل مطار
لو راء موسى ما فعلت وطارق زريا بما لهما من الآثار
اتممت ما قد املوه ففاتهم من نصر دين الواحد القهار
بعراب خيل فوقهن اعارب من كل مقتحم على الاخطار
15- اكرم بهن قبائلا اقلالها في الحرب يغني عن الاكثار
وانظر اذا اصطفت كتائبها الى ما تحمل الكتاب في الاسطار
لو انها نصرت عليا لم ترد خيل بن حرب ساحة الانبار
هم اظهروه مع النبي وواجب ان يتبعوا الاظهار بالاظهار
ملك الملوك لقد انفت الى العلا ونظرت من فوق الى الاقدار
20- انت السبيل الى النجاة فكلنا لولاك كان على شفير هار
وجريت في نصر الاله الى مدى يكبو وراءك فيه كل مجار

قد ضاق ذرع الكفر منك واهله بموقف الايراد والاصدار (228)
اخليفة المهدى دمت مؤيدا بالله منتقما من الكفار
ترمي شياطين الاعادي في الوغى برجوع خيل من سماء غبار
25- روعت كل مروع وحفظت لكل مطيع وحميت كل ذمار (229)

1. الخلفيات التاريخية للنص

منذ عبور يوسف بن تاشفين بجيوشه الى الاندلس لرد المسيحيين ونصرة الاسلام بها وملوك المغرب يعتبرون انفسهم مسؤولين على الحفاظ على امن سكانها ودينهم ، وكانت مسؤولية ثقيلة ارهقت ميزانياتهم الا انهم كانوا يتقبلونها بكثير من الفخر والاعتزاز والتضحية . وكانت الاندلس لما فيها من تيارات دينية وسياسية متشابكة ، ومن اجناس متنافرة مصدر فتن واضطربات لاتنتهي فكان لابد لكل خليفة ان يشد اليها الرحال بين الفينة والاخرى للاشراف بنفسه على عمليات التطهير والتثبيت .

وبمجرد ارساء عبد المومن لقواعد ملكه بمراكش (سنة 541 هـ) اسرع الى الاندلس لاعادة الامن الى نصابه بعدما عرفت الاضطراب نتيجة لاستغلال النصارى والثوارالطامعين ظروف الحرب بين الموحدين والمرابطين وانشغال العاصمة عن اقرار الامن والنظام .

وكان عليه ان يعبر بعد ذلك لنفس الاسباب ، وتعتبر سنة 555 هـ سنة حاسمة في اقرار الامن بالبلاد اذ ان الخليفة قرر في شهر ذي القعدة منها الجواز الى الاندلس للاشراف بنفسه على محاربة النصارى والثائرين .

ونظرا لاهمية الحركة استنفر قبائل المغرب الاوسط وافريقية بما في ذلك قبائل بني هلال العربية المقدامة وقد ارسل اليها رسائل ذيلها بقصيدة من نظمه – حسب صاحب المعجب . (230)

وقبل دخول الاندلس اقام حفلا عظيما بجبل طارق وامر مهندسيه (على راسهم الحاج يعيش، وبزار ....) ببناء مدينة على الجبل . وتخليدا لهذا الحدث امر بان يسمى من اليوم (جبل

(228) بعد هذا البيت ثلاثة ابيات تامة لبتر في الاصل

(229) البيان المغرب 64 – 67 .

(230) ص 225 .

الفتح) وقد اقبل الشعراء من الاندلس والمغرب يهنئونه ويمدحونه .

وبعد انتهاء الاحتفالات دخلت سنة 556 هـ وفيها تم فتح الاندلس واخضاعها فملك الموحدون خلالها (بطليوس وباجة ويابورة وحصن القصر ، فولى عليها عبد المومن محمد بن علي بن الحاج ثم رجع الى مراكش (231)

وعند الاستاذ ابن تاويت ان هذه القصيدة قيلت في هذه السنة في موقعة فحص بلقون الا ان عبارة ابن عذراري فيها غامضة اذ بعد حديثه عن مواجهة الموحدين للروم في فحص بلقون (وهو مكان مجهول عنده) قال : (والتفتوا الى الامير عبد المومن فوجدوه قد قفل الى حضرته لامور حدثت بعده في حيالها ولم ينفصل من الاندلس حتى مهدها ورفق برعيتها فاستقامت بذلك الامور للموحدين وقمع الله المعتدين ، ومن قول ابي العباس الجراوي في ذلك مادحا لامير المؤمنين عبد المومن) .(232)

فالسياق يفيد ان القصيدة قيلت في عمل عبد المومن (تطويع الاندلس والرفق بالرعية) ولم تقل من معركة معينة (فحص بلقون)

ويحملنا على هذا الفهم بالاضافة الى عبارة ابن عذاري مضمون القصيدة . وسنوضح ذلك عند الحديث عنها .

2. - البناء العام للنص :

تتكون القصيدة من ثلاث حركات :

الاولى : في تقويم عمل عبد المومن والنتائج المرتبة عنه (1 - 7) وتشتمل على مقطعين :

المقطع الاول : في خدمته للاسلام واعلاء الدين ، ونصرته ، وسلوك طريق الهداية والرشاد (1 - 4) .

والمقطع الثاني : الجزاء على ذلك في الدنيا : تحقيق المطامح والمساعي تجدد الملك الموحدي

(231) انظر الموضوع بتفصيل في البيان المغرب 41 - 47 .

(232) البيان المغرب ص 46 .

ومسايرته للاحداث وحصوله على مكانته -رغم تاخره - لاتقل عن مكانة السلف الصالح (5 - 7) .

ويمكن اعتبار هذه الحركة بمثابة مدخل عام او افتتاح تنويهي يمهد به الشاعر لتناول الموضوع المقصود .

الثانية : في فتح الاندلس واجلاء الكفار عنها (8 - 18) وتشتمل على ثلاثة مقاطع.

.المقطع الاول : تغيير حال الاندلس من خوف الى امن ، ومن اضطراب الى استقرار وطمائنينة ، وبناء جبل الفتح والمهدي الذي استبشر به كل المسلمين (8 - 11) .

. المقطع الثاني : عظمة الفتح الذي يزري بحمل موسى وطارق ويحقق الاهداف التي لم يدركاها في حملاتهما (12 - 13)

. المقطع الثالث : بعد الحديث عن الغاية (الفتح) يشير الى الوسيلة فيفتخر بعرب بني هلال الذين شاركوا مشاركة فعالة في الفتح فهم بشجاعتهم وباسهم يرجحون كفة انصارهم ولو كانوا في جهته ما انهزم (14 - 18)

الثالثة :مدح عبد المومن ويخلط فيه الاوصاف الدينية بالدنيوية مع التركيز على عناصر العقيدة الموحدية (19 - 25) .

وسنلاحظ ان هذا البناء يتكرر في اغلب قصائد الشاعر

3 - ملاحظات حول الشكل :

1 - يستجيب الجراوي لتوجيه الموحدين : فهم كانوا ينفرون من المقدمات الطويلة والمستثقلة ويفضلون ان يدخل الشاعر مباشرة الى الموضوع ويوفركل مجهوده لتناوله وتخليد المناسبة التي تهمه .

2 - والقصيدة طويلة (28 بيتا في الاصل) تستجيب للذوق الموحدي الذي يفضل المطولات (14 قصيدة من اصل 29 تتراوح ابياتها بين 15 و 62 بيتا)

3 - ويستجيب لهم كذلك في ركرب البحور الطويلة الرنانة القصيدة من الكامل) وهي بحور تناسب عظمة الدولة وعظمة الفتح ، وتستوعب تجربة الشاعر الهادفة الى اظهار عمل عبد المومن العظيم والمتمثل في نصرة الاسلام بربوع الاندلس بين اهلها.

4 - ولما كانت القصيدة تتناول شريط الوقائع التي ادت الى اقرار الامن في الاندلس فان

صيغ الماضي جاءت غالبة على النص 34 فعلا ماضيا و8 افعال مصارعة و2 للامر .

فطغت الجمل الخبرية على الانشائية وتسربت التقريرية والسردية الى النص .

5 - ومن الناحية الفنية نجدها ، رغم موسيقاها الصاخبة الرنانة - تخلو من الزخرفة اللفظية والمعنوية فهو وان كان قد نظر فيها الى قصيدة ابي تمام :

الحق ابلج والسيوف عوار فحذار من أسد العرين حذار

واقتبس من قول الشاعر :

موتورة طلب الاله بثارها وكفى برب الثار مدرك ثار

في قوله(...وسما لاخذ الثار رب الثار) فانه لم ينهج سبيل الشاعر الطائي في توشية الالفاظ وزخرفتها والاكثار من وسائل البيان والبديع .

فكل ما يلاحظ على النص : استعارة في (البيت 24) الجناس بين حللتم وحللتم (البيت9) واقدام وقوادم(11) وطباق بين اقلال/ اكثار (15)وتخلق/ جدة (6) ترديد الشطر الاول (من البيت 1) في الشطر الثاني (من البيت 13) اضافة الى الاقتباس القرآني الوارد في البيت 24.

فالخليفة يرمي (الشياطين) اعداءه ، (بشهب) وهي الخيل (وفي سماء) هو الغبار .وفي هذا اشارة الى اقتراب الشياطين من السماء ومحاولتهم استراق السمع الى الملا الاعلى فيقذفها الله تعالى بشهب ثواقب منعا لها من ذلك (233)

وقد سار الجراوي في ذلك مع توجيهات الخلافة الموحدية وطابعها الحضاري المتمثل في العظمة الخالية من المسحة الزخرفية .

6 - ويبدو جانب العظمة في اختيار البحر وهذا المد الموسيقى الذي يملأه ، وصيغ المبالغة المتكررة وما كان على وزنها او قريب منه ، وخاصة تلك الجموع التي تنتهي بها الابيات والتي تترك في النفس عند النطق بها في آخر كل بيت رهبة وهيبة الخطار، القهار، الاقدار ، الاعصار ، الكفار، الاكثار ، الاسطار، الاظهار...وهناك مبالغات لا نقول انه اخذها من ابـي تمام لان الجراوي اشتهر بها ،

(233) سورة الصافات آية 10 .

والاقرب انه – وباقي شعراء الدولة الموحدية تتلمذوا فيها على ابن هانىء الاندلسي ،(234) فهذه القصيدة بقافيتها وبعض اشطارها ومعانيها تذكرنا بهذا الشاعر وبمبالغاته في مدح الخلفاء الفاطميين وخاصة في مثل قوله :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار

ومن المبالغات الواردة عند الجراوي في مدحه لعبد المومن الابيات (4 - 5 - 6 - 19- 21)
ويبدو ان عبد المومن – على الخصوص – كان من اكثر الخلفاء الموحدين اعجابا بمثل هذا الشعر الذي قيل عنه "بانه كالرحى التي تطحن القرون" . ونذكر هنا اعجابه بقصيدة الاصم المرواني البائية التي اكثر فيها من المبالغات والتهويلات فخاطبه قائلا بعدما انهاها : "بمثل هذا تمدح الخلفاء" .وكذا اعجابه وتقديمه لشاعر المبالغات ابن حبوس .

فبفضل مثل هذا الشعر انتزع الجراوي من الخليفة تلك الشهادة التي ظل يعتز بها (يا ابا العباس انانبا هي بك اهل الاندلس) ، يقصد شعراءهم .

ومما يزيد القصيدة تهويلا وصخبا طابعها الحربي . فبالرغم من انها لا تصف معركة بعينها وانما تتحدث عن الانتصار، وجدنا كثيرا من المصطلحات والالفاظ الخاصة بالمعارك والحروب :
المشرفية والقنا والخطار (1) والكتائب (16) والدروع (22) والوغى (24) والخيل (17 - 24) الحرب(15) الفتح (10) النصر، حماية الذمار (10 - 13 - 17- 25) النجاة (21) اضافة الى:

– الاشاذة بعرب بني هلال وشجاعتهم واقدامهم (14 - 16) .

– ذكر فتح موسى وطارق للاندلس وعظمة فتح عبد المومن اذا قورن به (12 - 13)

– حروب علي بن ابي طالب مع اعدائه الامويين (17 - 18) فاختيار البحر ، والموسيقى الرنانة ، والالفاظ الفخمة ، والمبالغات ، والطابع الحربي السائد، جعل هذا كله هذه القصيدة– مع خلوها من الزخرفة – تحكي اسوار الرباط وصومعة حسان وصومعة الكتبية في عظمة الحجارة والبناء والافراط في الطول والعلو والبعد عن المسحة الزخرفية الدقيقة .

4 – ملاحظات حول المضمون :

1– عناصر العقيدة الموحدية : اهم ما يتميز به الشعر الموحدي هو عكسه لعناصر العقيدة الموحدية، اما بشكل مكثف او خفيف وذلك حسب ظروف القول وصاحب النص وفي هذه

(234) المعجب 213 .

وفي هذه القصيدة وردت اهم هذه العناصر :

. المهدية ، وردت - كالعادة - بصيغة المصدر: الهداية (البيت 3) والهدى (9 - 10)

. الخلافة (البيت 23) وهي من الاوصاف الدينية التي حرصوا عليها

.الملك المتجدد الذي لا يبلى وهو من الاوصاف الدنيوية التي كانوا يرتاحون اليها (البيت 6 - 19)مواجهة الكفر والكفار(11 -22 - 23 -)

. النصر (10) ونصره الاله (21) والفتح (10)

. المسحة الشيعية : اضافة الى المهدوية وخلافة المهدي وغيرها من العناصر الشيعية في العقيدة الموحدية نلاحظ وجود مسحة شيعية تتجلى في ذكر معارك علي مع اعدائه خلال الحديث عن بني هلال، فلو ناصره مثلهم لما انهزم . فقد تم اظهاره مع النبي وتخلى عنه الناس فيما بعد .

والاحتفال بالعنصر العربي (16 - 18) وهذه المسألة كذلك من النقط المرتبطة بالعقيدة ، فقد انتسب الموحدون الى العنصر العربي وظلوا - مع بربريتهم - يشيدون به ويامجاده مع تلافي كل ما يمكن ان يثير الفقرات العنصرية في امبراطوريتهم .

واضافة الى ادعائهم المهدوية ... فان الحاجة الى سيوف العرب كانت وراء هذا الاحتفال . وقد سبق ان قلنا ان عبد المومن - وهذا تقليد سيحافظ عليه خلفاؤه - قد استنفر القبائل الموحدية بما في ذلك عرب بني هلال ، ولعله لاهمية هذه الحملة ذيل رسالة الاستنفار بابيات نسبها اليه ومن جملة ما جاء فيها : (في مخاطبة بني هلال)

بني العم من عليا هلال بن عامر	وما جمعت من ياسل وابن باسل
تعالوا فقد شدت الى الغزونية	عواقبها منصورة بالاوائل (235)

وبالاضافة الى هذا في النص اشارات الى اوصاف حرص عليها الموحدون فتكررت عند شعرائهم : اعلاء كلمة الله / نصرة الاسلام / تجديد الدين / ارشاد الناس الى سبل النجاة / ونشر الامن والطمأنينة ...

2 - ومن مميزات الشعر الموحدي كذلك جانبه التوثيقي التسجيلي فرغم اتصافه بالمبالغة والتهويل كانت الغاية منه تخليد اعمال الموحدين وتحركاتهم وتسجيل تاريخهم . ويعد الجراوي من

(235) المعجب ص 225 .

الشعراء الذين استطاعوا المحافظة على كثير من التفاصيل التاريخية في القليل مما وصلنا من شعره ومنها في هذا النص :

أ - انه لم يقل - كما اعتقد البعض - في معركة فحص بلقون ، فقد جرت العادة -، ان يصف الشاعر المعركة ويقيّم القوى المتجابهة بها وهو امر لم نجده في هذه القصيدة التي لا تتحدث عن معركة بعينها وانما عن انتصار الموحدين عموما على الكفار .

ب - ويؤكد هذا الفهم : حديث الشاعر عن احتفال عبد المومن سنة 555 ببناء مدينة جبل طارق والندوة التي اقامها على ظهر الجبل الذي صار يدعى كما نجد في القصيدة بجبل الهدى او جبل الفتح (9 - 10) وفي الشطر الثاني من البيت 10 اشارة الى تبشير هذا الاحتفال بالنصر النهائي الذي لم يتم الا في السنة الموالية .

ج - ولاهمية هذا الفتح واتساع نطاقه لم يجد الشاعر افضل من فتح طارق وموسى للاندلس ليقرنه به مع اعطاء السبق لفتح عبد المومن . (احدى مبالغات الشاعر) .

د - واخيرا ففي النص مدح لعرب بني هلال وتنويه بشجاعتهم وهو امر طبيعي ماداموا قد شاركوا في المعارك ورجحوا - بقوتهم وتجربتهم في الحرب - كفة الموحدين .

الا اننا نلاحظ ان في البيت 16 اشارة الى التزامهم بالنظام (اصطفت كتائبها) ولعله يرمي من ورائها الى ابعاد التهم الموجهة اليهم والمتمثلة في بدويتهم ونشرهم الضمار والخراب في كل مكان حلوا به او مروا به (تخريبهم للقيروان) وكأن هذه القبائل لا يهمها من الحروب الا جمع الغنائم والحصول على الاراضي الخصبة والحياة الاكثر رفاهية من الحياة القاسية التي كانوا يحيونها .

خاتمة : يمثل هذا النص مرحلة من مراحل الابداع عند الجراوي مرحلة الشباب باندفاعها وقوتها وتفتق موهبة الشاعر فيها ولم تجد هذه الموهبة ما يمكن ان يردعها او يكبتها على العكس من ذلك صادفت خليفة طموحا متذوقا للشعر، ومعجبا بالرصين الصاخب منه ، فكانت قصائده فيه مدوية هادرة تزهو بالمبالغات وتسجل بدقة واخلاص عناصر العقيدة التومرتية وحركات خليفتها في ارجاء الامبراطورية الموحدية الواسعة .

المبحث الثاني : اثر العقيدة في النثر

يبدو ان اثر العقيدة في النثر كان اعمق منه في الشعر ، ذلك ان الرسائل كانت تصدر عن اجهزة الدولة ، فمن البديهي ان تعكس سياستها وعقيدتها ، وان تتطور بتطورهما .

وكانت الدولة تحرص على معرفة ما يلقى في المساجد من خطب ، لاتصالها بالجماهير ، وتأثيرها السريع والتلقائي فيها ، لهذا جاءت الخطب موجهة ومتشبعة بمبادىء الدولة وعقيدتها .

اما الشعراء فكانت لهم حرية اكثر في التصرف ، فلم يكونوا كلهم مرتبطين مهنيا بالدولة، لذا كثيرا ما كان الخلفاء يتدخلون لتوجيههم باستحسان النماذج التي تتناول العقيدة ورفع قيمة جوائزها .

وبهذه الوسيلة تمكنوا من اثارة انتباه كثير من الشعراء المغاربة والاندلسيين الى العقيدة الموحدية فعكسوا عناصرها ومضامينها في شعرهم اما بالنسبة للنثر فلم يكونوا بحاجة الى هذا التحايل وانما كان تدخلهم مباشرا لذا كان التأثير اعمق .

المطلب الاول : الرسائـــــل

قبل تتـــبع اثر العقيدة في الرسائل الرسميـــة ، نرى من الضــروري ان نتعرف اليها – بايجاز– من حيث المصادر ، والكتاب ، والخلفاء الذين اصدروها او وجهت اليهم والحيز المكاني ... الشيء الذي سيساعدنا اكثر على فهم طبيعة هذا الاثر ومداه .

وسنسلك نفس المنهج الاحصا ئي المتبع في الشعر ، مع اختلاف بسيط اننا في النثر لا ننتقي من مجموعة كبيرة من النصوص ، وانما تعاملنا مع ماوصلت اليه ايدينا وذلك لقلة النصوص .

1 – **مصادر الرسا ئل** : نقول بادىء دي بدء :

أ – اننا لم نهتم بالرسا ئل الشخصية الا ما كان له ارتباط العقيدة .

ب – اعتبرنا مجموع الرسائل الموحدية التي نشرها بروفنصال (236) هي الاصل ، فـإذا تكررت الرسالة في مصدر آخر لم نذكره .

---

(236) مجموع رسائل موحدية ، نشر بروفنصال ، الرباط 1941

المصادر / الخلفاء	مجموع بروفنصال	المن بالامامة	البيان المغرب	نظم الجمان	الحال الموشية	المجموع
عبد المومن	23	1		2		26
يوسف	3	11				14
المنصور	9					9
الناصر	2		1			3
المستنصر			1			1
العادل			1			1
المامون					1	1
المرتضي			4			4
الغير		3	1	1		5
المجموع	37	15	8	3	1	64

الجدول رقم 21 - مصادر الرسائل

وقراءة هذا الجدول تمكننا من ابداء الملاحظات التالية :

1 - ان مجموع بروفنصال هو اهم مصدر يحوي الرسائل الموحدية (حوالي 60 % من المعروف منها) في حين ان 40% ، توجد في كتب التاريخ .

2 - ان رسائل عبد المومن اخذت حصة كبيرة في المجموع (62 %) في حين لم يهتم به في باقي المصادر ، وهذا راجع الى :

أ - ان 64 % من رسائل عبد المومن كتبها ابوجعفر بن عطية وهو كاتب وشاعر مشهور وصلتنا اغلب آثاره .

ب - ان بعض المصادر التي حفظت الرسائل الموحدية لم تهتم بالفترة الاولى للدولة (فترة عبد المومن) ، وبعضها الآخر لم يلتزم بايراد النصوص دائما كالبيان المغرب (237) .

(237) النصوص الواردة في الجزء الثالث منه قليلة وغيركاملة .

3 - تميز المن بالامامة بايراد رسائل يوسف بن عبد المومن (86%) وهذا راجع الى اهتمام ابن صاحب الصلاة في السفر الثاني بهذه الفترة .

4 - لم يهتم ابن عــذارى في "البيـان المغـرب " بايراد الرسائل الموحدية (12% من المجموع) في حين كان يورد في الجزء المخصص للمرابطين رسائلهم . وما جاء عنده ينتسب الى الفترة الاخيرة من الدولة ، اتى به على سبيل الاستشهاد والتمثيل ، لذا كانت الرسائل مبتورة (100%) ومن هنا تقل اهميتها لانها لا تمكن من معرفة اجزائها الحقيقية وترصد اثر العقيدة فيها .

2 - **مصدرو الرسائل وكتابها** : لا تخفى اهمية الرسائل في تسيير دولة شائعة الاطراف كالدولة الموحدية التي شملت المغربين الاقصى والاوسط وافريقية والاندلس . ومع ذلك لم يصلنا عدد كبيرمن الرسائل . فلا بد ان يكون بعضها ضاع مع ما ضاع من اثر الفترة (شعر ابن حبوس ، الجراوي ...) والبعض الآخر مازال محتجبا بدون شك في المصادر المخطوطة التي لم يتم التعرف اليها ونشرها بعد.

فمن خلال الجدول (22) يبدو واضحا :

الخلفاء / الكتاب	عبدالمومن	يوسف	المنصور	الناصر	المستنصر	العادل	المامون	المرتضى	الغير	المجموع
ابوجعفر بن عطية	17									17
ابو الفضل بن محشرة		1	9							10
ابو الحسن بن عياش	1	6								7
ابو عبد الله بن عياش				3					1	4
ابو عقيل بن عطية	3									3
ابو القاسم القالمي	2									2
ابو الحكم بن المرخي	1									1
ابو عبد الرحمن بن طاهر	1									1
احمد بن محمد										1
ابن مصادق		1							1	1
ابن الراعي									1	1
المامون							1			1
المرتضي								1		1
الكاتب مجهول	1	6			1	1		3	2	14
المجموع	26	14	9	3	1	1	1	4	5	64

الجدول 22 مصدرو الرسائل وكتابها

1 - ان فترة حكم عبد المومن عرفت نشاطا ديوانيا ملحوظا وهذا راجع الى :

أ - انها كانت بالفعل فترة وضع الاسس والركائز لهذه الامبراطورية العظيمة الشاسعة الاطراف، فكان من الطبيعي ان تتعدد المراسلات التنظيمية واخبارالانتصارات والفتوحات في انحاء

البـــــــلاد .

ب - ان عبد المومن قد جمع في ديوانه امهر الكتاب في العصر . من الذين كانوا يشتغلون في بلاطات اخرى كأبي جعفر بن عطية واخيه ابي عقيل ،وابي القاسم القالمي وغيرهم ... وكان يبحث بنفسه عن النبغاء منهم لتوظيفهم (قصة تعرفه على ابن عطية) (238)

2 - وبقدر ما نتدرج مع الخلفاء تقل الرسائل من 26 عند عبد المومن الى 14 عند يوسف و9 عند المنصور ... ويتضاءل عدد الكتاب من 6 عند عبد المومن الى 3 عند يوسف وواحد عند المنصـــــور ...

فهل معنى هذا ان اهمية المكاتبات قد تضاءلت بعد استقرار هذا الوضع وانتهاء الفترة التنظـــيمية ؟

الحقيقة ان هذه الظاهرة قد يكون لها بعض التأثير على عدد الرسائل الا انه لا يجب اغفال ما لاسباب اخرى من تأثير :

- كضياع الاصول التي تحفظها.

- وانشغال بعض الخلفاء باخماد الثورات الخارجية (يوسف) والداخلية (المستنصر ، العادل ، المرتضى ...).

- قصر الفترة التي قضاها بعضهم في الحكم .

3 - اذا كان بعض الخلفاء قد نسبت لهم اشعار يدور حولها الشك فإن الثابت ان المامون والمرتضى قد كتبا رسالتين ... مع العلم انهم جميعاكانوا على درجة من الثقافة قد لاتقل (او تفوق) عن ثقافة كتابهم . وقد نسبت لبعضهم توقيعات بليغة .

4 - واخيرا فإن هذه الرسائل لم تكن كلها صادرة عن الخلفاء ، وانما كان بعضها (وهو قليل) موجها اليهم يتضمن اجابات على رسائل صادرة منهم .

اما عن كتاب الرسائل فنبدي الملاحظات التالية :

1 - لا ينتسب اغلبهم الى المغرب : فأبو الحسن بن عياش من يابرة ، وابو عبد الله بن عياش من برشلونة ، وابو الحكم المرخى من اشبيلية ، وابو القاسم القالمي وابو الفضل بن محشرة من بجاية ...

(238) انظر المعجب 199 وما بعدها .

اما المغاربة فمنهم ابو جعفر بن عطية واخوه ابو عقيل وهما مراكشيان وقد كانا من كتاب المرابطين . وقضى ابو جعفر الفترة الانتقالية المضطربة بين الدولتين بالاندلس . وكتب رسالة عن رئيس الفرقة العسكرية التي كان يعمل بها الى عبد المومن فأثار انتباهه باسلوبه فاستقدمه ووظفه بديوان الرسائل . وقصته مع عبد المومن مثيرة تشبه قصة ابن عمار مع المعتمد .

وظاهرة استقلال الاندلسيين بمناصب الكتابة تشبه ما لاحظناه في غلبة العناصر الاندلسية على شعراء الفترة ، وهذا يرجع :

أ - الى الوحدة بين القطرين وفسح المجال لكافة المواهب لتظهر وتخدم الدولة منهما معا ومن افريقية والمغرب الاوسط كذلك .

ب - الى رسوخ تقليد مرابطي في البلاط الموحدي (رغم عامل العداء بين الدولتين) وهو جلب الكتاب من الاندلس .

ج - الى تقدم الاندلس على المغرب ثقافيا ، فقد كان تابعا لها علميا وتابعة له عسكريا ، مع العلم انه نبغ من المغاربة من يضاهي الاندلسيين في كثير من الميادين .

2 - اختلاف الكتاب مكانة : منهم من كانت له شهرة ، وعلى مستوى علمي مرتفع كأبي جعفر بن عطية الوزير الشاعر ، الذي كتب لعبد المومن 17 رسالة ، وابي الحسن بن عياش ... ومنهم من كان مغمورا غير مجيد كأحمد بن محمد ، وابن مصادق ، وابن الراعي ...

3 - يختلفون كذلك من حيث الاتصال بالخلفاء :

فأبو جعفر بن عطية كان في آخر خدمته فكتب لعبد المومن فقط ، وكذا اخوه ابو عقيل . اما ابو القاسم القالمي فكتب كذلك ليوسف ، وابو الفضل بن محشرة عاصر خليفتين وكتب لهما : يوسف والمنصور . وتمكن ابو عبد الله بن عياش من مرافقة الدولة خلال فترة قوتها اذ كتب ليوسف والمنصور والناصر . الا انه لم يرد في المجموع الا ما كتبه للناصر (وهذا دليل على ضياع النصوص) .

ويمكن ان نقول نفس الشيء عن ابي الحسن بن عياش الذي كتب للناصر ، ومحمدبن يخلفتن الذي كتب للمنصور والناصر (239) .

---

(239) انظر كتابهم في المعجب 244 - 263 - 311 ...

4 - اذا كانت ظاهرة اغفال ذكر الشاعر قد تقلصت في الشعر الموحدي فان 23% من الرسائل الموحدية مجهولة الكاتب. والملاحظ ان اغلب هذه الرسائل ينتمي الى فترة يوسف ثم المرتضى، وفي اعتقادي ان هذا راجع بالدرجة الاولى الى المصادر التي دونت الرسائل :

- فالاولى (المنتمية الى يوسف) وردت في "المن بالامامة" وتكون حوالي 40% من مجموع رسائله .

- والثانية (المنتمية الى المرتضى) وردت في البيان المغرب ، وتكون مع غيرها الواردة في الكتاب بدون مؤلف حوالي 38%

والنسبة المرتفعة تدل على اغفال الكتابين لذكر الكاتب .

- في الرسائل الموجهة الى ما سميناه "الغير" اي الى الافراد او الامراء لم يحرص الكتاب دائما على ايراد اسمائهم ، او لم يهتم المدونون بذكرها .

3 - **خريطة الرسائل** : تسمح لنا قراءة هذه الخريطة بالملاحظات التالية :

الاقطار / الخلفاء	المغرب	الاندلس	المغرب الاوسط	افريقية	المجموع
عبدالمومن	13	8	5		26
يوسف		14			14
المنصور	5	3		1	9
الناصر		2		1	3
المستنصر	1				1
العادل		1			1
المامون	1				1
المرتضى	2	2			4
الغير	2	3			5
المجموع	24	33	5	2	64

الجدول 23 خريطة الرسائل

1 - ان الخلفاء الموحدين كانوا منشغلين بالعدوتين المغرب والاندلس انشغالا كبيرا في

حين ان الاوضاع في المغرب الاوسط وافريقية لم تكن تستدعي اهتمامهم (بنفس الكثافة) .

وتحتل الاندلس قصب السبق في هذه العناية ، وهذا طبيعي مادام المغاربة منذ فتح طارق للاندلس - عموما - ومنذ عبور يوسف بن تاشفين على الخصوص ، يعتبرون الدفاع عنها كالدفاع عن المغرب ، بل اشد بسبب تهديد النصارى للكيان الاسلامي بها ، ومواجهاتهم المستمرة للمسلمين ، اضافة الى انها كانت بؤرة ثورات وفتن لا تنتهي غذتها الصراعات على السلطة ، والخلافات التي كان المسيحيون يعملون على تعميقها لاضعاف القوى الاسلامية وشغلها عن التفرغ لمواجهة الكيان المسيحي .

2 - ويبدو ان ابا يعقوب بن عبد المومن كان اكثر المنشغلين بامر الاندلس ، فكل رسائله موجهة او واردة منها ، وهذا راجع :

أ - الى انه بالفعل قضى فترة غير قصيرة من حكمه في هذه البلاد يخمد فتنها وينظم الحكم بها ، ويواجه مسيحييها ، ويكفي ان نذكر انه توفى بها وهو ينصر الاسلام .

ب - ان مصدر الرسائل المنتسبة ليوسف هو " المن بالامامة " وصاحبه ابن صاحب الصلاة يهتم اكثر بالاندلس وشعرائها وتاريخها ... مما له ارتباط بالموحدين .

3 - اما عبد المومن فبحكم الفترة التأسيسية والتنظيمية للدولة وجدناه قد وزع اهتمامه بين الاقطار الثلاثة مع اعطاء اهمية اكثر للمغرب الذي كان خلال فترة من حكمه بيد المرابطين (من 524 الى 541 هـ).وقد رحل بنفسه الى الاندلس للاشراف على اعادة الامن اليها وتنظيم الحكم بها .

4 - وابتداء من حكم الناصر نلاحظ اهتمام الخلفاء بالمغرب والاندلس فقط ، فقد تم القضاء على الميورقيين الذين كانوا مصدر الفتن في المغرب الاوسط وافريقية ، وفي نفس الوقت دخلت الدولة بعد هزيمة العقاب مرحلة الضعف ، فانشغلت بالمناطق القريبة فقط .

4 - اثر العقيدة في مضمون الرسائل :

اولا - موضوعات الرسائل : تنوعت موضوعات الرسائل الموحدية من اخبار بالفتح، الى استعداد له ، الى الدعوة الى التوحيد ، وتنظيم الدولة .

ويتضح ذلك في هذا الجدول :

الموضوع / الخلفاء	اخبار بالفتح	استعداد له	دعوة الى التوحيد	امر بالمعروف	تنظيم الدولة	موضوعات اخرى	المجموع
عبد المومن	10		3	4	5	4	26
يوسف	4	3	1	1	3	2	14
المنصور	6			1	2		9
الناصر	3						3
المستنصر				1			1
العادل					1		1
المامون					1		1
المرتضى	1			1		2	4
الغير	2					3	5
المجموع	26	3	4	8	12	11	64

الجدول 24 - موضوعات الرسائل

ونلاحظ من خلال هذا الجدول ان الموضوعات مرتبطة بالعقيدة ارتباطا مباشرا :

1 - **الاخبار بالفتوحات** : يحتل الدرجة الاولى من بين موضوعات الرسائل (حوالي 42%) واستمر الاهتمام به منذ عبد المومن الى آخر الدولة مما يعكس استمرار الحروب التي كان الموحدون يخوضونها .

ويتبين من الجدول ان فتوحات عبد المومن كانت اكثر من فتوحات باقي الخلفاء . وهذا عائد الى ان الخليفة المهدي هو الذي واجه المرابطين وانتزع السلطة من ايديهم واخضع باقي اطراف الامبراطورية الى حكمه . في حين اكتفى خلفاؤه من بعده بمواجهة الاوضاع المستجدة فيها . ويمكن ان يعزى الاهتمام بالاخبار بالفتوحات الى عاملين :

أ - عامل اعلامي : فقد كان الموحدون نظرا لاتساع رقعة المملكة ورغبة في مسايرة كافة سكان الاقاليم وخدام الموحدين بها خاصة للخطوات والمنجزات التي تقوم بها الدولة ، يحرصون على

نشر الاخبار وتعميمها . وكانوا يوجهون هذه الرسائل الى طبقات معينة قصد تعميم فائدتها بعد ذلك كما نلاحظ في هذا الجدول :

العناصر / الخلفاء	الى عنصر الطلبة	الى فرد	الى اهل المدن	الى عناصر اخرى	المجموع
عبد المومن	16	4	3	3	26
يوسف	5	6	3		14
المنصور	8		1		9
الناصر				3	3
المستنصر		1			1
العادل			1		1
المامون			1		1
المرتضى		4			4
الغير		3	1	1	5
المجموع	29	18	10	7	64

الجدول رقم 25 - الجانب الاعلامي

الملاحظ ان حوالي 42% من الرسائل موجهة "الى الطلبة" ، مما يبين اهمية هذا العنصر في الدولة ، لذا حرصت على تزويده بكافة الاخبار أولا بأول . فهم ياتون في الاهمية بعد طبقة الشيوخ ، وهم اطر المستقبل والنخبة المثقفة في امة غير متعلمة (خاصة في عهد عبد المومن) فلا يخفى ما لهؤلاء من تأثير على العامة .

ونذكر هنا ان المنصور عندما فكر في الدعوة الى الكتاب والسنة ، قرب هذا العنصر واعتمد عليه (رسائله كلها موجهة اليه).

ويأتي بعدهم في الدرجة : الافراد ، وهم في الغالب موظفو الدولة من عمال وقواد وقضاة ممن كانوا يتلقون اوامر الدولة . ثم اهل المدن بالمغرب والاندلس في الموضوعات التي تهمهم من

اخبارهم بالفتوحات اودعوتهم الى تقديم الطاعة ، او اعترافهم بالولاء للسلطة .

ب - عامل عقدي : من اهداف الموحدين تعميم الخلافة ، ولا سبيل لذلك بغير المحافظة على اطراف الامبراطورية الموحدية اولا ، ثم النظر الى ما وراءها ، وان من شأن الاخبار بالفتوحات والاستعداد لها ان يبرز جهود الدولة في تحقيق هذا المطمح .

2 - الاستعداد للحروب : ان كثرة الحروب التي خاضها الموحدون وتعددها ادى الى احتياجهم باستمرار الى الجند والمتطوعة . فكانوا لذلك يحثون المسلمين على الجهاد ويستنفرونهم له ، اما برسائل توجه الى الاقاليم او بخطب يلقيها العلماء في المساجد والتجمعات وتدخل في هذا رسائل الاستعداد للحرب الصادرة عن يوسف .

ونظرا لكثرة هذه الرسائل والخطب وشيوعها لم تجمع كلها فلم تحفظ الا تلك التي صدرت عن شخصيات مرموقة (240).

3 - الدعوة الى التوحيد : اعتبر الموحدون المرابطين وكافة اعدائهم مجسمة كفرة ، لذا كانوا يبعثون اليهم برسائل يدعونهم فيها الى التوحيد . وكانت - في اعتقادهم - بمثابة الرسائل التي كان الرسول يبعثها الى الافراد والجماعات للدخول في الاسلام . فكأنهم باعتناقهم لعقيدة التوحيد يجددون اسلامهم ، اذ ان تجسيمهم قد جرهم الى الكفر . وكانت هذه الرسائل مقتصرة على بداية الدولة اذ تمكن الخلفاء فيما بعد من نشر العقيدة .

4 - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر - وهو عنصر من عناصر العقيدة ، فقد كان الخلفاء وعمالهم يامرون بالمعروف باللسان والسيف لابعاد الناس عن سبل الضلال والغواية ، وارشادهم الى ما فيه خير الدارين .واضافة الى هذه الصبغة العملية للامر بالمعروف ، كان الخلفاء يوجهون رسائل في الموضوع الى سكان المدن من اجل التذكير . ونلاحظ ان اغلب الخلفاء قد اهتموا بالموضوع . وكان لعبد المومن قصب السبق لاحتياج الدولة في عهد التأسيس الى مثل هذه الخطابات .

(240) المعجب 224 - 225

. 5 - واخيرا فان الرسائل الموحدية تناولت باقي الاغراض التي تهم تنظيم الدولة وسيرها العادي، ورعاية مصالح الناس وشؤونهم .

ثانيا : عناصر العقيدة : تعكس الرسائل عناصر العقيدة الموحدية بالحاح ووضوح سواء ما كان منها ذا طابع عقلي او غيبي .

1 - العناصر ذات الطابع العقلي : خلافا لما لاحظناه في الشعر ، انصب الاهتمام في الرسائل على الجانب العملي التطبيقي لهذه العناصر :

- ففي نفي الصفات كان الحديث عن التوحيد : وقد سبق ان اشرنا في الحديث عن الموضوعات الى اربع رسائل كان موضوعها الدعوة الى التوحيد وجاء ذكر نفي الصفات (التوحيد) في رسائل اخرى : منها رسالة ابي عبد الرحمن بن طاهر في اثبات امر الامام المهدي ، واحدى عشرة رسالة ، من رسائل المن بالامامة الخمس عشرة ، مما يبين انشغال الخلفاء بهذا الموضوع .

ولا يكاد يختلف تناول الموضوع من رسالة الى اخرى فلم يكن الكتاب يهتمون بالجانب الكلامي / الديني لنفي الصفات ، وانما يركزون حديثهم على جزاء الموحد في الدنيا والآخرة وثوابه وفضله ، وعقاب المجسم الكافر وضلاله ، في اسلوب خطابي وعظي مباشر .

- وفي تأويل المتشابه كان الحديث عن مواجهة الكفر والضلال ومحاربة اعداء العقيدة كافة ، سواء منهم المجسمة او المسيحيون وقد مدد الموحدون هذا المفهوم ليدمجوا فيه كل ثائر او مواجه لهم ، ولو كانوا من الذين يدينون بعقيدة التوحيد (ثورة اخوي المهدي / واخ المنصور ، وعمه ...) وهو اجراء يبرر تصديهم لهؤلاء وخنقهم لاصواتهم دون اعتبار للمبادىء التي ينادون بها .

وتدخل في هذا الموضوع كثير من رسائل الاخبار بالفتح والاستعداد له ، والامر بالمعروف والرسائل التنظيمية .

وقد اتصف الموحدون بالقسوة والصلابة ، فلم يكونوا - كالمرابطين - يستعملون اللين او التسامح مع اعدائهم لاستمالتهم الى حظيرة العقيدة الجديدة . فاشتملت رسائلهم في الموضوع على القاب اطلقوها على هؤلاء : كالكفرة والكفار ، واهل الضلال ، وطائفة الباطل ، والعصاة والمجرمين .

ومقابل ذلك كانوا يطلقون على الموحدين : طائفة التوحيد ، واهل التوحيد وطائفة العدل .

- وكان موضوع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ملحا في بدء تأسيس الدولة لانه جزء من عقيدتها ، وخطة وضعتها لمحاسبة المرابطين ثم انتزع السلطة من ايديهم (3 رسائل لعبد المومن

في الموضوع - الجدول 24) . وصار تقليدا فيما بعد اذ ان كل الخلفاء نظموا حملات الدعوة الى الامر بالمعروف، اشتهرت منها حملات يوسف والمنصور .

وفي فترة ضعف الدولة حاول المستنصر انقاذ الوضع عن طريق توجيه رسائل الى كافة البلاد قصد تجديد الدين وتحميس الناس الى نهج السبيل المستقيم . ويشير صاحب "البيان المغرب " الى انه اقتفى في ذلك اثر جده عبد المومن في الرسالة التي انشأها ابو جعفر بن عطية وبعث منها نسخا الى قواعد البلاد (241).

ولا يتناسب عدد الرسائل التي وصلتنا في الامر والنهي والحملات المذكورة في التاريخ مما يدل على ضياعها .

كما ضاعت الرسائل التي تتناول موضوع مناهضة الفروع واحراق كتبه ، والدعوة الى الرجوع الى الاصلين ، والحالة ان هناك من يرد هذه الحملات الى عبد المومن ثم يوسف فالمنصور فالمامون .

2 - العناصر ذات الطابع الغيبي :

لا تكاد تخلو هذه الرسائل من ذكر للمهدوية والعصمة والامامة والخلافة وغيرها من العناصر.

فلأبي عبد الرحمن بن طاهر رسالة على شكل مناظرة طريفة يثبت فيها امر الامام المهدي بالدليل والبرهان على طريق المنازعة بين النفس المطمئنة والنفس الامارة بالسوء عقلا ونقلا ، سماها (الكافية في براهين الامام المهدي) (242)

وقد انطلق فيها من ايمان نفسه المطمئنة بالامام (مهدي الحقيقة ، وملك على الاطلاق ، وامام اول ، وانه الذي بشر به جده محمد صلى عليه وسلم وملائكته الكرام .. فكان ينتظر ويؤمل) (243) الا ان النفس الامارة بالسوء تطرح الاسئلة كيف ذلك ؟ ولماذا ؟ واين ؟ فتعطى الفرصة للكاتب للتوسع في الحديث عن صورة المهدي كما جاءت في الاحاديث النبوية ليطبقها على

(241) ج 3 / 245 - 246

(242) نظم الجمان 50 - 73 .

(243) نظم الجمان 52 .

مهدي الموحدين ويثبت بالطبع الاحاديث اياها ، وبرواياتها .

منها : (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطيء اسمه اسمي ... يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا ...)

ولا يهمنا هنا ان نبدي الرأي في صحة او عدم صحة هذه الاحاديث ، المهم ان الكاتب قد انتهى من جولته في ايرادها ، وايراد براهين عقلية اخرى الى اقناع النفس الامارة بالسوء لتومن هي الاخرى بالمهدي وتصدقه .

والرسالة موجهة الى كل منكر متشكك ليومن كما آمنت النفس الامارة بالسوء . وختم ابن طاهر رسالته بمدح خليفة المهدي عبد المومن بن علي .

ان ايراد اسم الامام المهدي المعصوم في كل رسالة كان بمثابة الطابع المميز لها ، فلا يمكن اغفاله في الرسائل الرسمية ، وحتى نقف على تطور الصيغ المستعملة في هذا الباب ، نورد نماذج قصيرة ممثلة لكل فترة :

- فما جاء في رسالة لعبد المومن بعد البسملة والحمد والتصلية : (... والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم وليه الذي تقبل سبل الهداية واقتفاها ، واقام رسوم الشريعة على رغم من جحدها ونفاها) (244)

- وفي رسالة ليوسف : "ونسأله الرضا عن الامام المعصوم . المهدي المعلوم شافي الدين من وصبه والمه ، وهادي كل حائر وسادم من حيرته وسدمه " (245)

- وفي رسالة صادرة عن المنصور : "... والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الذي اقام الله بنوره منار الاسلام وعموده ، وجعله محيى شرعه القديم ومعيده ، وماحي الضلال ومبيده " (246) .

- وفي رسالة صادرة عن الناصر : ... والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الآتي زمانه والدين اليه بالاشواق ، المعتز مكانه بالاجماع النبوي والاصفاق ." (247)

---

(244) الرسالة الثالثة من مجموع بروفنصال من انشاء ابي جعفر بن عطية .

(245) المن بالامامة ص 310 .

(246) الرسالة 30 من مجموع بروفنصال 190 - 191 .

(247) الرسالة 36 من المجموع241- 248 .

والملاحظ ان الاسلوب والعبارات متشابهة تدور كلها حول عمل المهدي الديني من اقامة رسوم الشريعة ، وهداية الضالين الحائرين ..

وبعد ثورة المامون على العقيدة تغير هذا المنهج فلم نعد نجد هذا الاسلوب المتشابهة في الرضا عن الامام ، بل على العكس من ذلك كتب هذا الخليفة رسائل الى كافة الامصار دعا فيها الى ابطال المهدوية والعدول عنها الى الحق : " ولتعلموا اننا نبذنا الباطل ، واظهرنا الحق ... وألا مهدي إلا عيسى .. وقد اسقطنا اسم من لم تثبت له عصمة " .

ويستعمل نفس اسلوب العقيدة لتخريبها "الباطل ، الحق ، الضلال ، الهدى .." ويحاول المامون تبرير عمله بذكر الاصول التاريخية للحركة "...وكان سيدنا المنصور هم ان يصدع بما به الآن صدعنا ..." الا ان اجله لم يسعفه !

واذا كانت النصوص التي وصلتنا عن عهد ما بعد المامون (المرتضى) لا تتضمن الرضا عن الامام .. فإنها لا يمكن ان تقوم دليلا على عدم رجوع الكتاب الى المنهج القديم :

أ – لانها لم ترد بكاملها .

ب – لان الدولة عادت بعد المامون الى المذهب السابق تحت ضغط من تبقى من شيوخ الموحدين .

– وجاءت بعض الرسائل لتؤكد فكرة تعميم الخلافة : الحديث عن الفتوحات وتنوعها وشموليتها ، والنص صراحة على حكم المشارق والمغارب "... وجعل امرهم الذي هو امره ناظما الى قيام الساعة بين اطراف المشارق والمغارب" (248) .

– ولا تخلو الرسائل الموحدية من الاشارة الى باقي العناصر كاقامة الحق ونشر العدل ومحو الظلم والجور والباطل (249) ، بل ان بعضها يذهب الى تلقيب الموحدين بأهل الحق وطائفة الحق واهل العدل (250) .

---

(248) الرسالة 21 من المجموع.

(249) الرسالتان 4 - 8 من المجموع،ورسائل المن بالامامة صفحات 276 - 303 - 344 - 359 .

(250) المن بالامامة 276 - 340 - 342 .

5 - اثر العقيدة في الشكل :

تتميز الرسائل الموحدية بميزتين بارزتين :

الاولى : المحافظة على طقوس الكتابة المشرقية / الاندلسية من حيث مراعاة الافتتاح (بشكلياته) فالتدرج الى المقدمة ، فالعرض ... وبكثير من الدقة والاتقان ، وهذا عائد الى ان اغلب كتاب الموحدين من الاندلسيين ذوي التجارب الطويلة في بلاطات اخرى .

الثانية : انهم بمراعاتهم لظروف الزمان والمكان (العقيدة / المغرب) استطاعوا ان يخلفوا رسائل لها خصوصيات مميزة رغم تشابهها العام مع الكتابة العربية ، فنسبتها الى العصر لا تخفى حتى ولو اغفل ذكر الكاتب او المصدر .

وتتكون الرسالة الموحدية من اربعة اقسام :

1 - **الافتتاح** : ويشتمل على ذكر المرسل والمرسل اليه وقد توفرت لصاحب صبح الاعشى نصوص موحدية مكنته من ان يلاحظ ان هذه الرسائل :

- اما ان تفتتح بلفظ من فلان : ذكر المرسل والمرسل اليه

- او تفتتح بلفظ اما بعد . والاول هو الشائع .

وبتعبير آخر ان يذكر المرسل اليه أولا يذكر . لقد حرص كتاب الموحدين على ذكرهما (3 فقط من37 رسالة المكونة لمجموع بروفنصال لم يذكر فيها) لما لذلك من اهمية توثيقية وتاريخية.
وفي عهد يوسف تم الاتفاق على بدء المكاتبات بعبارة (الحمد لله وحده) تيمنا بابن تومرت اذ وجدت في بعض مكاتباته فجاءت بعض الرسائل مفتتحة بها ، وعلى هذا المنوال :

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وصحبه ، والحمد لله وحده " .

وقد وجدنا 8 رسائل من اصل 14 الصادرة عن يوسف او اليه تلتزم بامر الخليفة مفتتحة بالعبارة .ويرى ابن تاويت ان العبارة موجودة قبل يوسف بعدة عقود اذ وقف عليها في وثيقة كتبت سنة 506 هـ (251)

---

(251) دعوة الحق ، غشت 1968

ولكن المهم ان الالتزام بها هو الجديد في عهد يوسف .

2 - **المقدمة** : تشتمل على :

- البعديــة
- التحميد ، يوجد في كافة المراحل التاريخية للدولة .
- الصلاة على الرسول : وقد تطول عباراتها او تقصر .
- الترضية على الصحابة ، وتقع الترضية احيانا على الخلفاء الراشدين (موقف سني).
- فالرضاعلى الامام المعصوم المهدي المعلوم ... بعبارات متشابهة .
- تمجيد الخليفة الحاكم .

ونلاحظ ان النقط الثلاثة الاخيرة من اثر العقيدة في شكل الرسالة ، وقد يستغرق الافتتاح والمقدمة في الرسائل القصيرة النصف او اكثر دون ان يكون الكاتب قد دخل الى الموضوع . وهذا مخالف للشعر الخالي من المقدمات .

3 - **العرض** : وفيه يتناول الكاتب موضـوع الرسالة ، والغرض من كتابتها ، ويذكر الحادثة بتفصيل مع التعليق عليها بالاعتبار والنصح وبهذا عادة ما تكون الرسائل الموحدية طويلة كما يتضح من هذا الجدول :

الصفحات / الخلفاء	جزء من الرسالة	من 1 الى 3 صفحات	من4 الى10 صفحات	اكثر من 10 صفحات	المجموع
عبد المومـــــن		7	14	5	26
يـــــوسف		7	5	2	14
المنصـــــور			7	2	9
الناصـــــر	1		1	1	3
المستنـــــصر	1				1
العـــــادل	1				1
المامـــــون		1			1
المرتضـــــى	4				4
الغـــــير	1	4			5
المجموع	8	19	27	10	64

الجدول رقم 26 - الرسائل بين الطول والقصر

- ان ازيد من نصف الرسائل الموحدية طويل (37 من 64) منها 10 طويلة جدا اذ تشتمل على اكثر من عشر صفحات ، ومنها ما يصل الى 20 صفحة .

- وتنتسب الرسائل الطويلة الى فترة بداية الدولة وقوتها ، وعلى مستوى الموضوع هي تلك التي تتناول النصح والارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر او وصف بعض المعارك والانتصارات ، وعلى مستوى الكتاب تميز بالتطويل ابو جعفر بن عطية (رسائله القصيرة قليلة) وعلى الخصوص ابو عبد الله بن عياش .

- وقد يعزى القصر لا الى النص الاصلي وانما الى المصدر الذي اكتفى بحفظ جزء منه "او فصل من رسالة " ونلاحظ ذلك عند ابن عذارى على الخصوص .

- ولا تخلو الرسائل من السجع الذي يعد من مستلزمات الكتابة الديوانية ولا يدل بأي حال من الاحوال على الزخرفة والصنعة والتأنق . وقليلة هي الرسائل التي تخلو من السجع

وتعتبر الاقتباسات والاستمدادات القرآنية من ضروريات الرسائل كذلك وخاصة تلك التي تتناول موضوعا دينيا (الامر بالمعروف ، النصيحة والاعتبار)او حربيا (الآيات المندددة بالكفر . عقاب الكفار ، جزاء المجاهدين ...) مما يكون له تأثير على المرسل اليهم .

اما الاستشهادات الشعرية فقليلة ، وقد تأتي بعض القصائد مذيلة للرسالة مع العلم ان بعض الكتاب كانت لهم موهبة شعرية اصيلة كابن عطية .

4 - الخاتمة :

بعد انتهاء العرض يختم الكاتب الرسالة بعبارة "السلام عليكم" وقد يذكر التاريخ او يغفله .

الخلفاء / الرسائل	الرسائل	المؤرخة منها	النسبة
عبد المومن	26	14	%54
يوسف	14	10	% 71
المنصور	9	9	% 100
الناصر	3	1	% 33
المستنصر	1	1	
العادل	1		
المامون	1		
المرتضى	4	1	% 25
الغير	5	3	% 60
المجموع	64	39	% 60

الجدول 27 - التأريخ

ولا تخفى اهمية تاريخ الرسالة في توثيقها وفهم كثير من اشاراتها والملاحظ ان كتاب يوسف والمنصور كانوا احرص من غيرهم على اثباته .

لقد تقيد كتاب الموحدين بالعقيدة موضوعات ومنهجا فكان لذلك اثره :

- في تشابه الرسائل : من حيث المحتوى والشكل ، فلم تعد الفروق بينها الا في الحجم .
- في المستوى : هؤلاء الكتاب من خيرة كتاب اللغة العربية في عصرهم . اذ لو اعطيتهم حرية اكثر لكانت الرسائل اجود .

المطلب الثاني : تحليل نص نثري لابي جعفر بن عطية

ابوجعفر بن عطية (517 هـ - 1123م / 553 هـ- 1158م)

اسمه ونسبه : احمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي ، كنيته ابو جعفر، ينتسب لاسرة عربية حميرية دخلت الى الاندلس ايام الفتح الاسلامي للاندلس وبعده (252) واستقرت في الشرق ناحية طرطوشة (253) لا ندري متى انتقلت اسرته الى مراكش التي ولد بها ابو جعفر سنة سبع عشرة وخمسمائة حسب ابن الابار (254) وعند ابن الخطيب (255) انه ولد سنة سبع وعشرين وخمسمائة ولا يتناسب هذا التاريخ مع ما قيل من تصدره للكتابة في بلاط علي بن يوسف كان والده "جعفر بن محمد بن عطية " (من اهل الحفظ للحديث والمعرفة بالتوثيق)(256) قيل انه كان من كتاب علي وابنه تاشفين وانه بقي مخلصا لهذه الدولة فتحصل في قبضة الموحدين وعفوا عنه، الا انه عزم على الفرار اثناء محاصرتهم لفاس سنة اربعين وخمسمائة، فالقي عليه القبض من جديد . وقتله عبد المومن بعد ذلك .

الا ان اسمه لم يرد ضمن مجموعة كتاب الدولة المرابطية اللهم اذا كان من كتابهم المغمورين الذين قال صاحب المعجب في حقهم بعد ذكر المشاهير " في جماعة يكثر ذكرهم " (257)

نشأته ودراسته : لم تتحدث المصادر عن هذه الفترة من حياة ابي جعفر واكتفى ابن الخطيب بالقول بانه " اخذ عن ابيه وعن طائفة من اهل مراكش " (258) دون ذكر اسمائهم .

وكانت حركة التعليم والتدريس نشيطة في مراكش خلال حكم علي بن يوسف الا ان

(252) نفح الطيب ج 1 / 173 ط . محي الدين عبد الحميد

(253) الحلة السيراء ج 2 / 238

(254) نفس المصدر

(255) الاحاطة 1 / 279 تحقيق محمد عبد الله عنان

(256) جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 175 ط . 1973

(257) المعجب 290

(258) الاحاطة 1 / 271

الفترة التي كان فيها ابو جعفر في سن الدراسة (بعد سنة ثلاثين وخمسمائة على وجه التقريب) بدأت تتاثر بدعوة المهدي بن تومرت وقد دق ابوابها بخيوله قبل هذا التاريخ ، واستمر خليفته عبد المومن في تهديد الاستقرار والهدوء وبالتالي احداث الخلل والاضطراب في سير الدروس ونشاط حلقات العلم

وعلى كل حال فيمكن اعتبار هذا الوالد الفقيه الاديب اهم معلمي ابي جعفر. فقد لقن ابنه اسرار الكتابة ، وافاده بتجربته في هذا المجال فاختصر بذلك المراحل ، وكان عاملا من عوامل نبوغه المبكر . ولايبعد ان يكون قد سعى له عند مخدوميه ليكون من زمرة كتابهم ، واعده لذلك اعدادا كاملا، اذ علمه الفروسية والرماية ، فكان من احسن الرماة في شبابه (259) ويسلك نفس النهج مع ابنه الاصغر ابي عقيل .

- اتصالــه بالمرابطــــين : تتفق المصادر على ان ابا جعفر قد كتب عن علي بن يوسف في اواخر دولته ، وعن تاشفين وابنه ابي اسحاق (260) ، وهذا يعني انه تصدر للكتابة وعمره لم يبلغ بعد العشرين سنة ، وفي بلاط كان يجمع مشاهير كتاب الاندلس كابن القبطرنة وابي عبد الله ابن ابي الخصال واخيه ابي مروان وابي محمد عبد المجيد بن عبدون ولا يمكن ان يصمد بين هؤلاء الا من توفرت له :

- موهبة خاصة بالكتابة واساليبها

- رعاية خاصة تحميه من دسائس البلاطات واحقاد الكتاب، وقد تم له ذلك بفضل علاقة والده بالمرابطين مما مكنه من اكتساب مكانة بين جمهور الكتاب عبر عنها ابن الخطيب بقوله (وكان احظى كتابهم) (261)

زادت هذه المكانة على عهد تاشفين اذ كان من رفقائه خلال مطاردته لجيش عبد المومن في المغرب الاوسط ، ووجهه تاشفين قبل شهر من مقـــــتله بوهران ودون باقي افراد حاشيته - مع ابنه الصبي وولى عهده ابي اسحاق ابراهيم الى مراكش خوفا عليه .

وتمكــن من النجــاة بنفســه بعــد القــاء الموحدين القبض على الامير المرابطي : فلم يجــد

(259) المعجب 281

(260) المعجب 290

(261) الاحاطة 1/277

ابو جعفر سبيلا للخلاص مما هو فيه الا بالتنكر والانخراط في سلك الجندية وهو الذي شب على الرماية والفروسية وقد كان الموحدون لكثرة حروبهم وما عرف عندهم بوقائع التمييز بحاجة مستمرة للمحاربين يجندون الافراد والقبائل ، تم ذلك في اواخر سنة واحد واربعين وخمسمائة والظاهر ان هذا الانخراط لم يكن لاجل المعاش ، وانما كان يعد نفسه للظهور من جديد وخدمة الدولة المنتصرة .

- **في البلاط الموحدي** : لم تطل فترة الانتظار اذ ان الفرصة قد سنحت في السنة الموالية (اثنين واربعين وخمسمائة) وفيها عظم امرمحمد بن هود المسمى بالماسي الذي تشبه بالمهدي ابن تومرت وادعى انه الهادى فتبعه الناس وتمكن من هزم الجيش الاول الذي رماه به عبد المومن بقيادة يحيى بن الصحراوية القائد المرابطي السابق ، فلم يجد الخليفة بدا من تعيين ساعده الايمن القائد المحنك ابي حفص عمر الهنتاتى على راس جيش ثان لاخماد هذه الثورة بسوس، وكان ابو جعفر من رماة هذا الجيش (262)

وبعدما هزم الماسى طلب ابو حفص كاتبا يكتب خبر النصر للخليفة فدل على ابي جعفر . فكتب الرسالة التي اثارت انتباه عبد المومن فاستدعاه للالتحاق بركب كتاب دولته (263)، وقد اشتهر هذا الخليفة بحاسة نقدية سليمة مكنته من المساهمة بفعالية في الحركة الادبية وهذا مطلع الرسالة المصيرية في حياة ابن عطية :

(كتابنا هذا من وادي ماسة بعدما تجدد من امر الله الكريم، ونصره تعالى المعهود القديم ، وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . فتح بهر الانوار اشراقا ، واحدق بنفوس المؤمنين احداقا ، ونبه للاماني النائمة جفونا واحداقا ، واستغرق غاية الشكر استغراقا ، فلا تطيق الالسن لِكُنه وصفه ادراكا ولالحاقا ، جمع اشتات الطلب والارب ، وتقلب في النعم اكرم منقلب ، وملأ دلاء الامل الى عقد الكَرَب .

فَتحٌ تَفَتَّحُ أبوابُ السماءِ له وتبرز الارض في أثوابها القُشُب(264)

(262) الاستقصا للناصري 2/ 100

(263) تاريخ ابن خلدون 6 /390

(264) انظر نصها كاملا في الإحاطة 1 / 277 - 278.

ويستنتج من المصادر ان الفترة بين استحسان عبد المومن للرسالة وتعيينه كاتبا بيلاطه قصيرة فقد جاء في المصادر: (فلما بلغت الرسالة عبد المومن استحسنها واستدعى ابا جعفر هذا واستكتبه ، وزاده الى الكتابة الوزارة) (265) وهو نفس ما قاله ابن الخطيب في الاحاطة والمقري في النفح عند ابـن خلدون ان الكتـاب كـانوا يقلـدون في نفس الوقت مناصب الوزارة على عـهـد الموحدين (266) ، ويؤكد ذلك ما ذكره المراكشي من وجود مناصب اعلى من منصب الوزارة عند عبد المومن وزر له في اول الامر ابو حفص عمر ازناج الى ان استقر الامر واستقل عبد المومن ، فاجلى ابا حفص هذا عن الوزارة وربأ بقدره عنها ، اذ كان عندهم فوق ذلك ! واستوزر ابا جعفر احمد بن عطية فجمع بين الكتابة والوزارة) (267)

وكلف ابن عطية بمهام جليلية اثناء السلم والحرب ، في المغرب والاندلس .(268) فقام بها احسن قيام ، وكان لا يفارق عبد المومن في حله وترحاله فالرسائل التي كتبها له صادرة من مدن ومناطق مختلفة .

وتحدثت المصادر عن اعمال ابن عطية وسيرته في الناس فقالت : (واسند اليه الوزارة فنهض باعبائها ، وتحبب الى الناس باجمال السعي والاحـــسان فعمت صنائعه وفشى معروفه.وكان محمود السيرة ... ناجح المساعي ، سعيد المآخذ ...) (269)

فازدحم اصحاب الحاجات على بابه وحملت اليه قصائد المدح . ومن مشاهير الشعراء الذين

(265) الاحاطة 272/1 والمعجب 290 .

(266) المقدمة 190/1 ط دار القلم

(267) المعجب 198

(268) من المهام الموكولة اليه : اخماد ثورة اخوي المهدي بمراكش ، واستقبال وفد اهل الاندلس على عبدالمومن بسلا ، ومصاحبة ابي يعقوب بن عبد المومن الى المرية لمحاربة النصارى ، والسفارة لديهم من اجل السعي الى الصلح ورافقه عند ما عينه والده على اشبيلية وقرطبة ، ومنازلة الثائر علي الوهيبي باشبيلية (نظم الجمان 140 والاستقصاء 109/2-111)

(269) قصة هذه النكبة تشبه نكبة الرشيد للبرامكة ، والمعتمد لابن عمار : نفح الطيب 7 / 110

مدحوه ابن حبوس الفاسي شاعر الخلافة . قال فيه قصيدة مطلعها :

ألا زار من ام الخشيف خيالها ومن دونها البيداء يخفق آلها

وقال في مدحه :

ومن ذا الذي ينأى عليه وانه لذو قدم ام النجوم نعالها
وزير العلا عندي من القول فضلة رويتها في مدحكم وارتجالها
وما كنت اخشى مدة الدهر ان ارى تميد بي الدنيا وانتم جبالها

<u>نكبته</u> : اختلفت الآراء حول اسباب قتل عبد المومن لكاتبه ووزيره ابي جعفر بن عطية (270)

فذكر صاحب المعجب ان السبب الاكبر في ذلك عائد الى افشائه لسر من اسرار الدولة (271)

– وقيل بل يعود السبب الي تحيزه الى شخصيات مرابطية ، وسعيه الى الرفع من شأنها واعلاء ذكرها: موقفه من اخيل بن ادريس الرندي (272)ومروان بن عبد الله بن عبد العزيز (273)

– ولا يجب ان نغفل دور الوشاية والمنافسة التي كانت محتدة بين كتاب البلاط الموحدي عموما وبين المغاربة والاندلسيين منهم خاصة وكان لنجاح ابن عطية ونبوغه وعلو مقامه في وقت وجيز -مع صغر سنه- دور في تكاثر حساده وتالبهم ضده .

وقد استغلوا مناسبة خروجه الى الاندلس مع ابي سعيد بن عبد المومن لاخماد ثورة على الوهيبي بالمرية واشبيلية فسعوا الى الوشاية به والقوا بين يدي الخليفة الابيات التالية (274) .

---

(270) نفح الطيب 7 /110 اعتمد اساسا على كلام ابن الخطيب في الاحاطة

(271) سمع في مجلس الخليفة عزمه على القاء القبض على القائد يحيى بن الصحراوية صهر ابن عطية لاقوال وافعال صدرت عنه فنبهه لذلك واشار عليه بالاختفاء او الهرب الى ميورقة فكشف امره : (المعجب 199 – 200)

(272) انظر القصة في الحلة السيراء 2 /242 – 243

(273) انظر الحلة السيراء 2 /225 – 226

(274) الاحاطة 1 / 265 – 266 ، النفح 1 / 110 .

قل للامـــام اطال اللـــه دولـــــتـــه قـــولا تبين لذي لب حـــقـــائقــــــه
ان الزِّرَاجين(275) قـــوم قد وترتهـــم وطالب الثـــار لم تؤمن بوائقـــــه
وللـوزيـر الـى آرائـهـــم مَـــيَل لذاك مـا كـثـرت فـيـهم عـلائقــه
فـبـادر الحــزم في اطفـاء نارهــم فـربما عـــاق عن امــر عــوائقــه
هم العــدو ومـــن ولاهم كلـــهم فاحذر عدوك واحذر من يصـادقــه
الله يعلم انى ناصـــح لكـــم والحق ابلج لا تخـــفى طرائفــه

فاوغروا صدر الخليفة عليه وانبرى لمطالبته وتصف المصادر هذه النكبة بتفصيل : فقد انتهى الخبر الى ابن عطية وهو بالاندلس فقلق وعجل الانصراف الى مراكش ، الا انه حجب عند قدومه وقيد الى المجلس حاسر الراس وتمت محاكمته امام الملأ، وادلى اعداؤه ووشاته برأيهم فيه، فأمر بسجنه ولُف معه اخوه ابو عقيل (276) .

واعتذر ابن عطية للخليفة عما صدر عنه طالباعطفه وصفحه وارسل اليه رسالة نثرية بليغة مما جاء فيها :(تا الله لو احاطت بي كل خطيئة ، ولـم تنفك نفـسي عن الخـيـرات بطـيئة ، حتى سخرت بمـن في الـوجـود ، وانـفت لآدم عـن الســجود ! وقـلت ان الله تعالى لم يوح في الفـلك لنـوح ، وبريت لقُدار ثمود نبلا ، وابـرمت نار الخليل حبلا ..." واستمر في اتهام نفسه افتراضا بمثل هذه الزلات الى ان قال : (لقد آن لمقالتى ان تسمع ، وتغفر لي هذه الخطيئات اجمع ، مع انى مقترف وبالذنب معترف (277) وبعد فترة قصيرة بعث اليه بقصيدة استعطاف مع طفل له عسى ان يكون لها حظ احسن، وتاثير اعمق من الرسالة النثرية ، قال فيها :

عطفاً علينا المؤمنين فَـــقَد بَان العَزَاءُ لفرط البث والحَـــزن
قـد اغـرقـتنا ذنوبُ كلهـا لُجَج وعطفـة منكم انجى من السـفن

(274) الاحاطة 1/265 - 266 . النفح 1 /110

(275) جمع زرجان وهو طائر اسود البطن ابيض الريش شبه به ابن تومرت المرابطين لانهم بيض الثياب سود القلوب (في نظره) انظر نظم الجمان ص 58 .

(276) الاحاطة 1 / 266

(277) الاحاطة 1 / 267 نفح الطيب 7 / 111 .

وصادفتنا سهام كلها عرض ورحمة منكم اوقى من الجنن
هيهات للخطب ان تسطو حوادثه بمن اجارته رحماكم من المحن
من جاء عندكم يسعى على ثقة بنصره لم يخف بطشا من الزمن
فالثوب يَطْهر عند الغسل من دَرَن والطرف ينهض بعد الركض في سنن
انتم بذلتم حياة الخلق كلهم من دون مَنٍّ عليهم لا ولاثمن
ونحن من بعض من احيت مكارمكم كلتا الحياتين من نفس ومن بدن
وصبية كفراخ الورق من صغر لم يألفوا النوح في فرع ولا فنن
قد اوجدتهم أيَادٍ منك سابغة والكل لولاك لم يوجد ولم يكن (278)

الا ان عبد المومن لم يزد على ان علق على الابيات بقوله تعالى (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) (279) وامر بقتله هو واخوه يوم 29 صفر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .

واستوزر بعده عبد السلام بن محمد الكومي واستكتب ابا القاسم القالمي ، ومع وجود كتاب آخرين في البلاط الموحدي افتقد عبد المومن المستوى الذي كان عليه ابو جعفر، فقد امتحن شعراءه وكتابه حسب ما ذكرته المصادر بهجو ابن عطية، فلما سمعهم اعرض عنهم قائلا (ذهب ابن عطية وذهب الادب معه) (280) مبديا ندمه على ما صدر عنه .

- ادبه : لم يصلنا كل ما كتبه ابن عطية من شعر ورسائل .

بالنسبة للشعر : تنسب له النونية التي قالها في الاعتذار لعبد المومن واستعطافه ، اما المساجلة الشعرية الغزلية التي يقال بانها دارت بينه وبين الخليفة عبد المومن فالظاهر انها منتحلة مصنوعة :

أ - كل الذين اوردوها لم يجزموا بذلك : فصاحب الانيس المطرب اوردها بلفظ

(277) الاحاطة 1 /267 نفح الطيب 7 / 111

(278) الاحاطة 1 / 268 نفح الطيب 7 / 111

(279) سورة يونس الآية 91

(280) نفح الطيب 7 / 113 .

قيل (281) وصـاحب نفح الطيب اوردها بلفظ "وقـد حـكى (282) وصـاحب الاسـتقصا صـدرها بقوله " يروى" (283)

ب - تسير هذه المساجلة الغزلية في اتجاه معاكس تماما للعقيدة الموحدية ومبادئها ، خاصة في هذه الفترة التاسيسية ، وقد كانت لعبد المومن مواقف واضحة وحاسمة من كل انواع المجون والاستهتار (284)

- **رسائله** : وصلتنا عشرون رسالة لابن عطية :

- سبع عشرة منها وردت في مجموع بروفنصـال ، نسبت له احداها خطا وهي الموجهة الى الطلبة والموحدين بغرناطة في موضوع بناء مدينة جبل طارق لانها مؤرخة في ذي القعدة سنة اربع وخمسين وخمسمائة (285) اي بعد وفاة ابي جعفر .

- والثامنة عشرة في نظم الجمان (286) كتبها كلها لعبد المومن واغلبها مـن مراكـش (بعضها من بجاية وتلمسان) ، موجهة الى الطلبة والاشياخ والاعيان في مختلف مدن الامبراطورية الموحدية .

وموضوعاتها متنوعة :

- الاخبار بالفتوح والانتصارات التي يحققها الموحدون
- الاخبار بالبيعة او تجديدها
- الدعوة الى الدخول في طاعة الموحدين وولائهم
- ولاية العهد
- اعمال البناء والتشييد

(281) ص 129

(282) 3/ 101

(283) 1 / 154

(284) العلوم والآداب والفنون على عهـد الموحدين ص 139 والدولة الموحدية (اثر العقيدة في الادب) 49 - 52 طبعة ثانية

(285) مجموع بروفنصال 95 - 99

(286) ص 150 - 155

- اما الرسالتان الاخيرتان فموجهتان الى عبد المومن :

الاولى كتبها عن ابي حفص في الاخبار بالنصر على الماسي وهي التي رفعت شانه وكانت سبب شهرته .

والثانية كتبها في استعطاف الخليفة اثناء حبسه (287).

وابن عطية هو واضع أسس الترسل الموحدي وتشتمل رسائله على اربعة اقسام :

1 - الافتتاح : يذكر فيه اسم المرسل والموسل اليه ، كقوله :(من امير المومنين ايده الله بنصره ، وامده بمعونته ، الى الطلبة الذين بتلمسان ، ادام الله كرامتهم بتقواه ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...) (288)

2 - المقدمة : وتشتمل على :

- البعدية
- التحميد
- الصلاة على الرسول : وقد تطول عباراتها او تقصر
- الترضية على الصحابة ، وتقع الترضية احيانا على الخلفاء الراشدين .
- الرضا على الامام المعصوم المهدي المعلوم .. بعبارات متشابهة تسير على هذا المنوال (...والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، وليه الذي تقبل سبل الهداية واقتفاها ، واقام رسوم الشريعة على رغم من جحدها ونفاها) (289) .
- تمجيد الخليفة الحاكم .

سار كتاب الدولة الموحدية على هذا النهج الى ان وقع التنكر للمهدوية على عهد المامون .

3 - العرض : وفيه يتناول الكاتب موضوع الرسالة ، والغرض من كتابتها ويذكر الحادثة بتفصيل مع التعليق عليها بالاعتبار والنصح لهذا جاءت اغلب رسائله طويلة .

ولا تخلو رسائل ابن عطية من السجع الذي يعد من مستلزمات الكتابة الديوانية الا انه لايبلغ حد الزخرفة والتصنع. وتاتي الاقتباسات والاستمدادات القرآنية للاستدلال وتدعيم الموضوعات

(287) توجدان في الاحاطة 1 / 267 و 269

(288) مجموع بروفنصال ص 47

(289) مجموع بروفنصال الرسالة الثالثة ص 5 .

الدينية (الامر بالمعروف ، النصيحة والاعتبار)او الحربية (الآيات المنددة بالكفر، عقاب المرتدين ، جزاء المجاهدين ...) التي تحملها الرسائل ، مما يكون له تأثير على المرسل اليهم .
اما الاستشهادات الشعرية فقليلة بالرغم من ان ابن عطية كان شاعرا .

4 - الخاتمة : بعد انتهاء العرض يختم الكاتب الرسالة بعبارة "السلام عليكم " مع ذكر التاريخ في بعض الاحيان وقد ذكر في عشررسائل فقط ، بينما جاءت باقي الرسائل خالية من التاريخ ولا تخفى اهمية ذكر تاريخ الرسالة في توثيقها وفهم كثير من اشاراتها والملاحظ ان الكتاب الذين جاءوا بعد ابن عطية كانوا احرص على تحديد تواريخ كتابة رسائلهم .

مع ذلك يبقى ابن عطية نموذجا يقتدى به في كتابة الرسائل من طرف كتاب هذه الدولة ، ولعل عبد المومن قد اعترف بتقدمه صراحة في العبارة التي قالها في حقه (ذهب ابن عطية وذهب الادب معه) .

نموذج تطبيقي لكتابة ابن عطية

الرسالة الاولى في الاخبار بالفتح والدعوة الى الدخول تحت طاعة الموحدين والتشبع بمبادىء الدعوة الموحدية .

نـــص الرسالـــة

من امير المؤمنين - ايده الله بنصره ، وامده بمعونتـه - الى الطلبة الذين بسبتة وجميع من فيها من الموحدين خاصة وعامة - وفقهم الله وسددهم .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اما بعد ،

فالحمد لله مولي الرغائب ، ومسني الآمال والمطالب ، وقابل توبة التائب نحمده بما يتعين حمده الواجب ، ونصلي على محمد نبيه العاقب ، على آله وصحبه اولي المفاخر السنية والمناقب.

ونصل الرضا عن الامام المعصوم ، المهدي المعلوم ، المحرز شرف المبادىء والعواقب ، المجلي بنوره الثاقب ، حجب الظلام الواقب .

وكتبناه اليكم - كتب الله لكم شكرا موالي معادا ، وتوبة تجعلونها قاعدة لاعمالكم وعمادا ، وصلاحا لا يفارق بحمد الله نماء او ازديادا - من حضرة مراكش - حرسها الله .

وقد وصلنا بحمد الله على اتم احوال الظفر واليمن ، وعدنا اليها تحت ظل السلامة التامة والامن ، بعد كمال الغزوة المباركة وتمامها ، واطفاء نار الفتنة ببرد الهدنة وسلامها ، والصاق انوف الكفرة المرتدين برغامها وقطع دابر القوم المجرمين في هذه الجهة وما انتظم في نظامها .

ونال الغزاة في هذه الحركة الميمونة من الاجور ، والمغنم الموفور ، والفضل الذي ينشر عليهم اجنحته يوم النشور ، ما لا يتمكن لاحد من البشر وصفه على حال ، ولا يتأتى لمخلوق نعته على استيفاء واكمال . فطوبى ثم طوبى لمن حضر في سبيل الله فاحضر ، واخلص نيته في غزوه الميمون بمبلغ ما استطاع وقدر . فساعدت جوارحه في تخليص ما اكتسب من هذه الفضائل واذخر .

وان النعمة - وفقكم الله - بهذه الفتوحات العميمة العامة شاملة على من اخذ بهذا الامر العزيز ودان ، وتزيا بحلته البهية فازدان ، فهي الفتوح التي بها من آيات المهدي - رضي الله عنه - العجب العجاب ، وفاض فيها من بركاته الفيض المنساب ، ودرت بها الارزاق وانتشر الامن وكرم المآب

وكان امرها مخصوصا بالمرتدين الخاسرين فمحقهم وطيسها الشديد الغلاب ، وليس لله على ذلك الا الحمد والشكر والمتاب .

فاشكروا الله ، عباد الله ، شكرا دائما مستمرا مع الاحسان ، واحسنوا ضمائركم وطهروا سرائركم في مقابلة هذا الاحسان ، وتوبوا الى الله جميعا توبة نصوحا غاسلة للقلوب من الادران ، فالتوبة اصل للاعمال الراجحة ، والمتاجر الرابحة ، ونعوذ بالله من الخسران .

وقد آن لكم ، ايها المؤمنون ان تجددوا توبتكم تجديدا وكيدا ، وتغتنموا من هذه النصائح التي تتداولكم حظا مفيدا ، وتشهدوا الله على التمسك بعصم الايمان ، وكفى به شهيدا . فبادروا -رحمكم الله - الى طاعة الله تعالى في العلانية والنجوى ، وشدوا ايديكم على هذا الحبل الامتن الاقوى ، واعلموا انكم راحلون ، فتزودوا ، فان خير الزاد التقوى ، وحافظوا - اصلحكم الله - على اخلاص النيات ، والتزام الصلوات ، وسائر اعمال الطاعات ، وتلاوة القرآن والتوحيد فهي اكرم التلاوات . واصفحوا ، واصلحوا ، وتعاملوا بالخير تفلحوا ، واقرعوا ابواب الرحمة بايمان الايمان تستفتحوا ، وواظبوا على تغيير المنكر وأتمروا بينكم بمعروف تنجحوا . واشتغلوا بدينكم اشتغالا يخلصكم والتزموه التزاما يخصكم على الدوام ويحرصكم ، وتزيدوا من الاعمال الصالحة في هذه الاعمار التي لاتزال مع اللحظات تنقصكم . ورحم الله امرءا سمع النصيحة فابتدرها ، وجاهد نفسه على طاعة الله فقهرها ، واخذ عليها مآخذ الشهوات فنهاها بالحق وامرها . اعاننا الله واياكم على شكر نعماه ، وطلب حماه ، بمعزته (290)

والســـــلام

(290) مجموع رسائل موحدية ، ليفي بروفانصال ص . 1 - 3

التحليل

I - البناء العام

تشتمل هذه الرسالة (الاولى من رسائل مجموع بروفنصال) على اربعة اقسام ، على غرار باقي الرسائل الموحدية :

1) - **الافتتاح** : ذكر فيه "اسم المرسل والمرسل اليه (من امير المؤمنين ...الى الطلبة الذين بسبتة " وجميع من فيها من الموحدين خاصة وعامة)

2) - **المقدمة** : تتكون من البعدية ، وحمد الله والصلاة على نبيه ، لان كل كلام لا يبدأ بحمد الله فهو ابتر . ثم الرضا عن الامام المعصوم ، وهذا من مميزات الرسائل الموحدية . وعباراته في هذه الرسالة .

(... الرضا على الامام المعصوم ، المهدي المعلوم المحرز شرف المبادىء والعواقب ...).
وتمكن هذه المقدمة من التهيؤ نفسيا لاستقبال الخبر او الامر الموجه بواسطة الرسالة .

3) - **العرض** : تناول فيه موضوع الرسالة والغرض منها ، وهو الاخبار بالفتح والدعوة الى الدخول تحت طاعة الموحدين والتشبع بمبادىء دعوتهم ، خاصة وان الفترة كانت فترة تاسيس الدولة.

ويمكن تقسيم هذا العرض الى اربع فقرات :
أ - الاخبار بانتصار على المرابطين (وقد وصلنا بحمد الله ... وما انتظم في نظامها .)
ب - جزاء المنتصرين في الدنيا (مغانم) وفي الاخرة (حسن التواب) (ونال الغزاة ...من هذه الفضائل واذخر) .
ج - انعكاس نتائج الفتح على الموحدين (انتشار الامن) وعلى اعدائهم المرابطين (الهزيمة): [وان النعمة ... والشكر والمتاب] .
د- الدعوة الى اتباع الامرالموحدي وتجديد التوبة والتزام الطاعة(فاشكروا الله ...بمعزته)

4 - **الخاتمة** : السلام على المخاطبين ، وقد اغفل ذكر التاريخ، ويرجح انها كتبت بين سنتي 542 هـ (تاريخ التعرف اليه) و543 هـ تاريخ كتابة الرسالة الموالية .

II. على مستوى المضمون : تميزت القصيدة الموحدية بغنى المعجمين العقدي والحربي لاهتمام الشعراء بنشر العقيدة والدفاع عنها ومواجهة اعدائها .

ولم تختلف مقاصد الكتاب عن هذه الاهداف لذلك وجدنا في رسائلهم معجما مماثلا : مذهبي ديني ، وحربي

- فمن مواد المعجم المذهبي الديني : المهدي ، الامام ، الامر ، التوحيد .
- يناقضه معجم ذو قيم اخلاقية يبين موقف الموحدين من اعدائهم ومن مذهبهم فسماهم الكاتب : المجرمين ، الكفرة ، المرتدين ، الخاسرين ، دعاة الفتنة . وهي النظرة الموحدية اليهم .
- ويواكبها معجم حربي يصف انتصار الدولة على اعدائها ، ويمجد هذا الانتصار ، ويسميه : الحركة الميمونة - الغزو الميمون الغزوة المباركة - الظفر - اليمن والهدنة - الامن - الفتوح العميمة ويبين ما حصل عليه الموحدون بفضله من جزاء :

* دنيوى : المغنم الموفور
* واخروى : فضل عظيم يوم القيامة ، لا نظير له .

ولا ينسى ذكر انعكاس الفتوح على المغاربة : فاضت بها البركات ، ودرت الارزاق ، وانتشر الامن، فركز على عناصر اجتماعية واقتصادية تهم كل فئات المجتمع ، ولا يمكنه ان يستشعر الاستقرار بدونها حثًا لافراده على الدخول في طاعة الدولة الجديدة التي وفرت وسائل العيش الكريم .

- وتأتي الفقرة الاخيرة من الرسالة ذات الطابع الخطابي لتكثف قيما دينية ذات صبغة وعظية كنتيجة طبيعية لسلسلة القيم السابقة الذكر :

فالعقيدة الجديدة جاءت لمحاربة الكفر والفتنة ولتوفر الامن وتنشر العدل . والذي يجب ان يترتب على ذلك هو ما يشير اليه المعجم المكثف الوارد في الفقرة الاخيرة :

- على شكر الله ، التوبة تجديدها ، طاعة الله ، المداومة على الصلاة وتلاوة القرآن ، وتغيير المنكر وعمل الخير .

وتنهض الاحالات القرآنية بدور اساسي في هذه الرسائل الخطابية ، وتقوم على اقناع المخاطبين ، ومساندة وجهة نظر المرسل :

أ - لا ن القرآن الكريم هو اعلى وسائل الاستشهاد .

ب - ولان مهمة الاحالة ايجاد وشائج وعلاقات بين المحيل والمحال عليه تمكن من نقل حكم هذا الى حكم الآخر او على الاقل ايجاد تشابه بين الحكمين .

- ففي قول ابن عطيـة (وقطع دابر القوم المجرمين) احالة الى آيات قـرآنيـة وردت بنفس الالفاظ - مثل قوله تعالى :

* فقطع دابر القوم الذين ظلموا (291)

* وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا(292)

- والقصد من الاحالة الايحاء بتشابه الموقفين : موقف الكفار الظالمين ، وموقف المرابطين المذكورين في الرسالة .

- وفي نصح الموحدين وارشادهم وردت عدة احالات في الفقرة الاخيرة من الرسالة :

* كفى بالله شهيدا (وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) (293)

* تزودوا فان خير الزاد التقوى (294)

* توبوا الى الله توبة نصوحا (ياايها الذين آمنوا توبوا) (295) .

- وفي قوله (اطفاء نار الفتنة ببرد الهدنة وسلامها) احالة الـــى الآية (يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) (296) ، وقد استغلها الكاتب للتعبير عن الفتنة التي اشعل المرابطون نارها فاخمدها الموحدون ، مستعملا نفس الالفاظ : نار - برد - سلام .

اما الالفاظ التي تفيد تحول الصورة (ما يسمى بالحل فهي : فتنة - وهدنة).

اعتبارا لاهمية الاعلام في العقيدة الموحدية ، ولاهمية عنصر الطلبة في النظام الاجتماعي الموحدي فان الرسائل كانت تنهض بدور الخطب ، فتتلى في المساجد والمدارس والتجمعات وتعكس مقومات العقيدة بعناصرها المختلفة محيلة في ذلك على القرآن الكريم .

---

(291) سورة الانعام آية 46 .

(292) سورة الاعراف آية 71

(293) سورة النساء آية 72

(294) سورة البقرة آية 197

(295) سورة التحريم 8

(296) سورة الأنبياء 68

.III- **على مستوى الشكل** :

بما ان الرسائل الموحدية كانت تنهض بدور الخطب فان من الضروري اضفاء بعض خصائص الخطابة عليها : الاهتمام بالمقومات الصوتية وضبط مخارج الحروق وتوازن الجمل ، وذلك بواسطة السجع والجناس والتكرار ، اضافة الى باقي الخصائص الشكلية البلاغية .

أ - **السجع** : من اهم عناصر الاسلوب في الكتابة الديوانية لماله من تأثير مزدوج صوتي ودلالي . وقد التزم به ابن عطية من اول رسالته الى آخرها .

ويمزج بين اسجاع ذات حرف واحد : (في المقدمة : الرغائب ، المطالب ، العاقب) واسجاع ذات حرفين :

(فقرة 1 : الامن - اليمن - تمامها - سلامها / رغامها - نظامها

فقرة 2 : الموفور - النشور / حال - اكمال ..) واسجاع ذات ثلاثة حروف او كثر :

فقرة 3 : دان - ازدان /

فقرة 4 : وكيدا - مفيدا - شهيدا / اصفحوا - اصلحوا / تفلحوا - تستفتحوا ...)

واغلب الحروف التي يرتكز عليها السجع جهيرة : كالباء والدال ، والنون والراء لما لها من امتداد جرسي صوتي . وفي تنويع اشكال السجع تغيير لهذا الجرس وتجديد له .

ب - **الجناس** : استغل امكانيات الجناس بنوعيه التام والناقص في مثل قوله :

* مقدمة : كتبناه اليكم كتب الله لكم شكرا .
* فقرة 1 : في هذه الجهة وما انتظم في نظامها الظفر واليمن ، والسلامة والامن .
* فقرة 2 : طوبى لمن حضر فاحضر (احضر = قتل) .
* فقرة 3 : دان وازدان / المآب والمتاب
* فقرة 4 : اصفحوا - اصلحوا ...

- ويسهم الجناس في اغناء موسيقى النص : لانه بمثابة التكرار في حالة الجناس التام . ولتقارب مخارج الحروف بالنسبة للجناس الناقص .

- في ايجاد تأثير على المستوى الدلالي لانه يقرب بين معنى اللفظتين (يمن - امن / حضر - احضر ...) او على الاقل يوحي بوجود هذه القرابة (دان - ازدان/ مآب - متاب ...)

ج - **التكرار** : لترديد الكلمة دلالات تضاف الى الموسيقى الناتجة عن تشابه الحروف :

* فقد ياتي لتعميق الدلالة باتحاد وظيفة الكلمات في السياق الواحد بحيث ينسحب المعنى من الواحدة الى الاخرى ، وهي تفيد في جملة ابن عطية (فطوبى ثم طوبى لمن حضر في سبيل الله فاحضر) فرحة المشارك ورغبته في الاستشهاد في سبيل الدين والمبدا ، وتتعمق هذه الدلالة بتكرار حرف العطف بين الكلمتين .

* وفي الرسالة تكرارات من قبيل التاكيد والاستحسان ، وخاصة في الفقرة الرابعة ذات البعد الخطابي :

- اشكـــــروا الله ... شكرا دائما مستمرا
- احسنوا ضمائركم ... في مقابله هذا الاحسان
- توبوا الـــى الله ... توبة نصوحا
- ان تجددوا توبتكم تجديدا وكيدا
- وتزودوا فان خير الزاد التقوى
- وتلاوة القرآن فهي اكرم التلاوات
- واشتغلوا بدينكم اشتغالا
- والتزموه التزاما

تاتي هذه التكرارات لتدعيم المعجم الذهبي والمعاني الدينية التي تحملها فقرات الرسالة فشكر الله ، والتوبة اليه ، والتزود بالتقوى وقراءة القرآن ... امور فرضها التخلي عن مذهب الدولة المرابطية واعتناق مذهب الدولة الجديدة .

د - **التركيب النحوي** : نوّع ابن عطية الجمل الواردة في الرسالة بين المركب الاسمي والفعلي والجملة الاخبارية والانشائية وذلك بحسب دلالتها والقصد منها :

- فقد غلب الجمل الاسمية والافعال الماضية في الفقرة الاولى التي يحكى فيها خبر الفتح فتعددت لذلك الصيغ الخبرية لان الغاية من هذه الفقرة تبليغ معلومات الى المخاطبين من طلبة وموحدي سبتة .

في حين مال الى المزج بين صيغ الماضي والمضارع في الفقرتين الثانية والثالثة لتحوله الى الحديث عن النصر والفتح ، والتحول الذي طرا بسبتة على مستوى الفئات الاجتماعية التي شهدته ، وكذا ما يؤمل ان يترتب عنه من تغير ايجابي : انتشار الامن وتكاثر الخيرات ...

- ويكثف استعمال افعال الامر في الفقرة الرابعة ذات الصبغة الخطابية الوعظية : اشكروا ، احسنوا ، طهروا توبوا ... فجاءت صيغها الامرية الدعائية مطابقة لعنصر مهم من عناصر العقيدة الموحدية وهو عنصر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويقوم هنا على الدعوة الى تجديد التوبة والتشبث بالمذهب الجديد .

هذا التحول من الجمل الاسمية الى الفعلية ، ومن صيغة فعلية الى اخرى ، ومن الاخبار الى الانشاء هو الذي ابعد الرسالة من السير على وتيرة سردية تقريرية واحدة وطبعها بطابع التحول والحركة .

هـ - <u>التركيب البلاغي</u> : تجمع هذه الرسالة بين الوظيفتين :
- الابلاغية : نقل الخبر ، التخاطب العادي (اهمية الاعلام عند الموحدين)
- والبلاغية :الاهتمام بالجانب الجمالي الفني ويبدو هذا الجانب في مجموعة من الصور الايحائية الواردة في الرسالة مثل :

1 - اطفاء نارا لفتنة ببرد الهدنة وسلامها (فقرة : 1)
2 - الصاق انوف الكفرة المرتدين برغامها (فقرة : 1)
3 - الفضل الذي ينشر عليهم اجنحته يوم النشور (فقرة : 2)
4 - وتزيا بحلته البهية فازدان (فقرة : 3)
5 - شدوا ايديكم على هذا الحبل الامتن الاقوى (فقرة : 4)
6 - وتوبوا الى الله جميعا توبة نصوحا غاسلة للقلوب من الادران (فقرة : 4)

وقد تجاوز في هذه الصور طاقة الاخبار (الانتصار على الاعداء ، والدعوة الى اتباع الامر الموحدي لما فيه من خير وصلاح ...) الى طاقة التضمين ، وهو توصيل هذه الاخبار بطريقة جمالية موحية .

فالصورة الاولى مركبة بناها على احالة قرآنية (يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) ، ثم حل الصورة القرآنية ليعيد بناءها في صيغة مطابقة للمقصود ، زادها ايحاء التقابل بين:

نار الفتنة – وبرد الهدنة / وبين اطفاء ونار ، وابقى "سلامها " لتشير الى الاحالة التي هي اساس الصورة .

فالوظيفة الاخبارية او المعنوية للصورة : اخماد الفتنة المرابطية بانتصار الموحدين .

اما الوظيفة النفسية فهي اعتبار المرابطين اهل فتنة ، ودعاة عدم الاستقرار (والفتنة كما يقال اشد من القتل) رغبوا في القضاء على التوحيد كما فعل الكفار بالنسبة لابراهيم عليه السلام الذي يرجع اليه الفضل في التوحيد وتعتبره كافة الديانات ابا لها . وقد نصر الله الدولة الموحدية كما نصر نبيه ابراهيم .

ان ما يلاحظ على باقي الصور هو النزوع الى التشخيص :

- تشخيص اجبار المرابطين على الاستسلام (الصاق انوف الكفرة ...)
- تشخيص الفضل الذي يجنيه الموحدون (ينشر اجنحته ...) – مع احالة الى التراث الفقهي وتصوره ليوم البعث .
- تشخيص التشبث بالامر الموحدي (شدوا على الحبل ...) ...

ان غرض الكاتب من تكثيف الصور التشخيصية التعبيرية هو تجاوز النقل المباشر التقريري السطحي وتشخيص مظاهر الطبيعة لتتفاعل كالانسان ، وليتم تحطيم الحواجز بين الموجودات.

<u>خاتمة التحليل</u> : يحاول ابن عطية باغناء موسيقى النص عن طريق تنويع السجع واستغلال امكانيات الجناس والتكرار ، وتكثيف الاحالات القرآنية الاكثر اقناعا واتصالا بموضوع التوحيد ، والتعبير بواسطة الصور الايحائية التشخيصية تجاوز الوظيفة الاعلامية الاخبارية للرسالة بحمل المخاطب ، لاعلى فهم الامر فقط ، ولكن على تقمص ثوب التجربة المنقولة عبر الخطاب . فهذه العناصر الضاغطة وظفت لمواجهة كل ردود الفعل الممكنة الصدور عنه . فجاءت الرسالة بالفعل جامعة بين معاني الاقناع (الاحالات ، المعجم المذهبي) ومعاني الامتاع (الغنى الموسيقى، الصور الايحائية) وهذه الوسائل كانت وراء نجاح ابن عطية في مهامه الديوانية وتفوقه على بعض معاصريه فاسهم في نشر الدعوة الموحدية بقلمه ، ولعل ادراك عبد المومن لذلك بعد قتله له كان وراء اسفه الشديد على رحيله وقوله في حقه (ذهب ابن عطية وذهب الادب معه) .

المطلب الثالث : الخطب والوصايا

توفرت الشروط لازدهار الخطابة في العصر الموحدي :

1 – نهضة تعليمية / وعظية : حاول الموحدون نشر العلم بين " البرابرة " ليتمكنوا من فهم الدعوة الجديدة التي قادها ابن تومرت ، وبالتالي مناصرتها والدفاع عنها ، واستعانوا – اضافة الى الدرس – بالخطابة الوعظية .

2 – توضيح العقيدة الجديدة (التي تتضمن بعض الغموض بسبب طابعها التجريدي) وابراز اهدافها ومراميها ومحاسنها ... يقتضي نشاط الخطابة السياسية والوفدية .

3 – كثافة المواجهات الحربية بين الموحدين واعدائهم في الداخل والخارج ، وخاصة حروب الاندلس، دفعهم الى الحث على الجهاد . وجمع المتطوعة مما يؤدي الى نشاط خطابة الجهاد .

4 – تألق نجم الموحدين في العالم الاسلامي ادى الى سعي الدول لاقامة علاقات حميمة مع المغرب او طلب عونه ، مما يسهم في نشاط خطابة الوفود .

واشتهر كل الخلفاء بالفصاحة والعلم : عبد المومن ، يوسف ، المنصور ، الناصر ... كما وصلتنا اسماء لمشاهير خطباء العصر :

1 – ابو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي (ت . 563 هـ)
2 – ابو عبد الله محمد بن احمد التلمساني (ت . 614 هـ).
3 – ابو موسى عيسى بن واصل المراكشي (ت . 637 هـ)
4 – ابو اسحاق ابراهيم بن جابر المخزومي المراكشي (ت . 641 هـ)

ومع ذلك لم يصلنا عدد كبير من الخطب التي قيلت في العصر ، ووقع خلط بينها وبين الوصايا فيما وصل ، وان كانت المسألة بسيطة فالخطبة والوصية يجمعها :

- الطابع الشفوي في الغالب الاعم .
- توجههما الى الناس .
- اتحاد الهدف : التأثير ، الوعظ ، الاصلاح ...

اما النصوص التي وصلت فهي :

1 - خطبة المهدي بعد عقد البيعة (297).

2 - خطبة عبد المومن في نعى المهدي وطلب البيعة (298).

3 - وصية المهدي للموحدين عند اقتراب اجله (299).

4 - وصية المنصور للموحدين عند اقتراب اجله (300)

5 - وصية ابي حفص الاغماتي في التحدير من اصناف الفلسفة والفلاسفة والحض على التمسك بالكتاب والسنة (301).

6 - وصيته بالاعراض عن الدنيا والعمل بالكتاب والسنة (302)

اولا - الموضوعات : ترتبط موضوعات هذه الخطب والوصايا بالعقيدة :

أ - ثلاث في موضوع الخلافة والمهدوية.

ب - اثنتان في موضوع التمسك بالكتاب والسنة وترك مصنفات الفروع والفلسفة.

ت - واحدة في الحث على الجهاد ونصرة الاسلام.

ولا يخفى ما لهذه الموضوعات من اهمية بالنسبة لحياة الدولة وعقيدتها واستمراريتها.

1 - والملاحظ ان الخطب المتعلقة بالخلافة والمهدوية تهم بداية تأسيس الدولة فهي بالطبع مرحلة خطيرة في كيانها ووجودها لذا حفظ المؤرخون عنها هذه النصوص.

فابن تومرت القى خطبته في سوس عندما ادعى المهدوية مهد لها باعطاء اسم المهدي ونسبه وفعله: اسمه اسم النبي، ونسبه فاطمي، وفعله هزم الباطل والفساد والجور، بالحق والصلاح والعدل. وختمها بالتلميح الى انه المهدي عندما قال : "الاسم الاسم، والنسب النسب، والفعل الفعل".

---

(297) نظم الجمان 75 - 76 والحلل الموشية 107.

(298) الانيس المطرب 185.

(299) المعجب 195 - 196

(300) الحلل الموشية 160.

(301) رحلة العبدري 131 - 132 تحقيق محمد الفاسي، الرباط 1968

(302) ازهار الرياض 2 / 359 - 360.

وفي كتب التاريخ (303) انه بهر البربر بعلمه وفصاحته وبلاغته وصلاحه ، فآمنوا به وبايع ونسب ابن تومرت الفاطمي ؟ ، وفساد حكم المرابطين . وهذا كله من مكونات العقيدة التومرتية .

ودائما نظرا لخطورة الوضع في بداية التأسيس ولشعور ابن تومرت ان عبد المومن الاجنبي عن المصامدة قد يجد معارضة من طرف الاشياخ الموحدين مما قد يؤثر على وجود الدولة التي لم تكن آنذاك قد انتزعت السلطة من المرابطين ، نجد هذا الاخير :

أ - يقدمه للصلاة عند مرضه .

ب - يستدعي الاشياخ ليعظهم ويطلب منهم الالتزام ببيعة عبد المومن بعده .

ولعل القارىء يلاحظ ذكاء ابن تومرت وعبقريته في التوفيق بين الاطراف والتأثير فيهم ، وحسم الخلافات في المنهج الذي سلكه في الخطبة / الوصية :

أ - في ترضيته على الخلفاء الراشدين وقوفه عند عمر خاصة اشارة الى تصميمه على الحق مثله ، وتقريب بين هذا الموقف وموقف الصحابي في عدل الخليفة وتقواه ...

ب - في حديثه عن اثر "التوحيد"في انقاد الناس من البدع والضلال وارشادهم الى الهداية والصلاح دعوة الى استمراره .

ت - هذا الاستمرار الذي لن يتم الا بتجديد نيات الاشياخ (تجديد الالتزام بالوفاء للمذهب) واتحادهم .

ج - انتقل بعد ذلك الى نتيجة العصيان او النكوص او الفرقة : الذل والصغار وبالتالي نهاية الدولة .

د - ثم قدم الضمانة على الاستمرار : عبد المومن . فدعاهم الى طاعته .

هـ - وجبر الخواطر : بدعوة عبد المومن الى حسن السيرة والاذن للاشياخ بتولية من شاءوا اذا لم يلتزم بمبادىء العقيدة .

- والغريب اننا وجدنا عبد المومن - بعد هذه البيعة الجماعية - يطلب البيعة من جديد من نفس الشيوخ عندما خطب فيهم ينعي ابن تومرت .

أ - فهل هو مجرد طلب شكلي لتجديد البيعة .

(303) نظم الجمان 75 - 76 ، والحلل الموشية 107

ب - ام حدث ما يستوجب طلب البيعة من جديد ، خاصة ونحن نعرف ان المرحلة كانت مضطربة ، ولم يثبت فيها الامر بعد للموحدين .

ج - ام ان النص منحول لا اصل له ، ويرجح هذا الافتراض انه مرفق بذكر كرامات عبدالمومن مع تغليف خرافي للحادثة كاختيار الاسد الجلوس بالقرب من الخليفة ، ونطق الطير ببيعته قبل اتفاق الشيوخ عليها .

2 - ووصيتا ابي حفص في التمسك بالكتاب والسنة ،، ووصية المنصور بالجهاد تهم على الخصوص فترة قوة الدولة .

ففي وصيتي ابي حفص تزكية لجهود يوسف ثم المنصور (على الاخص) في محاربة كتب الفروع التي طفت من جديد فكانت الاحوال تعود الى ما كانت عليه عند سيطرة الفقهاء بسبب ذلك على المجتمع المرابطي ، وفي نفس الوقت تعبير عن موقف يكاد يكون مناقضا لهذا وهو محاربته للفلسفة ، اذ اوعز اليه بعض العلماء بذلك - بعدما كان من المعجبين بهذا العلم - على اعتبار انها لا تختلف عن كتب الفروع في الابتعاد عن الاصلين . ولعل ضررها اخطر .

- وفي وصية المنصور :

أ - تعبير عما يمكن ان نسميه "بالهم الاندلسي" فقد كان الخلفاء منذ ابن تاشفين يحرصون على ان تبقى راية الاسلام مرفوعة في الاندلس مهما بلغت التضحيات (اعتبرها اليتيمة / وسكانها : اليتامى) .

ب - ورمز الى فكرة التعميم الذي لايمكن التفكير فيه اذا تقطعت اطراف الامبراطورية الموحدية ، اذ لابد من الاحتفاظ بجذوة الجهاد حتى تتحقق الآمال وهي نشر خلافة اسلامية موحدية في ربوع العالم الاسلامي .

ثانيا - ملاحظات حول الشكل : اتسمت نصوص الخطب والوصايا بالبتر ، ذلك انها لم ترد في دواوين خاصة ، وانما اوردتها بعض كتب التراجم والتاريخ على سبيل الاستشهاد والتمثيل فاكتفت في الغالب بايراد نماذج منها دون اعتبار الديباجة والتقديم ... وغير ذلك من شكليات الخطب فقد قال ابن ابي زرع قبل ايراد خطبة عبد المومن في طلب البيعة " فحمد الله واثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وترضى عن الصحابة والامام المهدي ، وترحم عليه ..."(304)

(304)الانيس المطرب 185 - 186 .

وقال المراكشي قبل ايراد وصية ابن تومرت : "فحمد الله واثنى عليه مما هو اهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم انشأ يترضى على الخلفاء الراشدين ..." (305)

ومع ذلك يمكن استنتاج الخصائص التالية من خلال القليل الذي وصلنا عنها :

الخطب كانت تستهل :

أ - بحمد الله والثناء عليه بما هو اهله .

ب - الصلاة على محمد رسوله .

ج - الرضا عن الصحابة .

د - الرضا عن الامام المعصوم ، المهدي المعلوم .

هـ- تناول الموضوع والغرض .

وخلافا لما لاحظناه على حجم الرسائل اتت الخطب قصيرة ، وهذا راجع بدون شك الى موضوعها الخاص الذي لا يناسب التطويل (النعي ، طلب البيعة ...) اما الخطب الوعظية التي كانت تلقى في المساجد فتتسم بالطول .

و - وكانت بعض الوصايا تدخل الى الموضوع مباشرة ودون تلك التمهيدات الشكلية (306) وربما لان الحالة الصحية للموصي انسته ذلك ، او لورودها ناقصة اصلا .

ز - وحتى تؤدى هذه النصوص غايتها التأثيرية كان لابد من ان تقتبس من القرآن الكريم او تستمد بعض معانيه ، وبعض معاني الاحاديث النبوية الشريفة . ويعد ابو حفص اكثر الذين يعودون الى القرآن والحديث (موضوع وصيتيه هو العودة الى الاصلين) .

- وقد ذيل هذا الاخير وصيتين له بأبيات في نفس الموضوع (307) .

وبهذا تلتقي الخطب / الوصايا مع الرسائل في :

- النص على المهدوية في الاستهلال .

- التحميد والتصلية والترضية على الخلفاء الراشدين ...

- الاستحضارات الدينية (قرآن / حديث).

---

(305) المعجب 195.

(306) الحلل الموشية 160

(307) رحلة العبدري 132.

- الاستشهاد بالشعر .
وتختلف معها عموما في الحجم .

الخــــاتمــــة :

تعتبر الدولة الموحدية دولة متميزة في فكرها وسياستها واهدافها ومعمارها .

فقد تمكن زعيمها المهدي بن تومرت بعلمه وذكائه ان يكسر الجمود الفقهي المرابطي ، ويشعل جذوة النشاط الكلامي والعلمي الذي مهد لازدهار فكري وادبي واسع النطاق ، فاطلقت العقول من عقالها وتحررت الافكار . وشجعت المواهب . فكان لذلك اثره على الحضارة المغربية التي طبعت في هذه المرحلة بطابع خاص .

الا ان كثيرا من النصوص والآثار التي الفت في هذا العصر لم تصلنا او لم تنشر بعد ، مما يجعل تقويم العطاء الفكري الموحدي صعبا .

وحتى لا تستمر فترة الانتظار ، انتظار ان تجود المكتبات (العامة او الخاصة) بدواوين الشعراء الفحول امثال ابن حبوس ، الجراوي ، الاغماتي ، الخطابي ... وحتى نضمن لتقويمنا للعطاء الادبي للعصر اياه قدرا من العلمية والصحة، اعتمدنا مسلمات المنهج الاحصائي .

وقد حاولنا ان تكون النصوص (المستنطقة) المعتمدة ممثلة لكافة الاتجاهات والمشارب المتواجدة في العصر .

لقد مكننا هذا المنهج من رصد الاثر العميق الذي خلفته العقيدة الموحدية في الفكر عموما ، وفي الادب خصوصا ، شعره ونثره .

فلم يعد كما كان وسيلة لشغل الفراغ او للكسب ، وانما صار الشاعر صاحب رسالة اجتماعية ومسؤولية تاريخية عليه ان يؤديها أحسن أداء ، فأتى الكسب والجائزة في المرحلة الثانية .

لقد رد الموحدون للشاعر كرامته وانسانيته ،فلم يعد ذلك المهرج الذي يستعان به على تجزية الوقت ، وانما صار عليه ان يعبر عن مبادىء واهداف سامية يخصص لها كل جهده ووقته ومواهبه مهمشا ما سواها .

واذا كان التزام الادباء بنفس المبادىء، وتنفيذهم لها بنفس المنهج قد جعل اعمالهم تتقارب

مضمونا وشكلا ، فان ذلك لا يقدح في قيمتها خاصة اذا تذكرنا ما تطفح به هذه الاعمال من حرارة الصدق ، والشعور بالمسؤولية واداء الواجب الوطني .

لقد تشبث الادباء بالعقيدة في كافة المراحل : سواء في المرحلة التومرتية المومنية مرحلة وضع الاسس ، وتكوين الانسان ، وبناء المجتمع ، وايصال صوت الدعوة وسلطتها الى اطراف الامبراطورية الشاسعة ؛ او في مرحلة القوة ، مرحلة ازدهار الفلسفة والعلوم والآداب والفنون والعمران... هي في نفس الوقت المرحلة التي بدأ فيها مؤشر العقيدة التومرتية في الهبوط بعدمابلغت الدولة درجة كبيرة من الرقي .

فكانت بداية التنكر للعقيدة ، وعندما تم هذا التنكر علانية ، كان الكل يوذن بدخول البلاد في فترة مظلمة حالكة سياسيا ، وبرجوعها الى الوراء .

فلو لم تحارب هذه العقيدة / التحرير ، لو لم ينزع بعض الخلفاء الموحدين بذلة العلم ، والتحرر الفكري ليلبس خرقة الصوفية ، لاستمرت هذه الحركة الفكرية العظيمة ، ولكان اثرها اكثر عمقا وايجابية على الحضارة المغربية في العصور التالية .

اولا : لائحة المصادر والمراجع *

1 : الكتب

- ابراهيم انيس

1 موسيقى الشعر
طبعة دار العلم بيروت .

- ابن الاثير / ابو الحسن علي بن محمد الشيباني

2 الكامل في التاريخ
المطبعة التجارية الكبرى ، مصر .

- احمد امين

3 فجر الاسلام
طبعة القاهرة ، 1965

- احمد بن خالد الناصري

4 الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ،
الجزء الثاني ، الدار البيضاء 1954

- احمد بن محمد بن القاضي المكناسي

5 جذوة الاقتباس في من حل من الاعلام بمدينة فاس ،
طبعة حجرية بفاس .

- احمد بن عبد السلام الجراوي ،

6 صفوة الادب وديوان العرب ،
مخطوطة خزانة تشودلي باشا بالاستانة ، عدد 4079 .

* اتبعت الترتيب الابجدي المغربي

- احمد المقري التلمساني

7 نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد المكتبة التجارية القاهرة ، 1949 .

8 ازهار الرياض في اخبار عياض
تحقيق جماعة من الاساتذة ، مصور القاهرة 942 ومطبعة فضالة - المحمدية .

- ابن الاحمر /ابو الوليد اسماعيل

9 بيوتات فاس الكبرى ،
تحقيق عبد الوهاب بنمنصور ، الرباط .

- الفرد بيل

10 الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ، من الفتح الاسلامي حتى اليوم .
ترجمة عبد الرحمن بدوي ،طبعة دار الغرب الاسلامي ، بيروت 2/ 1981.

- اعشى مصطفى

11 نماذج من الفن المعماري الموحدي
مطبعة فضالة - المحمدية .

- بالنثيا انخيل جنثالث

12 تاريخ الفكر الاندلسي
ترجمة حسين مؤنس ، ط 1 القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، 1955 .

- ابو بكر بن علي الصنهاجي

13 البيذق ، اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين
تحقيق عبد الوهاب بنمنصور ، طبعة دار المأمون ، الرباط 1971

14 المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب
تحقيق عبد الوهاب بنمنصور ،دار المنصور ، الرباط 1971

- البكري / ابو عبد الله

15 المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (جزء من المسالك والممالك)
نشر دوسلان 1857 ، مكتبة المثنى ، بغداد .

- ابن جـــزي الكلبي / ابو القاسم محمد بن احمد

16 القوانين الفقهية
طبعة تونس 1344

- حازم عبد الله خضر

17 النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين
دار الرشيد للنشر 1981 .

- حازم القرطاجني

18 منهاج البلغاء وسراج الادباء
تحقيق محمد الحبيب بلخوجة ،
ط . دار الغرب الاسلامي ، 1981.

- الحجوي الثعالبي

19 الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي ،
الرباط - فاس 1345 .

- الحسن السائح

20 دفاعا عن الثقافة المغربية
طبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء 1968

- ابن خلدون / ابو زيد عبد الرحمن بن محمد

21 المقدمة
طبعة بيروت بدون تاريخ / والطبعة الاميرية .

- ابن خلكان / شمس الدين احمد

22 وفيات الاعيان
تحقيق احسان عباس ، ط : بيروت 1968

- ابن دحية الكلبي / ابو الخطاب عمر بن حسن

23 المطرب من اشعار اهل المغرب
تحقيق ابراهيم الابياري : ط ، القاهرة .

- ابو الربيع سليمان الموحدي

24 ديوانه ،
تحقيق جماعة من الاساتذة مطبعة المهدية ، تطوان .

- الرصافي البلنسي

25 الديوان
تحقيق احسان عباس طبعة بيروت 1960 .

- ابن رشيق القيرواني / ابو علي الحسن

26 العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط ، السعادة القاهرة 1963 ،

- ابن ابي زرع / ابو الحسن علي الفاسي

27 الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس
دار المنصور ، الرباط 1973 .

- ماهر مهدي هلال

28 جرس الالفاظ ودالالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب
دار الحرية بغداد .

مجموع رسائل موحدية

29 نشر ليفي بروفنصال
المطبعة الاقتصادية الرباط 1941

ابن ابي محلي / احمد بن عبد الله .

30 الاصليت الخريت
مخطوط الخزانة الملكية رقم 100 / 1 .
حققه الاستاذ عبد المجيد القدوري منشورات عكاظ، الرباط 1991

- محمد بن تاويت

31 الادب المغربي (مع الصادق عفيفي)
دار الكتاب اللبناني بيروت ، طبعة 2 /1969 .

32 الوافي بالادب العربي في المغرب الاقصى
الدار البيضاء 1982 .في 3 اجزاء

- محمد بن تومرت

33 اعز ما يطلب
نشركولد تسهير مع مقدمة ترجمها دومنبين الى الفرنسية الجزائر 1903 .

34 مجموعة الرسائل
نشر محيى الدين صبري الكردي ، 1908 .

35 موطأ الامام المهدي
(محاذي الموطأ)
نشر كولد تسهير ، الجزائر 1905

- محمد بن جعفر الكتاني

36 سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس فيمن اقبر من الصلحاء والعلماء بفاس
طبعة حجرية بفاس 1316.

- محمد الرشيد ملين

37 عصر المنصور الموحدي
المطبعة الملكية 1946 .

- محمد زنيبر

38 ابن رشد والرشيدية في اطارهما التاريخي
اعمال ندوة ابن رشد ، منشورات كلية الآداب، الرباط 1978 .

- محمد عبد الله عنان

39 عصر المرابطين والموحدين بالمغرب والاندلس
وهو جزء من كتاب دولة الاسلام في الاندلس طبعة اولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1964 .

- محمد عبد الهادي المنوني

40 العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين
طبعة تطوان 1950 ، وطبعة الرباط المصورة 1977 .

- محمد الفاسي

41 شاعر الخلافة الموحدية – ابو العباس الجراوي
مطبوعات جمعية قدماء تلاميذ مدرسة جسوس – الرباط .

- محمد فريد رفاعي

42 الغزالي ،
طبعة القاهرة .

- محمد مفتاح

43 في سيماء الشعر القديم
دار الثقافة 1982 .

- محمد ولد دادة

44 مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الاول الى انتصاف القرن الرابع الهجري
بيروت 1977

- محمود اسماعيل عبد الرزاق

45 الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري
دار الثقافة - الدار البيضاء 1976 .

- ابن مضاء / ابو العباس احمد بن عبد الرحمن اللخمي

46 كتاب الرد على النحاة
تحقيق شوقي ضيف دار الفكر العربي 1947
نسخة اخرى بتحقيق محمد ابراهيم البناء طبعة الاعتصام 1979 .

- مؤلف مجهول من القرن 8 هـ

47 الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية
تحقيق سهيل زكار ، وعبد القادر زمامة - الدار البيضاء 1979 .

- صفوان بن ادريس التجيبي

48 زاد المسافر
اعداد عبد القادر محداد - بيروت 1970

- عباس الجراري

49 القصيدة (الزجل في المغرب)
الرباط 1970 .

50 موشحات مغربية
الدار البيضاء ط 1 - ابريل 1973.
طبعة ثانية منشورات كلية اللغة العربية 1992

51 الامير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحدي
عصره ، حياته ، شعره
دار الثقافة ، الدار البيضاء 1974 .

52 صفحات دراسية من القديم والحديث
الدار البيضاء 1976

53 وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ
طبعة دار الثقافة الدار البيضاء 1976 .

- عباس بن ابراهيم المراكشي

54 الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام
المطبعة الملكية ابتداء من سنة 1971 .

- العبدري الحيحي

55 رحلة العبدري
تحقيق محمد الفاسي - الرباط 1968 .

- عبد الله كنون

56 النبوغ المغربي في الادب العربي
المطبعة الثانية – بيروت 1961 .

57 ابو العباس احمد بن جعفر بن عطية
ذكريات مشاهير رجال المغرب عدد رقم 5
دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

58 ابو العباس احمد عبد السلام الجراوي
ذكريات مشاهيررجال المغرب ، عدد رقم 6

59 ابو عمر ميمون بن علي الخطابي المعروف بابن خبازة
ذكريات مشاهير رجال المغرب عدد رقم 7 .

60 ابو الربيع سليمان الموحدي
ذكريات مشاهير رجال المغرب عدد رقم 10 .

61 ابن حبوس الفاسي
ذكريات مشاهير رجال المغرب عدد رقم 39 .

62 امراؤنا الشعراء
المطبعة المهدية – تطوان .

- عبد الله العروي

63 تاريخ المغرب ، محاولة في التركيب
ترجمة د . دوقان قرقوط ، بيروت 1977 .

- عبد الله علام

64 الدعوة الموحدية بالمغرب
دار المعرفة ، القاهرة 1964

- عبد الملك بن صاحب الصلاة

65 تاريخ المن بالامامة
تحقيق عبد الهادي التازي دار الاندلس بيروت 1964.

- عبد العزيز بنعبد الله

66 الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية
مطبوعات وزارة الاوقاف ابتداء من سنة 1975 .

- عبد السلام بن سودة المري

67 دليل مؤرخ المغرب الاقصى
تطوان 1950

- عبد الهادي حسيسن

68 مظاهر الحديثية في عهد يعقوب المنصور
تطوان 1982

- عبد الواحد المراكشي

69 المعجب في تلخيص اخبار المغرب
تصحيح محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ،
القاهرة 1949.

- ابن عذارى المراكشي

70 البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب
الجزء الثالث - نشر امبروسي هويسي ميراندة -
تطوان 1960 .

- علي بن سعيد الاندلسي

71 اختصار القدح المعلى
تحقيق ابراهيم الابياري ، القاهرة 1959 .

72 الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة
تحقيق ابراهيم الابياري ، ط . الثالثة / مصر 1977 .

- العماد الاصفهاني

73 خريدة القصر وجريدة اهل العصر
الدار التونسية للنشر 1971 (قسم شعراء المغرب والاندلس)

- القاضي عياض

74 ترتيب المدارك وتقريب المسالك
طبعة الرباط 1965 .

- ابن القطان / ابو محمد حسن بن علي الكتامي

75 نظم الجمان (الجزء السادس)
تحقيق محمود المكي منشورات كلية الآداب ، المطبعة المهدية ، تطوان .

- القلقشندي / احمد بن علي الفزاري

76 صبح الاعشى
المطبعة الاميرية

- سعد زغلول عبد الحميد

77 محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والاندلس
طبعة بيروت ، دار الاحد 1973

- سهام الفريح

78 ابن قلاقش ، حياته وشعره
حوليات كلية الآداب بالكويت رقم 1 /1980

- الشهرستاني

79 الملل والنحل
تحقيق محمد سيد الكيلاني
ط . البابي الحلبي 1961 .

80 الوثائق
الجزء الاول المطبعة الملكية - الرباط .

- ياقوت الحموي

81 معجم البلدان
مطبعة دار صادر ،
بيروت 1957 .

2 - المجـــــلات

- احمد مختار العبادي

82 صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والاندلس ،
البينة عدد 9 ، يناير 1963 .

83 الموحدون والدعوة الاسلامية
التربية الوطنية ، مارس 1962/ ص 16 – 22 وابريل 1962 / 21 –31

- حسين مؤنس

84 ثلاث وثائق موحدية هامة
مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد 12 جزء 2 ، دجنبر 19

85 نصوص سياسية عن فترةالانتقال من المرابطين الى الموحدين
مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد عدد 1955/3.

-محمد الاخضر

86 الادب المغربي في عهد المرابطين والموحدين
الثقافة المغربية عدد 9 ، 1973 .

87 ابو حفص عمر الفاسي
البحث العلمي ، عدد 23 ، 1975 .

- محمد بن تاويت (التطواني)

88 شعر ابي العباس الجراوي
دعوة الحق ، اكتوبر 1958 ، مارس 1959 .

89 التشيع في الادب الموحدي
دعوة الحق ، فبراير 1965 .

90 اضواء في الادب الموحدي
دعوة الحق غشت 1968 .

91 الادب في عهد المرابطين والموحدين او ادب الدولة المرابطية والدولة الموحدية
البحث العلمي ، العدد الثاني .

- محمد زنيبر

92 حول بعض الوقائع الموحدية .
البحث العلمي ، عدد 10/1967.

- محمد كمال شبانة

93 رسائل الموحدين
دعوة الحق ، دجنبر 1964 ، يبراير 1965 .

94 الدولة الموحدية وتأملات في تاريخها
البحث العلمي ، 20 -21 / 1972 .

95 يعقوب المنصور
دعوة الحق ، مارس 1965 .

- محمد عبد العزيز الدباغ

96 ملوك الموحدين
دعوة الحق ، ابريل - ماي 1965 .

97 اثر الثقافة الدينية في شعر الجراوي
دعوة الحق ، يونيه 1970 .

- محمد عبد الله عنان

98 مشروع الموحدين لغزو مصر
العربي ، ابريل 1964

- محمد عبد الهادي المنوني

99 ملاحم ودواوين في السيرة والمديح النبوي
دعوة الحق - غشت 1964 .

100 انحلال الامبراطورية الموحدية
دعوة الحق - غشت 1966

-محمد العربي الخطابي

101 المغرب في العالم الاسلامي
المناهل 18 / ص 87 يوليه 1980 .

- محمد الغربي

102 الموحدون سادة البحار
دعوة الحق - يناير 1972 .

- محمد الفاسي

103 عبد الواحد المراكشي من علماء بغداد
البينة ، عدد 9 يناير 1963

- مصطفى جواد

104 المنصور الموحدي والناصر العباسي : صراع سياسي خفي وعنيف
دعوة الحق - ابريل 1969 .

- عباس الجراري

105 ابن حبوس الفاسي
دعوة الحق - مارس1961 .

106 الامير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحدي .
دعوة الحق - ابريل ماي 1965 .

107 اسباب انتشار المذهب المالكي واستمراره بالمغرب
دعوة الحق عدد 224 ، غشت / شتنبر 1982 .

108 المغرب وتيار المذاهب الاسلامية
مجلة الايمان ، السنة 3 ، اعداد 4 ، 5 ، 6 ، سنة 1966 .

109 الموحدون ثورة سياسية ومذهبية
المناهل عدد 1 / 1974 .

- عبد الله كنون

110 عقيدة المرشدة
البحث العلمي عدد 9 / يناير 1963

111 الشاعر الانيق ابو حفص الاغماتي
البينة عدد 9 / 1966

112 ابن حبوس الشاعر
الثقافة المغربية عدد 5 / 1972 .

- عبد الله العمراني

113 الموحدون والحضارة
دعوة الحق ، دجنبر 1965 - فبراير ، مارس 1966

- عبد العزيز السالم

114 وقعة الارك
العلوم عدد 7 - يوليوز 1964 .

- عبد الهادي حسيصن

115 موقف يعقوب المنصور من الظاهرية
مجلة دار الحديث الحسنية ، عدد 1981/2 .

- فاضل السباعي

116 يوم الارك
المناهل 17 - مارس 1980

117 يوم الارك
الثقافة العربية (الليبية) عدد 11 ، نوفمبر 1982.

3 - مصادر ومراجع باللغة الاجنبية

- BEL Alfred

118 les Banû Ghanya , derniers représentants des almoravides et leurs luttes contre les almohades . Paris 1933.

119 -Contribution à l'étude des dirhams de l'époque almohade . Hesperis 1933 : 1er , 2e tri , fasc . 1. 2, T XVI pp . 1 - 68

- BENCHEIKH Jamal Eddine .

120 poétique arabe , essai sur les voies d'une création . Editions Antropos Paris 1975 .

- BRUNSCHVIG Robert .

121 L'aspect militaire de la conquète almohade , Hesperis 1934 . T . 19 fasc 1 - 2 , p . 196 .

- Cenival (pierre de)

122 l'église chrétienne de Marrakech au 13 e s . Hesperis T. VII. 1927

- DEVERDUN Gaston

123 Marrakechdes origines à 1912 . Editions techniques Nord africaines, Rabat 1959 .

- GOLZIER Ignes.

124 Mohamed Ibn toumert et la théologie de l'Islam dans le nord de l'Afrique au XIe s. Alger 1903 .

- Henri . LAOUST .

125 Les chismes dans l'islam Payot - Paris 1965 .

- Le Tourneau .

126 Du mouvement almohade à la dynastie muminide : la révolte des frères d'Ibn Tumert de 1153 à 1156 Mélange G. Marçais , Paris 1925 p. 111 - 116 .

127 Al Gazali et Mohamed Ibn tumert se sont -ils rencontrés . Bulletin des études arabes 1947 - p . 147 - 148

- MASSE Henri .

128 La profession de foi (aqida) et les guides spirituels (morchida) du Mahdi Ibn Tumert , Mémorial H. Basset publié par I. H . E . M Paris 1928 Tome 2 = 105 - 120 .

- PERES Henri .

129 La poésie à Fès sous les almoravides et les almohades . Hesperis 1934 . T . XVIII fasc . 1 . 1er tri p . 9 . 40

-Todorov.

130 Introduction à la littérature fantastique Ed Points n° 73.

ثانيا : فهرس الجداول

ثالثا فهرس الموضوعات

منشورات للمؤلف

1- الدولة الموحدية (اثر العقيدة في الادب)
- الطبعة الاولى - ابريل 1983 في 136 صفحة منشورات الجامعة الدار البيضاء .
- الطبعة الثانية - مارس 1985 في 168 صفحة منشورات الجامعة الدار البيضاء .
طبعة . منقحة ومزيدة .

2 - محمد بن سليمان الجزولي (مقاربة تحليلية لكتابته الصوفية)
- الطبعة الاولى 1992 في 108 صفحة . دار تينمل - مراكش .

3 - احمد بابا السوداني وكتابه الدر النضير .
- الطبعة الاولى - 1993 في 77 صفحة . المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش .

4 - الحركة الصوفية بمراكش : ظاهرة سبعة رجال .
- الطبعة الاولى - 1994 في 257 صفحة . المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش .

5 - الآثار الادبية لصوفية مراكش .
- الطبعة الاولى - 1994 في 340 صفحة . المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش .

6 - مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي .
- الطبعة الاولى - 1994 في 267 صفحة . المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش .

7 - الدولة الموحدية (أثر العقيدة في الادب) .
- الطبعة الثالثة- شتنبر 1995 في 237 صفحة.المطبعة والوراقة الوطنية -مراكش

مؤلفات تحت الطبع

1- بحوث في التصوف المغربي .
2- ببليوغرافيا التراث المغربي المخطوط

المطبعة والوراقة الوطنية
IMPRIMERIE PAPETERIE EL WATANYA
زنقة أبو عبيدة الحي المحمدي – مراكش
30-37-74 فاكس : 23-49-30